بُسْتَانُ الْحُقُوقِ
فِي الْإِسْلَام

الجزء الأول

د. أمير محمد المدري

الطبعة الثانية

دار الكتب اليمنية

مكتبة خالد بن الوليد

بستان الحقوق في الإسلام

أمير بن محمد المدري

الحقوق محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

مكتبة خالد بن الوليد
للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي صنعاء - شارع العدل
تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)
ت : (٢٢٧٨٥٥) ص . ب : (٢٣٧٠)
القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء الدائري الغربي - جولة القادسية
تلفون: (٢١٥٢٤٣)
فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر - الميدان - تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت :
(٠٢/٢٦٥٧٠٦)
مركز خالد بن الوليد - الدائرى الغربى-تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

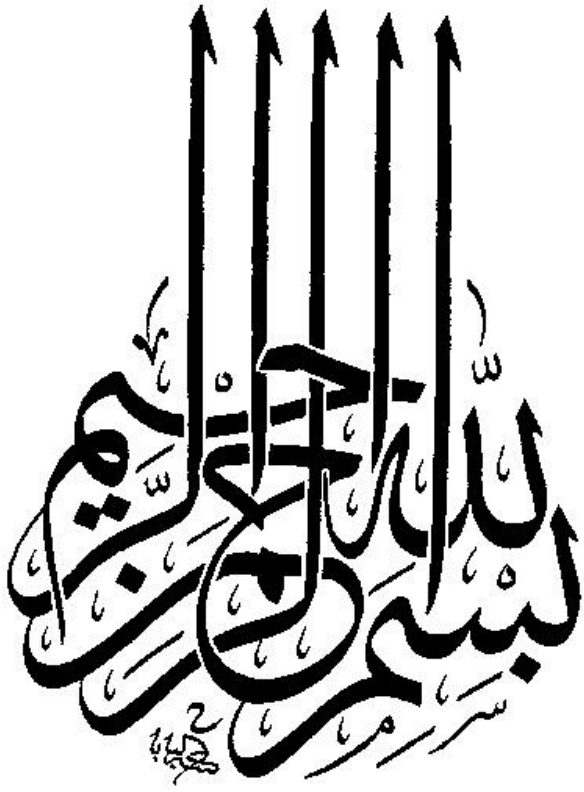
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المحتويات ٤
المقدمة ٧
تعريف الحقوق ١١
حق الله تعالى (١) ١٣
حق الله تعالى (٢) ٢٠
حق الله تعالى (٣) ٢٩
حق الله تعالى (٤) ٣٥
حقوق النبي المصطفى (١) ٤٥
حقوق النبي المصطفى (٢) ٥٩
حقوق النبي المصطفى (٣) ٧٠
حقوق زوجات النبي المصطفى ٨٠
حقوق الصحابة (١) ٩٥
حقوق الصحابة (٢) ١٠٥
حقوق آل بيته -ﷺ- ١١٦
حق الدين والدفاع عنه والدعوة إليه ١٢٧
حقوق المسلم -رد السلام ١٣٩
حقوق المسلم -عيادة المريض ١٤٩
حقوق المسلم -النصيحة ١٥٨

حقوق الأخوة في الله ١٧١
حقوق الأرحام ١٨٥
حقوق الوالدين ١٩٥
حقوق الأولاد(١) ٢٠٥
حقوق الأولاد(٢) ٢١٦
حقوق الأولاد(٣) ٢٢٨
حقوق المسنين(١) ٢٤٠
حقوق المسنين (٢) ٢٥١
حقوق الأم (١) ٢٦١
حقوق الأم (٢) ٢٦٩
ختاماً ٢٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهر لعباده من آياته دليلا، وهدى من شاء من خلقه فاتخذ ذلك عبرة وابتغى إلى نجاته سبيلا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتفرد بالخلق والتدبير جُملةً وتفصيلا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أبلغ الخلق بياناً وأصدقهم قيلا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليما.

وبعد:

يُعتبر موضوع الحقوق في الإسلام من أجلّ الموضوعات الفكرية التي تسهم في تحقيق العدل والحياة الفاضلة، ليس للعرب والمسلمين فحسب، بل لجميع بني الإنسان على هذا الكوكب. وقد أعلن الإسلام منذ نشأته مبادئه الأساسية في جميع الحقوق والواجبات الإنسانية، في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقدّم الحلول الناجعة لمشكلات الحياة كلها. بل إن الإسلام سبق جميع الشرائع الوضعية في إعلان الحقوق والواجبات وتوطيدها.

ولقد أجمع العلماء قاطبةً على أن المقصد الكلي للشريعة الإسلامية هو تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، فما من حكم شرعه الله أمراً كان أو نهياً إلا وهو جالب لمصلحة، أو دارئ لمفسدة، أو جالب ودارئ في آن واحد. وهذه المصالح هي جماع حقوق الإنسان، التي تنحصر على اختلاف مسمياتها، وتنوع مقتضياتها في حفظ المصالح الخمس الكبرى، وهي حفظ

الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وحفظ ما يخدمها ويكملها من الحاجيات والتحسينيات، وهذه الضروريات الخمس وما يخدمها ويكملها هي المصالح المقصودة للشارع من تشريع الأحكام، ولا يخرج عنها أي حكم من أحكام الشريعة الإسلامية أمراً كان أو نهياً. [حقوق الإنسان في الإسلام: عبد العزيز بن فوزان الفوزان]

إنّ غاية الإسلام الأساسية هي إقامة مجتمع سليم، مبني على أساس العدالة، ويتطلب هذا التوجه ـ بطبيعة الحال ـ الاهتمام برعاية الحقوق المتبادلة بين أفراد المجتمع. والملاحظ أن القرآن الكريم في تعبيره عن أداء حق الغير أو حق الجماعة، تارة يعبر عنه بطلب الإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَحْسِن كَما أَحْسَنَ اللهُ إليكَ** ﴾ [القصص ٢٨: ٧٧]، وتارة أُخرى يعبر عنه في صورة أمر آخر كقوله تعالى: ﴿ **وَأَوفوا الكَيْلَ إذا كِلْتُمْ وزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيم ذلكَ خيرٌ وَأحسَنُ تَأوِيلاً** ﴾ [الإسراء ١٧: ٣٥]، وقد يعبر عن ذلك في صورة النهي كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَأكُلُوا أَموَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بالباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إلى الحُكَّامِ لتأكُلوا فَرِيقاً مِنْ أموالِ النَّاسِ بالإثم وأنتم تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة ٢: ١٨٨].

كلّ ذلك من أجل أن يسود العدل، وتُصان حقوق الآخرين من المصادرة. وبذلك نجد القرآن الكريم قد عُني بالجانب الاجتماعي من حياة الجماعة، عناية لا تقل عن عنايته بصلة الفرد بربّه، ولا يصور الفرد المسلم إنساناً منعزلاً في خلوة، أو راهباً في صومعة، بل يصوره دائماً في جماعة تترتب عليهم حقوق متبادلة.

ومن هنا فإن معرفة الإنسان ماله وما عليه من حقوق وواجبات لله تعالى ولعباده، والعمل بها من أهم المهمات وأوجب الواجبات.

هذا الكتاب:

الذي بين يديك أخي القارئ بإذن الله سيضع النقاط على الحروف فيما يخص معرفة الإنسان ماله وما عليه من حقوق وواجبات لله تعالى ولعباده.

هذا الكتاب:

تظهر أهميته في احتلال مسألة حقوق الإنسان ـ يوماً بعد آخر ـ أهميةً متزايدة في العالَم المعاصر. وقد ظهرت منظمات عالميّة أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الإنسان وفق منظورها الخاص، ووفق أهداف ومصالح الجهات الممولة لها. وللأسف الشديد أنّ الكتب والإصدارات الإسلامية المؤلفة في هذا الحقل، من القلّة بحيث لا تتناسب مع تزايد الاهتمام العالمي بحقوق البشر. ومن هنا كان هذا الكتاب مساهمة متواضعة في هذا المجال.

هذا الكتاب:

مبدأه خُطب جمعة كنت ألقيتها في مسجد الإيمان، وأكرمني الله بجمعها في كتاب كي تعم فائدتها بإذن الله تعالى.

هذا الكتاب:

إلى أُناسٍ يحسبون أنّ لهم حقوقاً، وليست عليهم واجبات فهم يعيشون في قوقعة من أنانيتهم ومآربهم غير آبهين بالطرف الآخر وما ينبغي له وعليه.

هذا الكتاب:

بعد النجاح المبارك لكتاب بستان الخطيب فقد نفع الله به الفئام من الدعاة والخطباء وبلغ الآفاق بفضل الله تعالى وكرمه، فقد وجدت أن موضوع الحقوق قد يغفل عن طرحه للناس بعض الخطباء والوعاظ، ولذلك فقد يسّر الله بستاناً آخر أسميته «**بستان الحقوق في الإسلام**».

هذا الكتاب يحتوي على:

١ - حق الله تعالى. (٣)

٢- حقوق النبي --ﷺ-- . (٣)

٣- حقوق زوجاته --ﷺ--.

٤- حقوق آل بيته --ﷺ--.

٥- حقوق صحابته --ﷺ--. (٢)

٦- حقوق الأم.

٧- حقوق المسلم (٣)

٨- حقوق الأخوة.

٩- حقوق الوالدين

١٠- حقوق الأبناء ذكوراً وإناثاً. (٣)

١١- حقوق المسنين وكبار السن. (٢)

أسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين وان يجعلها ذخراً لنا يوم نلقاه أنه ولي ذلك والقادر عليه. و على الله قصد السبيل، إنه نعم المستعان و الوكيل وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

أمير محمد المدري
اليمن ـ المهرة
Almadari_1@hotmail. com

تعريف الحقوق

تعريف الحقوق لغة:

قال الجوهري: «الحق: خلاف الباطل، والحق: واحد الحقوق، والحَقة أخص منه، يقال: هذه حقتي أي: حقي»[الصحاح (٤/١٤٦٠).].

وقال الفيروز آبادي: «الحق: من أسماء الله تعالى أو من صفاته، والقرآن، وضد الباطل، والأمر المقضي، والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم، وواحد الحقوق»[القاموس المحيط (٣/٢٢١).]

وقال المناوي: «الحق لغة: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره»[التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٢٨٧).]

تعريف الحقوق اصطلاحاً:

الحقوق لها معنيان أساسيان:

١- فهي أولاً تكون بمعنى: مجموعة القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام علائق الناس من حيث الأشخاص والأموال.

فهي بهذا المفهوم قريبة من مفهوم خطاب الشارع المرادف لمعنى (الحكم) في اصطلاح علماء الأصول، أو لمعنى (القانون) في اصطلاح علماء القانون.

وهذا المعنى هو المراد عندما نقول مثلاً: الحقوق المدنية، أو القانون المدني.

٢- وهي ثانياً تكون جمع حق بمعنى السلطة والمكانة المشروعة، أو بمعنى المطلب الذي يجب لأحد على غيره.

وهذا هو المراد في مثل قولنا: إن للمغصوب منه حق استرداد عين ماله لو قائماً، وأخذ قيمته أو مثله لو هالكاً، وإن للمشتري حق الرد بالعيب، وإن التصرف على الصغير هو حق لوليه أو وصيه ونحو ذلك.

ويمكن تعريف الحق بمعناه العام بأن يقال: الحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً. [المدخل الفقهي العام (٣/٩-١٠) لمصطفى الزرقاء.]

الحمد لله الذي خشعت له القلوب وخضعت، ودانت له النفوس ورقّت، وعنت له الوجوه وذلّت، أحمده سبحانه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد. .

نعيش وإياكم مع سلسلة الحقوق في الإسلام، سلسلةٌ منهجية إيمانية مباركة، سلسلة تضيء الطريق للمسلم ليعرف ما له وما عليه، سلسلة تضع النقاط على الحروف وتبني مجتمعاً مسلما متحاباً، كل فرد فيه يعي واجباته نحو ربه ونبيه ودينه وأهله وجيرانه ومجتمعه. واليوم نعيش وإياكم مع أهم حق، وأسمى حق، وأعظم حق إنه حق الله تعالى.

فتعالوا بنا أيها الأحبة الكرام لنتعرف على حق الله جل وعلا.

ولكن أيها الأحبة الكرام قبل أن نعيش مع حق الله ﷻ لا بد أن نعرف الله ﷻ وتقدست أسماءه.

فإذا عرفنا الله أدّينا حقوقه، إذا عرفنا الله عبدناه حق العبادة وشكرناه حق شكره وقدرناه حق قدره.

إن في الدنيا جنة من لم يدخلها ولم يذقها لم يذق جنة الآخرة إنها معرفة الله.

من هو الله؟

إنه الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. خلق فسوى، وقدّر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غُثاءً أحوى، السماء بناها، والجبال أرساها، والأرض دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، يبسط الرزق ويغدق العطاء ويُرسل النعم.

إنــه الله رب السماوات والأرض، ورب العرش العظيم، فالق الحب والنوى، مُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، يُنفّس الكرب، ويفرِّج الهم، ويُذهب الغم، ويقضي الدين ويُغني من الفقر.

إنــه الله حبيب الطائعين، وملاذ الهاربين، وملجأ الملتجئين، وأمان الخائفين، يُحب التوابين ويُحب المتطهرين.

إنــه الله الذي: - ﴿ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ - ﴾ - [القصص: ٧٠].

مع الله الذي له: - ﴿ - الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ - ﴾ - [الجاثية: ٣٦-٣٧].

إنه الله الذي: - ﴿ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ - ﴾ - [لقمان: ١٠].

إنه الله الذي: - ﴿ - يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ - ﴾ - [الرعد: ٨].

إنه الله الذي: - ﴿ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - ﴾ - [الحشر٢٢].

إنه الله الذي: - ﴿ - جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ - ﴾ - [يونس: ٥].

الحديث عن الله وعن معرفة الله.

حديث من الضعفاء عن ربهم القوي.

حديث من الفقراء عن ربهم الغني.

حديث عن الأذلاء عن ربهم العزيز.

إنه الله: إنه الملاذ في الشدة، والأنيس في الوحشة، والنصير في القلة، يتجه إليه المريض الذي استعصى مرضه على الأطباء، ويدعوه آملاً في الشفاء ويتجه إليه المكروب يسأله الصبر والرضا، والخَلَف من كل فائت، والعوض من كل مفقود. - ﴿ - الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - ﴾ - [البقرة: ١٥٦] ويتجه إليه المظلوم آملاً يوماً قريباً ينتصر فيه على ظالمه فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب قائلاً: - ﴿ - إِنِّي مَغْلُوبٌ فانتَصِرْ - ﴾ - [القمر: ١٠].

ويتجه إليه المحروم من الأولاد سائلاً أن يرزقه ذريةً طيبة: - ﴿ - رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً - ﴾ -.

إنه الله:

إليـــه وإلاّ لا تُشـــدّ الركائـــب ومنـــه وإلاّ فالمؤمـــل خائـــب
وفيـــه وإلاّ فـــالغرام مضـــيّعٌ وعنـــه وإلاّ فالمحـــدث كـــاذب

من علَّق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدّث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، لا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن نظره عازب - ﴿ - وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ - ﴾ - [يونس: ٦١].

إنه الله ﷻ: - ﴿ - كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ - ﴾ - [الرحمن: ٢٩].

سبحانه يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، يرفع قوماً، ويضع آخرين، يحيي ميتاً ويميت حياً، ويجيب داعياً، ويشفي سقيماً.

يُعز من يشاء، ويُذل من يشاء، يجبر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعلم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيراناً ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً، يُشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويُعافي مبتلىً، يقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويقيل عثرةً، ويستر عورةً، ويؤمن روعةً.

إنه الله: لو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا أقلام والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى الدالة على جلال الله وعظمة الله وكمال الله وكرم الله وجود الله: - ﴿ - وَلَوْ أَنَّمَا

في الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ - ﴾ - [لقمان: ٢٦-٢٧].

إنه الله: التواب الرحيم، ذو الفضل العظيم، الواسع العليم، العزيز الحكيم، ابتلى إبراهيم بكلمات، وسمع نداء يونس في الظلمات، واستجاب لزكريا فوهبه على الكبر يحي هادياً مهديا، وحناناً من لدنه وكان تقياً، أزال الكَرب عن أيوب وألان الحديد لداود، وسخر الريح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورُفع إليه عيسى وشق القمر لمحمد -ﷺ-، ونجَّا هوداً وأهلك قومه، ونجَّا صالحاً من الظالمين، فأصبح قومه في دارهم جاثمين، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبحٍ عظيم، وجعل عيسى وأمه آيةً للعالمين، ونجَّا لوطاً وأرسل على قومه حجارةً من سجيلٍ منضود، ونجَّا شعيباً برحمته، وأهلك أهل مدين بعدله، قال جل شأنه: - ﴿ - أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ - ﴾ - [هود: ٩٥].

إنه الله ﷻ: الذي أغرق فرعون وقومه، ونجّاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية، وخسف بقارون وبداره الأرض: - ﴿ - وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ - ﴾ - [القصص: ٨٢]، ونجّا يوسف من غياهب الجب، وجعله على خزائن الأرض.

إنه الله: الذي أضحك وأبكى، وأمات و أحيا، وأسعد وأشقى، وأوجد وأبلى، ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأعطى ومنع، ورفع ووضع.

إنه الله: هدى نوحاً وأضل ابنه، واختار إبراهيم وأبعد أباه، وأنقذ لوطاً وأهلك امرأته ولعن فرعون وهدى زوجته، واصطفى محمد -ﷺ- ومقت

عمه، فسبحانه عدد خلقه، وسبحانه رضا نفسه، وسبحانه زنة عرشه، وسبحانه مداد كلماته.

إنه الله: الذي أرغم أنوف الطغاة، وخفض رؤوس الظلمة، ومزَّق شمل الجبابرة ودمّر سد مأرب بفأرة، وأهلك النمرود ببعوضة، وهزم أبرهة بطير أبابيل، عذَّب امرأة في هِرَّة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وغفر لامرأة بغيّ لأنها سقت كلباً كاد يموت من العطش.

إنه الله. . الذي من تقرّب إليه شبراً تقرّب إليه ذراعاً، ومن تقرّب إليه ذراعاً تقرّب إليه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة، فالباب مفتوح ولكن من يلج؟ والمجال مفسوح ولكن من يُقبل؟ والحبل ممدود ولكن من يتشبث به؟ والخير مبذول ولكن من يتعرض له؟ فأين الباحثون عن الأرباح؟ وأين خُطّاب الملاح؟ أين عشّاق العرائس؟ وطلاّب النفائس؟ !

إنه الله: من أقبل إليه، تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه، ناداه من قريب، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد رضاه، أراد ما يريد، ومن تصرف بحوله وقوته، ألان له الحديد، أهل ذكره هم أهل مجالسته، وأهل شكره هم أهل زيادته، وأهل طاعته هم أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته إن تابوا إليه فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم، يبتليهم بالمصائب ليطهرهم من المعايب، الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عنده بواحدة، فإن ندم عليها واستغفر غفرها له، يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.

إنه الله: سبحانه من خالق عظيم، جوادٌ كريم، الكرم صفة من صفاته، والجود من أعظم سماته، والعطاء من أجلَّ هباته، فمن أعظم منه جوداً؟

الخلائق له عاصون وهو لهم مراقب، يكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوه، ويتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا، يجود بالفضل على العاصي، ويتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاه فلم يستجب له؟ أم من ذا الذي سأله فلم يعطه؟ أم من ذا الذي أناخ ببابه فنحّاه؟ فهو ذو الفضل ومنه الفضل، وهو الجواد ومنه الجود، وهو الكريم سبحانه ومنه الكرم.

فليتـــه تحلـــو والحيـــاة مريـــرةٌ ... وليتـــه يرضـــى والأنـــام غضـــاب
وليـــت الـــذي بيننـــا وبينـــه عـــامرٌ ... وبيننـــا وبـــين العـــالمين خـــراب
إذا صـــح منـــه الـــود فالكـــل هـــيّن ... فكـــل الـــذي فـــوق التـــراب تـــراب

مَن استيقَن قلبه هذه المعاني لا يرهَب غيرَ الله، ولا يخاف سِواه، ولا يرجو غيرَه، ولا يتحاكم إلاّ له، ولا يذلّ إلا لعظمتِه، ولا يحبّ غيرَه.

أمّا الذين يهجرون القرآنَ، ويرتكبون المحرمّات، ويفرّطون في الطاعات والصلوات، أمّا الذين يتحاكمون إلى شرع غيرِ الله، ما قدروا الله حق قدره.

أمّا الذين يسخرون من الدّين، ويحاربون أولياء الله، ويستهزئون بسنّة سيّد البشر، ما قدروا الله حقَّ قدره. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي وفّق عباده المؤمنين للطاعات، ويسر لهم الخيرات والحسنات، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خير من صام وقام، وشرع الشرائع وبيّن الأحكام، اللهم صلّ وسلم وبارك على إمام المتقين وسيد الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ما زال الحديث معكم عن حق الله تعالى، عن عظمة الله وجلال الله وكمال الله.

ما أحلى المجالس وما أطيب الأماكن إذا عُطّرت بذكر الله الواحد الأحد.

عظمة الله

سبحانه جل وعلا من أتته السماء والأرض طائعة، سبحان من أحاط علمه بالكائنات، واطّلع على النيات، عالمٌ بنهايات الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، علم ما في الضمير، ولا يغيب عنه الفتيل والقطمير، - ﴿ - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ - ﴾ - [الشورى: ١١]. يُبدئ ويعيد، وينشئ ويبيد، وهو فعّالٌ لما يريد، سبحانه علم ما كان قبل خلق المكان. علم ما كان وما سيكون لو كان كيف يكون.

شكت خولة بنت ثعلبة للرسول أمرها، وأخبرته سرّها، وعائشة في طرف البيت لم تسمع همسًا، ولم تعلم حِسًا، لكن الله سمعها من فوق سبع

سماوات فأنزل الله قوله: - ﴿ - قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ - ﴾ - [المجادلة: ١].

فسبحان من وسِع سمعه السماوات والأرض.

روى البيهقي بسندٍ حسن عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وغِلَظُ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام، والكرسي فوق الماء، والله سبحانه فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». **مستوٍ على عرشه، ويسمع ويرى كلّ شيء في ملكوته، ولا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه،** ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: ١٠٣].

روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي -ﷺ- أنه قال: « إن رجلاً عبد الله جل وعلا في جزيرة من البحر خمسمائة سنة، أخرج الله جل وعلا له من البحر عيناً عذبة يشرب منها، وأنبت له شجرة رمان، وكل يوم تخرج له حبة فيأكلها، وسأل ربه أن يقبضه ساجداً، فاستجاب الله له فقبض وهو ساجد، - اللهم إنا نسألك الميتة الحسنة يارب العالمين - فإذا كان يوم القيامة أُحضر بين يدي الله جل وعلا، فيقول الله جل وعلا لملائكته: ﴿ادخلوا عبدي الجنة برحمتي﴾.

فيقول العبد: يا رب! بل بعملي.

فيقول الله جل وعلا: حاسبوه، فيحاسب، فيوجد أن عبادة خمسمائة سنة طاشت بها نعمة البصر -أو قال: نعمة السمع-، ثم بعد ذلك يقول الله جل وعلا له: من الذي خلقك ولم تك شيئاً؟ قال أنت يارب.

من الذي قواك على العبادة؟ قال أنت يارب من الذي جعل في قلبك حب الإيمان وكراهية الكفر؟ من الذي جعل لك السمع والبصر والفؤاد واليدين والرجلين؟ من الذي استخرج لك من البحر المالح عيناً عذبة؟ من الذي استخرج لك من شجرة الرمان كل يوم حبة وهي لا تخرج في السنة إلا مرة؟ قال أنت يارب، ثم يقول جل وعلا بعد ذلك: اذهبوا به إلى النار، -رحماك يارب عفوك يارب هذا من عبدك خمسمائة كيف حالنا ونحن المخطئين ونحن المقصرين -فإذا ذُهب به إلى النار.

يصيح: يا رب! أدخلني الجنة برحمتك فيدخله الله الجنة برحمته ثم قال الرسول -ﷺ-: «لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله».

وفي الصحيح أنه -ﷺ- قال: « لن يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا: ولا أنت -يا رسول الله-؟ ! قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته».

إنّ امتلاءَ القلب بعظمة الله يولّد ثقةً مطلقة بالله، ويجعل المسلمَ هاديَ البالِ ساكنَ النفس مهما ادلهمّت الخطوب. إنّ استشعارَ عظمة الله تملأ القلب رضًا وصبرًا جميلاً، فلا يحزنُنا تقلُّب الذين كفروا وظلموا في البلاد، فإنهم مهما علوا وتجبّروا لن يصِلوا إلى مطامعهم، ولن يحقّقوا أهدافهم الدّنيئة، فالله هو القويّ الذي لا يُغلب.

أيها الأخ الحبيب

إن نظرة هادئة مدقّقة في السماء في ليلة صافية تملأ القلب رهبة وخشوعاً لذي العظمة والجلال والكمال، كتاب مفتوح جميل، جمال متجدد، جمال متعدد باختلاف الشروق والغروب، باختلاف الليل والنهار، بصفاء السماء تارة، وبضبابها وسحابها تارة أخرى.

ثم انظر معي إلى هذه النجمة التي انفردت وحدها في أفق السماء وكأنها عين طفلة جميلة تلمع بالمحبة والمودة والصفاء.

ثم أنظر في الأفق الآخر إلى هاتين النجمتين الوحيدتين المنفردتين وكأن كل واحدة منهما تناجي الأخرى.

ثم أنظر إلى هذه المجموعة المترابطة المتشابكة من النجوم وكأنها تشابكت وتراصت في عرسٍ بهيج سعيد، وهذا القمر المنير وهذا الليل السادل وهذا الفلك الدوار، وهذا الصبح الباهر وضوء الشمس المشرقة، كل هذا من صنع من؟ كل هذا من خلق من؟

الشمس والبدر من آثار قدرته ... والبر والبحر فيض من عطاياه
الطير سبحه والوحش مجده ... والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدّسه ... والنحل يهتف حمدا في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم ... والعبد ينسى وربي ليس ينساه

أخي الحبيب عبد الله: انظر من جديد، وتفكر من جديد، ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا *رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾ [النازعات:٢٧-٢٩]. ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾[الذاريات:٤٧].

ثم يقول ربنا جل وعلا وهو يخاطب العقول لكي تتفكر، ويلفت الأنظار

لتتدبر، لتتعرف على الخالق العظيم سبحانه، فيقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٥-٧٦].

و يقول سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ* لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

يقول علماء الفلك: لو أن الشمس تركت مدارها وارتفعت قليلا لتجمّد كل من على ظهر الأرض، ولو أن الشمس تركت مدارها ونزلت قليلاً لاحترق كل حي على ظهرها، كل هذا من صنع من؟ كل هذا من خلق من؟ أإله مع الله؟

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

والشمس والقمر، كلنا رأى الشمس، وكلنا رأى القمر، لكنني أخاطبك من اليوم أخي الحبيب. . . أن تعاود من جديد النظر إلى الشمس والنظر إلى القمر لتوحد خالق الشمس والقمر: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٥ -٧٩].

انظـــــر لتلـــــك الشـــــمس التـــــي جـــــذوتها مســـــتعرة
فيهـــــا ضـــــياء وبهـــــا حـــــرارة منتشـــــرة
وقُـــــل مـــــن ذا الـــــذي يخـــــرج منهـــــا الشـــــرره
ذاك هـــــو اللـــــه الـــــذي أنعمـــــه منهمـــــرة
ذو حكمـــــةٍ بالغـــــة وقـــــدرة مقتـــــدرة

قال ربنا جل وعلا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل:٨٨] .

الجبال تسير؟ نعم. . . والأرض تجرى؟ نعم. . . ولكنها ذلول مذللة، بل ستعجب إذا علمت أن العلم الحديث قد أثبت أن الأرض تدور حول نفسها بسرعة مذهلة قدرها العلماء بسرعة ألف ميل في الساعة الواحدة، الأرض ذلول تجرى وتدور دورة كاملة حول نفسها بسرعة تقدر بألف ميل في الساعة الواحدة، وتدور الأرض دورة ثانية تدور حول الشمس بسرعة قدّرها العلماء بسرعة تزيد (٦٥٠٠٠) ألف ميل في الساعة الواحدة. وتدور الأرض مرة ثالثة مع الشمس مع المجموعة الشمسية بسرعة قدرها العلماء بـ (٢٠٠٠٠)ألف ميل في الساعة الواحدة صنع من؟ خلق من؟ أإلهٌ مع الله؟

أمرٌ عجيب بل وأثبت العلم الحديث أن دورة الأرض حول نفسها هي التي نشأ عنها الليل والنهار، لو لم تدر الأرض حول نفسها لما رأينا ليلاً ولا نهار، لرأينا ليلا سرمدا أو نهارا سرمدا، ثم تدور الأرض حول الشمس وهذه الدورة نشأ عنها الفصول الأربعة الصيف والشتاء والربيع والخريف.

خلق الله لنا الأرض مذللة، ثم شق الله فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار وأودعها الكنوز والخيرات قال سبحانه: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ* وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[إبراهيم:٣٢-٣٤].

وقال جل شأنه: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[يس:٣٣-٣٥].

سبحانه من خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون آيات.

أنظـــــر لتلـــــك الشـــــجرة ذات الغصـــــون النضـــــرة
كيـــف نمـــت مـــن حبـــه وكيـــف صـــارت شـــجره
ابحـــث وقُـــل مـــن ذا الـــذي يخـــرج منهـــا الثمـــرة
ذاك هـــو اللـــه الـــذي أنعمـــة منهمـــرة
ذو حكمـــةٌ بالغـــة وقـــدرة مقتـــدرة
ســـل الواحـــة الخضـــراء والمـــاء جاريـــا
وهـــذى الصـــحارى والجبـــال الرواســـيا
ســـل الـــروض مزدانـــا والزهـــر والنـــدى
ســـل الليـــل والإصـــباح والطيـــر شـــاديا
وســـل هـــذه الأنســـام والأرض والســـما
وســـل كـــل شـــيء تســـمع التوحيـــد للـــه ســـاريا
ولـو جـن هـذا الليـل وامتـد سـرمدا فمـن غيـر ربـى يرجـع الصـبح ثانيـاً

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ

السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:٦٠-٦٤]

البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير، سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير، وأمسك الإمام أحمد بالبيضة يوماً، بيضة من دجاجة فقال: هذا حصنٌ حصين أملس ليس له باب وليس له منفذ، ظاهرة كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز، وبينما هو كذلك إذا تصدع جداره وخرج منه حيوان جميل سميع بصير ذو صوتٍ حسن وشكلٍ مليح أإله مع الله؟

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حق الله تعالى(٣)

الحمد لله المُنعم على عباده بعظيم آلائه، أحمده سبحانه على تعاقُبِ نعمائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل رسله وخاتم أنبيائه، اللهم صلِّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه.

ما زلنا مع حق الله وجلال الله وعظمة الله.

أيها الأحباب: حق الله واضح وجلي في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الذي رواه البخاري حين سأله النبي -ﷺ-: «**أتدري يا معاذ ما هو حق الله على عباده؟ قال معاذ قلت: - الله ورسوله أعلم. فقال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري يا معاذ ماحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قال: - قلت الله ورسوله أعلم. قال: - ألا يعذبهم**».

نعم حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

العبادة

إنها العبادة فما هي العبادة؟ العبادة أصل معناها في اللغة: الذل، يقال: طريق معبد أي: طريق مذلل قد وطأته الأقدام، فأصل العبادة الذل والانكسار والخضوع لله علام الغيوب. ، فالعبادة لله هي كمال الذل مع كمال الحب لله جل وعلا.

وقد عرّف العبادة شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه فقال: «**العبادة هي اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**»،

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وبر الوالدين عبادة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإحسان إلى الجيران، والإحسان إلى اليتيم، والإحسان إلى الأرملة والمسكين، كل ذلك من العبادة، وحب الله ورسوله، وحب المؤمنين عبادة والحب في الله، والتوكل على الله والاستعانة والرجاء والتفويض والإنابة والخشية والمحبة والخوف، كل ذلك من العبادة.

إذاً فالعبادة تشمل الحياة بأسرها، فحياة المؤمن كلها عبادة إن صحت النية، وكان العمل موافقاً لهدى سيد البرية.

اسمع ماذا قال عليه الصلاة والسلام قال: « **إن بكل تسبيحةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقة، وكل تهليلةٍ صدقة، وأمرٍ بمعروف صدقة، ونهيٍ عن منكر صدقة – اسمع – وفى بضع أحكم صدقة – أي في جماع الرجل زوجته – وفى بضع أحكم صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته فيكون له فيها أجر؟ ! فقال: « أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر" قالوا: نعم قال: " ولو وضعها في الحلال فله بها أجر».**

فحياة المؤمن حتى لقاؤه مع امرأته عبادة إن صحت النية وكان العمل موافقاً لهدى سيد البشرية.

مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

صور عبادة غير الله

حق الله أن نعبده فلا نشرك به شيئاً فهل هناك من المسلمون من يعبد غير الله؟ نعم، واليكم صور ذلك.

أولاً: من الناس من صرف العبادة لغير الله بتحكيم البشر وتحكيم الأهواء والنزوات والشهوات والرغبات، تقول لأحدهم قال الله قال رسوله ويقول لك قال فلان وقال علاّن والله جل وعلا يقول: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [٥٠المائدة: ٥٠]. ويقول ﷻ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

فمن الناس من انقاد بشرع مهازيل البشر ولم يذعن ولم يذل ولم يخضع لشرع خالق البشر جل وعلا، وظن هؤلاء المساكين أنهم يوم أن نحّوا شريعة رب العالمين وشريعة سيد المرسلين وحكّموا شريعة مهازيل الخلق، وظنوا أنهم قد ركبوا قوارب النجاة، وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج المتلاطمة فغرقوا وأغرقوا وهلكوا وأهلكوا.

ثانياً: ومن الناس وهذا هو الصنف الثاني من صرف العبادة لغير الله في كثير من صورها، فذبح لغير الله ونذر لغير الله، وحلف بغير الله واستعان بغير الله، واستغاث بغير الله ولجأ إلى غير الله، وفوض الأمور إلى غير الله، يُنادون الأموات يا ولياه، يا علياه يا حسيناه وغيرها من الألفاظ والله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] هناك الملايين ممن ينتسبون الآن إلى الأمة ممن يذهبون إلى الأضرحة والقبور، فإنهم يرددون قولتهم الخبيثة: إذا تعسرت الأمور، فعليكم بأصحاب القبور. تعالى من بيده البعث والنشور، وهو الذي

يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

هناك من يقول إن زيارة إلى قبر الحسين - رضي الله عنه - تُعادل ثمانين حجة إلى بيت الله الحرام تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

هل يجيب المضطر إذا دعاه نبي أو ولي؟ لا والله، لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الرب العلي الذي لا يغفل ولا ينام، وهو الحي الذي لا يموت.

فأيها المسلم لا تسأل نبياً ولا تسأل ولياً وسل الحي الذي لا يموت فهو بيده الأمر كله صاحب الضر والنفع ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

ثالثاً: ومن الناس- وهذا صنفٌ ثالث- عبد الله جل وعلا وحده لا شريك له ولكنه عبد الله بغير هدى المصطفى رسول الله، عبد الله بالبدع، عبد الله بالضلالات، عبد الله بالعادات التي توارثها الأجيال عن الآباء والأجداد، وهذه العبادة أيضاً مردودة على رأس صاحبها، ولو ابتغى صاحبها وجه الله جل وعلا، لأنه لابد أن تكون العبادة خالصة لله، وأن تكون العبادة موافقة لسنة الحبيب رسول الله ، قال جل في علاه، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

الله جل وعلا؛ لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصة له على هدى حبيبه المصطفى.

رابعاً: ومن الناس- وهذا هو الصنف الرابع- من فهم العبادة فهماً مبتورا ناقصا جزئياً، فالعبادة عنده لا تتجاوز ولا تتعدى الشعائر كالصلاة والصيام

والزكاة والحج، فهو يصلى في المسجد، ويحج بيت الله الحرام، ويؤدى الزكاة، ويصوم رمضان لكن إن تجاوز هذا المسلم المسجد ترى شخصية أخرى، وترى إنساناً آخر غش في المعاملات، ظُلم للجيران، ظُلمٌ للزوجة، سبٌّ ولعن وغيبة ونميمة، دعاء للظالم بطول العمر.

هناك من يبكي في صلاة القيام وقد أبكى والديه قبل الصلاة من العقوق أو ظلم زوجته قبل الصلاة.

الإسلام دين شعائر صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها وهذه الشعائر لا تقبل إلا بتحقق المشاعر والأخلاق والقيم والصدق والأمانة والوفاء وحب أهل الإيمان؛ فها هو رسول الله -ﷺ- يُصرح تصريحاً خطيراً حين سُئل عن امرأةٍ تصوم النهار وتقوم الليل - شعائرها مائة في المائة لكن ليس عندها مشاعر ولا أخلاق تؤذي جيرانها بلسانها فقال: هي في النار.

اللهم حسّن أخلاقنا وكمّل إيماننا يارب العالمين.

العبادة هي الأصل الأول الذي من أجله خلق الله الحياة، بل هي الأصل الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض والجنة والنار، قال تعال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٨].

قال احد المفسرين: ليعرفون وآخر قال: ليوحدون.

ومن أجل العبادة أنزل الله الكتب وأرسل جميع الأنبياء والرسل، تدبر معي قول الله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء: ٧]

ومن الناس من عبَد القمر والنجوم والكواكب، كقوم خليل الله إبراهيم، ومن الناس من عبد الجن، ومن الناس من عبد الملائكة، ومن الناس من عبد الحجارة والتماثيل والأصنام.

ويقول أبو رجاء العطاردى كما في الحلية لأبى نعيم بسند صحيح قال: كنا نعبد الحجر في الجاهلية من دون الله فإذا مررنا على حجر هو أحسن من الأول، ألقينا الأول وعبدنا الثاني من دون الله، فإذا لم نجد حجراً، جمعنا كومة من تراب، ثم أتينا بالغنم فحلبنا اللبن عليها وطفنا بها نعبدها من دون الله جل وعلا.

أنظروا إلى العقول عبدت الأصنام، عبدت التراب من دون الله جل وعلا، ومن الناس من عبَد الناس، عبَد البشر، فلقد عبد اليهود عُزيراً، ولقد عبَد النصارى عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، والآن تُعبد الطواغيت في الأرض في كل مكان، إلا من رحم ربك جل وعلا، وهناك من يعبد الأفكار من دون العزيز الغفار.

يقول قائل:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له ... وبالعروبة ديناً ما له ثاني

وقال آخر:

هبوني ديناً يجعل العرب أمة ... وسيروا بجثماني على دين بُرهم

سلام على كفر يوحد بيننا ... وأهلا وسهلا بعده بجهنم

كبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حق الله تعالى(٤)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

هذا هو اللقاء الرابع مع حق الله ﷻ، وحق الله تعالى أن نعبده ولا نشرك به شيئاً.

وهل هناك من عبد غير الله في هذه الأرض نعم هناك من عبَد الشمس من دون الله وما هدهد سليمان عنكم ببعيد يوم قال كما قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[النمل:٢٤].

ومن الناس من عبد القمر والنجوم والكواكب، كقوم خليل الله إبراهيم، ومن الناس من عبد الجن، ومن الناس من عبد الملائكة، ومن الناس من عبد الحجارة والتماثيل والأصنام.

واليوم في عصر الذرة في عصر الحضارة في عصر العلم، تُعبد البقرة من دون الله، فإن في الهند اليوم حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها وأتكلم فيها ما يقرب من نصف مليون بقرة تُعبد من دون الله جل وعلا. يقول زعيم الهند الكبير غاندي الذي يكرم على أعلى مستوى يقول: إنه سيظل على عبادة البقر أمام العام أجمع ثم قال: أن أمه البقرة أحب إليه من أمه التي ولدته، لأن أمه البقرة لا تطالبه بحقوقها مثل أمه التي ولدته فإنها تطالبه في الرعاية.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلّمنا الحكمة والقران، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن خطر الشرك عظيم، فإن الله ﷻ يغفر أي ذنب إلا الشرك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[النساء: ٤٨]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - لما نزل قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]. فشقّ ذلك على أصحاب النبي -ﷺ-: وقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ فقال المصطفى -ﷺ-: « **ليس هذا الذي تذهبون إليه، ألم** تقرأوا قول العبد الصالح: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]. فخطر الشرك عظيم.

والله لو تخلّى الخلق جميعاً على ظهر الأرض عن عبادته واستكبروا عن عبادته ﷻ، فإن الله غنى عن الخلق لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية بل إن الكون كله يعبده ويوحده، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ* إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [١٥، ١٧): فاطر].

الكون كله يعبد الله ويوحده ويسبحه بتسبيح يجهله الخلق، فوالله لو كشف الله تسبيح الكون لنا لطاشت عقولنا، ماذا لو سمعت الجدار الذي تجلس إليه يسبح والنملة تسبح ولو سمعت الهدهد يسبح والدواب والهوام

والحشرات والأشجار والأنهار والبحار. لذا تدبر قول الله جل وعلا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤٤: الإسراء]. لماذا قال: إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا؟ ولم يقل: إنه كان عزيزاً حكيماً.

إنه كان حليماً بكم إذ لم يكشف لكم تسبيح الكون من حولكم، غفورا لكم على غفلتكم وعنادكم معه جل وعلا ، وتدبر معي قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [١٨: الحج].

أيها الإنسان المغرور، أيها الإنسان الجحود.

أنظر إلى الكون كله لتتعرف على عظمة الله لتعبده، انظر إلى الكون كله لتتعرف على الله لتحبه، فمن عرف الله وأحبه وعلى قدر الحب تكون العبادة ويكون العمل.

عبد الله: انظر من الكون كله من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه، أنظر إلى السماء وارتفاعها، وإلى الأرض وأتساعها، وإلى الجبال وأثقالها، وإلى الأفلاك ودورانها، وإلى البحار وأمواجها وإلى كل ما هو متحرك، وإلى كل ما هو ساكن، والله إن الكل يقر بتوحيد الله، ويعلن الشكر لله.

يَدُ من التي خلقت السماء ورفعتها بلا عمد؟ يد من التي زينت السماء بالنجوم والشموع والكواكب والأقمار؟ يد من التي خلفت الأرض وأرستها بالجبال والأحجار؟ يد من التي خلقت فيها البحار والأنهار؟ يد من التي خلقت فيها الزهور والأشجار والثمار؟ يد من التي خلقت الإنسان في أجمل

صورة وأحسن تقويم؟ يد من التي امتدت إلى عين الإنسان فجعلتها في علبة عظمية قوية متينة حتى لا تتعرض العين إلى الفساد ثم ظللتها بالرموش لتعكس الرموش أشعة الشمس عن العين حتى لا تُؤذى ثم أحاطت العين بالأهداب حتى لا يتساقط العرق إلى داخل العين فتتلف، يد من؟ إنها يد الله الواحد الأحد ﷻ.

يد من التي خلقت وجعلت ماء العين مالحاً ألا وهو الدمع حتى تقتل الميكروبات التي تتسرب إليها من جديد؟ يد من التي جعلت ماء الأنف حامضا لتتعلق به الأتربة والميكروبات فلا تؤذى داخل الإنسان؟ يد من التي خلقت أذن الإنسان بهذا الجمال والإبداع والإتقان، وجعلت ماء الأذن مُرا حتى لا تتسرب الحشرات إلى أذنك يا ابن آدم وأنت نائم؟ يد من التي خلقت الفم بهذا الجمال والإبداع وجعلت ماء الفم حلواً حتى يتذوق الإنسان الطيب من الخبيث والحلو من الحامض؟ يد من التي امتدت إلى كوز الذرة فرصت عليه هذه الحبات اللؤلؤية بهذا الإتقان والجمال والإبداع؟ يد من التي امتدت إلى سنبلة القمح فغلفتها بهذه الأغلفة الحصينة ومكنتها وحصتنها بشوك حتى لا تكون حبة القمح داخل الغلفة غذاء للطيور؟ وقد قدّر الملك أن تكون غذاء لك أيها الإنسان الجحود؟

والله لو أذن الله لحبة القمح أن تتكلم وأنصت إليها المخلصون لقالت: سبحان من جعلني طعاماً لفلان أبن فلان.

يد من التي امتدت إلى الماء العذب الفرات وإلى الملح الأجاج فجعلت بينهما برزخا وحجرا محجورا؟ يد من التي خلقتك أيها الإنسان وجعلت في حلقك في مكان يسمى البلعوم بوابة منيعة حصينة تسمى هذه البوابة بلسان

المزمار، هذا اللسان لو تعطّل لحظة عن وظيفته لهلكت أيها الإنسان الجحود، فوظيفة هذه البوابة أنها تسد القصبة الهوائية عند البلع وتسد البلعوم عند التنفس ولو أخطأ هذا العضو لحظة لسقطت جرعة ماء أو لقمة صغيرة إلى مجرى التنفس ولو أخطأ هذا العضو لحظة لسقطت جرعة ماء أو قلمة صغيرة إلى مجرى التنفس لهلكت أيها الإنسان المغرور؟ يد من التي خلقت هذا الكون كله بما فيه من جماد وجمال؟

لله في الآفاق آياتٌ لعل ... أقلّها هو ما إليه هداك
ولعل ما في النفس من آياته ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناك
الكون مشحونٌ بأسرار إذا ما ... حاولت تفسيراً لها أعياك
قل للطبيب تخطّفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعد ما ... عجزت فنون الطب من عافاك
قل للصحيح يموت لا من علةٍ ... من يا صحيح بالمنايا دهاك
بل سائل الأعمى خطا وسط الزحام ... بلا اصطدامٍ من يا أعمى يقود خطاك
بل سائل البصير كان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواك
وسل الجنين يعيش معزولا بلا ... راعٍ ومرعى من ذا الذي يرعاك
وسل الوليد بكى وأجهش بالبكاء ... لدى الولادة ما الذي أبكاك
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه ... فسله من يا ثعبان بالسموم حشاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيا وهذا السم يملأ فاك
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهداً وقل للشّهد من حلاك
بل سل اللبن المصفى من بين ... فرث ودم من ذا الذي صفاك
وإذا رأيت النبت في الصحراء ... يربو وحده فاسأله من أرباك

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله من يا نخل شق نواك
وإذا رأيت البدر يسرى ناضرا ... أنواره فاسأله من أسراك
وإذا رأيت النار شبّ لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أوراك
وإذا ترى الجبل الأشم مناطحاً ... قمم السحاب فسله من أرساك
وإذا رأيت النار شب لهيبها ... فاسأل لهيب النار من أوراك
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي ... بالله ﷻ أغراك؟
سيجيب ما في الكون من آياته ... عجبٌ عُجابٌ لو ترى عيناكا
ربِّ لك الحمد العظيم لذاتك ... حمدًا وليس لواحد إلاَّكا

إن هذا الإله، ألا يستحق، ألا يستحق أن يُعبد؟ ألا يستحق هذا الإله العظيم أن يوّحد؟ ألا يستحق أن يُطاع؟ ألا يستحق أن يُمتثل أمره؟ ألا يستحق أن يُجتنب نهيه؟ ألا يستحق أن نقف عند حدوده؟ ألا يستحق أن نُطيع رسوله -ﷺ-؟

لماذا نعبد الله؟

أولاً: لأن العبادة حق الله علينا فهو خالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا وحق السيد على العبيد طاعته وامتثال أمره. حق الله الذي أوجدك من العدم ولم تكن شيئا مذكورا، حق الله الذي ربَّاك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث، لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات نموك وحياتك، أدر لك الثديين، وهداك النجدين، وسخر لك الأبوين، أمدك وأعدك. . أمدك بالنعم والعقل والفهم، وأعدك لقبول ذلك والانتفاع به: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. فلو حجب عنك فضله

طرفة عين لهلكت، ولو منعك رحمته لما عشت، فإذا كان هذا فضل الله عليك ورحمته بك فإن حقه عليك أعظم الحقوق؛ لأنه حق إيجادك وإعدادك وإمدادك، إنه لا يريد منك رزقاً ولا إطعاماً: ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]. وإنما يريد منك شيئاً واحدا مصلحته عائدة إليك، يريد منك أن تعبده وحده لا شريك له

ثانياً نعبد الله لأن العبادة غذاء لأرواحنا، فبدونها سنموت، بدون العبادة سنموت، كما مات أهل الجسد الذين قتلوا الروح قتلا، ماتوا وهم يتحركون بين الناس، إن الإنسان جسد وروح، ومستحيل أن يعيش الإنسان حياة طيبة سعيدة بالبدن دون الروح.

وأنتم تعلمون أن الغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيه من طعام وشراب وشهوات ونساء وملذات وعلم وتكنولوجيا إلى آخره، أعطى الغرب البدن كل ما يشتهيه البدن، وبقيت الروح في أعماق البدن، تصرخ تبحث عن دواء وغذاء فوقف الغرب أمام الروح عاجزاً لا يملك شيئاً، إذ لا يعلم دواء الروح وغذاء الروح إلا خالق الروح جلا وعلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

وإن انتشار عيادات الطب النفسي وحالات الانتحار الجماعي والفردي في الشرق والغرب لمن أعظم الأدلة العملية على ما يعانيه الغرب في الجانب الروحي من قلق وشك وضنك واضطراب.

فنحن نعبد الله؛ لأن العبادة غذاء الروح، ومن عرف الله أحبه وشعرت روحه بالسعادة بل وشعر بدنه بالسعادة، لا يشعر المسلم بالأنس والسعادة إلا

في رحاب الله وفى ذكر الله وفى الصلوات لله، وفى طاعة الله، وفى السجود بين يدي الله قمة السعادة للمسلم من عرف الله أحبه الله.

ثالثاً: نعبد الله طمعا في جنته وخوفا من ناره:

فهذا سيد الموحدين وقدوة المحققين محمد بن عبد الله يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار بل ويأمر أمته في كم هائل من الأحاديث الصحيحة أن يسألوا الله الجنة، وأن يستعيذوا به من النار.

وفى الحديث الجليل الجميل الرقيق الذي رواه أحمد والترمذي والبيهقي وابن حبان وأبو داود وغيرهم، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل يوما صحابياً من أصحابه: « **ماذا تقول في الصلاة؟** »- أي: ماذا تدعو أي: بماذا تدعو الله جل وعلا- فقال الصحابي: والله يا رسول الله إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار فإني لا أُحسن دندنتك ولا دندنة معاذ- الدعوات الجميلة التي تدعو بها أنت ومعاذ أنا لا أحسنها ولا أعرفها، إنما أدعوا الله بدعوتين أقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار فقال المصطفى-صلى الله عليه وسلم- : «**حولها ندندن أنا ومعاذ**»وفى رواية: « وهل نسأل الله إلا الجنة وأن يُعيذنا من النار».

حقوق الله علينا:

أولاً: العبادة:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذه لا يختلف فيها الناس: ﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** ﴾ [مريم: ٩٣] والله يطلب من الإنسان أن يقترب منه بالعبودية، ولا تقترب إلى الله ولا يحبك إلا إذا عبدته، وفي صحيح البخاري أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال عن الله عز وجل أنه قال: « **وما تقرب إلي عبدي بأحب مما**

افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به».

دل الحديث على أنه كلما اقتربت من الله بالنوافل قربك، وأن أقرب الناس منه العابدون، قال عن الأنبياء: ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٣].

ومن حق الله علينا الاستعانة به:

فلا نستعين إلا به ﷻ قال رسول الله -ﷺ-: « **وإذا استعنت فاستعن بالله** » وهذا فيه تفصيل لأهل العلم قالوا: يستعان بالبشر فيما يقدر عليه البشر، فلك أن تستعين بالإنسان أن يحمل معك غرضاً في سيارتك أو أن يوصلك مكاناً أو يدلك على مقصد، أو أن يبني معك بيتاً، لكن الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله حرام أن تستعين فيها بغير الله كالمشافاة والمعافاة، وطلب الرزق، والإماتة والإحياء، وتسهيل الأمور وتفريج الكرب، لا يستطيع عليها ولا يقدر عليها إلا الله قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢].

الحق الثالث الاستغاثة بالله:

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] قيل عن معروف الكرخي أنه كان يجلس في المجلس الواحد ويقول: واغوثاه! واغوثاه! أكثر من ألف مرة، فقيل له في ذلك، فقال أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] فلا تستغث إلا به ﷻ، والناس يظنون أن بعض الناس له يد في الرزق والأجل، وأن بوجوده أو بحضوره أو بحصوله أو ببركته ينزل الغيث، وهذا شرك بالواحد الأحد، لا ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله.

والحق الرابع من حقوق الله تعالى الرجاء:

نعم الرجاء: أن ترجو الواحد الأحد، فلا يرجى إلا هو ﷻ لدفع المكروه، وتجد بعض من يشرك في مسألة الرجاء يرجو غير الله أكثر من الله، ويقول للناس: أنتم الذي سهلتم هذه المسألة ولو لم تفعلوا ما تسهلت، وهذا شرك بالمولى، فوالله الذي لا إله إلا هو إن لم يسهلها الله ما تسهلت، ويقول لي آخر: أنت الذي فعل وصنع، وأنت الذي قرر، وأنت الذي سهل، وأنت الذي يسر، ونسي الواحد الأحد، فمقاليد الأمور بيد الواحد الأحد، بيده تفل الحبال وتفتل، تبارك الله رب العالمين!

الحق الخامس الخوف من الله، قال تعالى: ﴿ **فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً** ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

إن الإنسان قد يخاف من الأسد، ويخاف من الثعبان، فهذا مركب في الفطرة، لكن بعض الناس يخاف من بعض الناس أن يمنعه الرزق أو يعطله من الحياة، أو يغير عليه القضاء والقدر، أو يمنعه من الولد أو غير ذلك، وهذا سوء ظن بالمولى ﷻ، ويدخل في المسألة: « **وإذا سألت فاسأل الله** » فلا تسأل فيما لا يقدر عليه غير الله ﷻ إلا الله تبارك وتعالى، فإذا سألت غيره ما كان لك من نصيب، وما لُبِّيَ طلبك وخسرت الدنيا والآخرة.

ومن حق الله علينا سادساً عدم الذبح لغيره جل وعلا:

ومعناه: ألا يذبح ذبيحته لغير الله ﷻ، كأن يتقرب بها إلى وثن أو مخلوق أو إلى دفع ضر أو جلب منفعة، الذين يذبحون عند الكهنة والمشعوذين أو يوصوهم بالذبح في صور متعددة، وبعضهم إذا بنا البيت ذبح ليخرج الجن، ولئلا يسكن الجن في البيت، وبعضهم يذبح إذا وصف له مرض مريض فقالوا: لا يشفى مريضك حتى تذبح له تيساً أسود أو تيساً أبيض. وهذا هو عين

الشرك بالله تعالى. أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي دل عباده على طاعته للفوز بجنته، وحذّرهم من معصيته للنجاة من ناره، وأقام لهم الحجة وأوضح لهم المحجة بإنزال كتبه وإرسال رسله، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي دل أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم.

وبعد

سيكون الحديث مع حقوق الحبيب محمد -ﷺ-.

منزلة النبي -ﷺ-

إن شأن المصطفى -ﷺ- عند الله عظيم، وإن قدر الحبيب عند ربه لكريم، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة، نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً- صلوات الله عليهم جميعا- واصطفى من أولى العزم الخمسة الخليلين الحبيبين إبراهيم ومحمداً واصطفى محمداً على جميع خلقه، فشرح له صدره ورفع له ذكره وأعلى له قدره ووضع عنه وزره، وزكاه في كل شيء.

زكاه في عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[النجم:٢]، وزكّاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾، وزكّاه في فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، وزكّاه في بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾، وزكّاه في صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وزكّاه في ذكره فقال سبحانه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، وزكاه كله فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٥]بأبي هو وأمي.

صلى عليه رب العباد ما أمطرت سحبٌ وسال واد ويتجلى تكريم الرب العلى لحبيبنا النبي -ﷺ- في قسَم الله جل وعلا بعمر المصطفى -ﷺ-، بحياة المصطفى -ﷺ-، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير محمد فقال جل وعلا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:٧٢]،أقسم الله بحياة حبيبه المصطفى فيقول ربه له: وحياتك يا محمد.

معنى الآية وحياتك يا محمد إن أهل الشرك إن أهل الكفر لفي ضلالهم يترددون ويتخطفون ويتحيرون: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

بل لم يقسم الله جل وعلا لنبي من أنبيائه بصفة الرسالة إلا لحبيبنا المصطفى فقال جل وعلا: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾،بل وأقسم الله بالضحى: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾أنه ما أهمل محمداً وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه وأن ما أعده له في الآخرة خير له من كل ما أعطاه في دنياه، وقد جمع الله له الكرامة والسعادة في الدارين مع الزيادة فقال جل في علاه: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا

وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ *وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

تدبر معي أيها المحب للحبيب محمد لتقف على قدر حبيبك عند ربه جل وعلا فوالله لقد خاطب الله جميع الأنبياء والمرسلين بأسمائهم مجردة إلا المصطفى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [سورة البقرة: ٣٥]. ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨]﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [(١٠٤، ١٠٥) سورة الصافات]، ﴿يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [(١١، ١٢) سورة طه]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، أما المصطفى -ﷺ- فنادى عليه ربه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاّ قَلِيلًا﴾ [(١، ٢) سورة المزمل].

وتدبر معي هذه الكرامة فإن الله جل وعلا قد خاطب حبيبه -ﷺ- فأخبره بالعفو عنه قبل الفعل الذي فعله قال سبحانه: ﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]. ، وخصه تبارك وتعالى بالشفاعة العظمى في الآخرة وهى المقام المحمود الذي قال عنه جل وعلا: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

رسول الله في ذلك الموقف العظيم والجمع العميم يوم يجمع الله الأولين والآخرين سيكون الشافع المشفع، حين يقول أولياء الله المصطفون: نفسي نفسي، فيقول عليه الصلاة والسلام: «**أنا لها**». فأي شرف بعد هذا؟! وأي كرامة فوق هذ؟!.

ويخر ساجداً تحت عرش الرحمن جل جلاله ويثنى على الله سبحانه وتعالى بمحامد لم يفتح الله به على أحد من قبله فينادي عليه ربه ويقول: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع فيقول المصطفى : «**يا رب..أمتي، أمتي، أمتي**».

وخصّه الله جل وعلا بالوسيلة، والوسيلة هي أعلى منزلة في الجنة كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له شفاعتي**».

وخصه الله بالكوثر هل تعلمون ما الكوثر؟ حوض أو نهر في الجنة ماءه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى مذاقا من العسل، وطينه- أو طيبه، كالمسك الأذفر وعدد آنيته بعدد نجوم السماء قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وفي الصحيحين من حديث أنس

واللفظ للبخاري أن الحبيب النبي -ﷺ- قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه= شاطئاه- قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال جبريل: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ﷻ» يقول الحبيب -ﷺ-: فإذا طيبه- أو طينه- مسك أذفر»[1].

وفي رواية مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - قال المصطفى -ﷺ-: «حوضي أشد بياضاً من الثلج وأحلى من اللين بالعسل عدد آنيته أكثر من نجوم السماء وإني لأرد الناس عنه يوم القيامة- أي: من غير المؤمنين، أي من غير الموحدين- كما يرد الرجل إبله عن حوضه»، فقالوا: وهل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ هل تعرف أمتك من بين سبعين أمة في أرض المحشر هل تعرفنا يومئذ يا رسول الله؟ فقال المصطفى -ﷺ-: «نعم إن لكم يومئذ سيما» أي: علامة تختلفون بها عن كل الأمم « تأتوني أو تردون على غراً محجلين من أثر الوضوء».

ثم أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بعث فيهم محمد -ﷺ- أن يؤمنوا به وأن ينصروه قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

هذه مكانة النبي الأمين -ﷺ- عند رب العالمين، ، يبين لنا هو مكانته عند ربه فيقول -ﷺ- كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: « أنا

سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من ينشق عنه القبر وأنا أول شافع وأول مشفع».

صلوا على من تدخلون بهديه دار السلام وتبلغون المطلبا

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- قال: « **فُضّلت على الأنبياء بست – أي بست خصال—فُضّلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**».

وفى الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: لما أتى للنبي -ﷺ- ليلة الإسراء بالبراق استصعب البراق على النبي -ﷺ- - أي: انتفض البراق، ولم يتمكن النبي -ﷺ- أول الأمر من ركوبه فقال جبريل للبراق: بمحمد تفعل هذا- فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فارفض البراق عرقاً.

محمد-ﷺ-: هذا الاسم الذي يتردد صداه في كل ثانية مع كل أذان في صحراء جزيرة العرب، وفي أدغال إفريقيا، وفي ثلوج سيبيريا، وفي هضاب الصين، وبين ناطحات سحاب باريس ولندن، وعند شواطئ إندونيسيا، لهجاتهم كلهم تختلف، ولكنها تلتقي وتتقارب عند ذكر اسم محمد.

صلى عليه وذو الجلال وصحبه وحزبه والآل

وفى صحيح مسلم من حديث أنس - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: « **آتى باب الجنة** – إن أول من يفتح باب الجنة يوم القيامة هو نبينا، إن الله حرم الجنة على أي مخلوق أن يدخلها قبل المصطفى -ﷺ- لا يدخل الجنة أحد

قبل الحبيب محمد -ﷺ- - **آتى باب الجنة فأستفتح فيقول لي خازن الجنان: من أنت، فأقول: محمد، فيقول الخازن: بك أُمرت ألا أفتح لأحد قبلك**»

والله لا يعرف قدر النبي -ﷺ- إلا الرب العلى، ولم لا؟ ! وهو ﷻ الذي أكمل خلقه ، منّ الله عليه بجمال الصورة واستواء البدن ووضاءة الوجه، وقوّة الفكر والعقل ودقة الفهم وسلامة القلب وكرم النسب وشرف الأصل.

وبالنظر إلى مجموع الروايات الصحيحة التي وصفت خُلق الحبيب المصطفى كما في الكتاب الماتع للإمام الترمذي في كتابه الشمائل المحمدية، يتبين لنا من خلال هذه الآثار والأحاديث الصحيحة أن النبي -ﷺ- كان أحسن الناس وجهاً إذا سُر استنار وجهه كأنه فلقة قمر. كان كث اللحية، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ليس بالطويل ولا بالقصير، إن تكلم كأن نوراً يخرج من بين ثناياه، وما أحلى وأرق وأجمل ما وصفته به أم معبد الخزاعية حين قالت لزوجها، وهي تصف له نبيها -ﷺ- ورسول الله -ﷺ-: قالت: إنه رجل ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، حسن الخلق، أبهى الناس وأجملهم من بعيد، وأحلى الناس وأحسنهم من قريب، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً.

ثم زيّن الله هذا الخلق البشرى بكل سمات الكمال الُخلُقي في بشر زيّن الله هذا الخلق بالحلم والعلم والرحمة والإنابة والتواضع، والزهد، والكرم، والحياء، والمروءة، والشجاعة، والرجولة، والعفة، والعفو، والسخاء، والدين، والعبودية.

بل وجمع له كل الصفات الحميدة وأثنى عليه في آيةٍ واحدة محكمة جامعة مانعة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، فقلت: حدثني عن صفة رسول الله في التوراة، فقال عبد الله بن عمرو: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض ما وصف به في القرآن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وفى التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا».

ومن أحلى وأرق ما وصفه به خادمه أنس - رضي الله عنه - . يقول أنس- والحديث في الصحيحين: خدمت رسول الله -ﷺ- عشر سنين- فوالله ما قال لي: أُفٍ قط ولا قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ .

يقول أنس: وكان أحسن ﷺ الناس خلقاً ووالله ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من عرق رسول الله صلى الله وعلى آله وصحبه .

وفى الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها -: قلت: يا رسول الله هل مر عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

تعلمون أن النبي -ﷺ- في أُحد قد شج وجهه وكسرت رباعيته ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر، وانتشر في أرض المعركة أن رسول الله -

ﷺ- قد قُتل ونزف الدم الشريف من جسده الطاهر، وانتشر في أرض المعركة أن رسول الله -ﷺ- قد قُتل فعائشة الفقيهة تقول للحبيب -ﷺ-: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال الحبيب -ﷺ-: « **لقد لقيت من قومك ما لقيت يا عائشة وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، يوم عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال وهو من أشراف أهل الطائف، فلما لم يجبني إلى ما أردت انطلقت على وجهي وأنا مهموم على وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**».

تعلمون ماذا فعل بالنبي -ﷺ- يوم الطائف، والله ما ذهب إليهم رسول الله -ﷺ- يطلب مالاً ولا جاهاً ولا وجاهة، بل ذهب إلى الطائف على قدميه المتعبتين الدائبتين لم يجد بعيراً ولا حماراً، سار على قدميه قرابة قرابة السبعين كيلو متر على قدميه المتعبتين تحت حرارة الشمس، التي تصهر الجبال وتذيب الحديد، على رمال انعكست عليها أشعة الشمس، فكادت أن تأخذ الأبصار. ذهب الحبيب المختار إلى أهل الطائف ليقول لهم قولوا: لا إله الله تفلحوا في الدنيا والآخرة، فماذا فعل به أهل الطائف؟ رموه بالحجارة بأبي هو وأمي طردوه لم يقدموا له طعاماً، ولا شراباً باستثناء عداس - رضي الله عنه - ، وأرضاه ذلكم الخادم الذي أسلم ومنّ الله عليه بالإيمان في هذه الرحلة.

فلم يرجع النبي -ﷺ- من هذه الرحلة الشاقة إلا بموّحد واحد وعاد النبي -ﷺ- والدماء تنزف من قدمية يقول: « **فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب**» أي في مكان بين مكة والطائف يقول: **فنظرت فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام** »، والحديث في

الصحيحين « فنادى على جبريل وقال: يا رسول الله إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم يا رسول الله» قال الحبيب: " فنادى على ملك الجبال وقال: يا رسول الله لقد أرسلني الله إليك فمرني بما شئت فيهم» ثم قال ملك الجبال" قال: لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت". والأخشبان جبلان عظيمان بمكة.

والله لو أمر النبي -ﷺ- ملك الجبال لحطم ملك الجبال تلك الجماجم الصلدة، وتلك الرؤوس العنيدة ولسالت دماء من الطائف بحوراً وأنهاراً، ليراها أهل مكة بمكة، ولكن نهر الرحمة وينبوع الحنان ولكن الرحمة المهداة والنعمة المسداة ما خرج إلا لله فما انتقم لنفسه أبداً وما غضب لنفسه أبداً، والله ما غضب إلا لله، لا زالت الدماء تنزف من قدميه المتعبتين ومع ذلك يرد نبي الرحمة على ملك الجبال ويقول: « **لا يا ملك الجبال، بل إني أرجو الله تعالى أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله جل وعلا**». من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، صدق الله القائل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: رسول الله رحمةٌ للفاجر والبر فمن آمن به فقد رُحم في الدنيا والآخرة ومن كفر به، فقد رُحم في الدنيا وأُجّل له العذاب في الآخرة لقول الله لنبيه: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣]

وأختم هذا الحديث الرائع الرقراق عن الخلق العالي الرفيع لنبينا -ﷺ- بمشهد رواه الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: صليت يوما مع رسول الله -ﷺ- فعطس أحد القوم في الصلاة فقلت له: يرحمك

الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: وأثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى؟ ! يقول: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم يسكتونني فلما علمت أنهم يسكتونني سكت.

يقول: ولما أنهى النبي صلاته فبأبي هو وأمي والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه والله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني وإنما قال لي: « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» وصدق ربي إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و ثبت في الحديث الصحيح أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله -ﷺ- فبال في ناحية منه فقام إليه الصحابة ليزجروه فمنعهم النبي -ﷺ- وقال لهم: «لا تزرموه» أي لا تفزعوه ولا تهيجوه فلما فرغ الأعرابي من بوله أمر النبي -ﷺ- بذنوب أو بسجل أو بدلو من ماء فاهرق على بوله ثم قال للأعرابي: «إن هذه المساجد لا تصلح شيء من هذا إنما هي لذكر الله والصلاة». وفي رواية أن الأعرابي قال: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحداً. فتبسم النبي -ﷺ- وقال له: «لقد حجّرت واسعاً». فرحمة الله واسعة وسعت الخلق أجمعين.

هذا اللين وهذا الرفق العجيب كان خُلق رسول الله -ﷺ- وعادته ودأبه دائماً في دعوته وفي تعليمه للناس، والرفق واللين هما من أحسن أساليب

الدعوة والتعليم ما دخل الرفق في شيء إلا زانه ولا دخل العنف في شيء إلا شانه.

لما حضرت الوفاة ابن سلول إذا بأبنه يأتي إلى الرسول -ﷺ- يقول: يا رسول الله إن أبي قد حضرته الوفاة وأريد قميصك لأكفنه فيه، عسى الله أن يخفف ما نزل به، وأعطاه النبي -ﷺ- قميصه الطاهر، ومات عبد الله بن أُبي، كبير المنافقين، وإذا بابنه يأتي إلى الرسول -ﷺ- ويقول: يا رسول الله إن أبي قد مات، فقم لتصلي عليه، وقام الرسول عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه، وإذا بالفاروق عمر يقف أمام وجه رسول الله يقول: يا رسول الله إنه منافق، فلا تصل عليه، فيقول عليه الصلاة والسلام: «لم يأمرني الله كما قلتَ يا عمر» فصلى الرسول عليه ودفنه وقام على قبره، وإذا بالوحي ينزل على نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[التوبة: ٨٤]، إنه النبي الرؤوف الرحيم، قال الله عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

وأخيراً: هل عرفت الأمة قدر نبيها؟ .

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها، فأين اتباعها له وطاعتها له، وتطبيق سنته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

من يدعى حب النبي ولم يفد من هديه فسفاهة وهراء

فالحـــب أول شـــرطه وفروضـــه إن كـــان صـــدقاً طاعـــة ووفـــاء

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها -ﷺ-، فلماذا نحّت شريعته وأخرت سنته، وقدمت القوانين الوضعية البشرية وحكّمتها في الأعراض والأموال والدماء والفروج والله جل وعلا يقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

إن ادعت الأمة أنها عرفت قدر نبيها، فلماذا نسمع ونرى من يعتدي على صحابته -ﷺ-.

ونسمع من يدّعي الدين ويسب عائشة أم المؤمنين ويعتدي على عرض نبينا وحبيبنا -ﷺ-.

ونسمع من يرفض سنته، ويقول يكفينا القرآن.

اللهم رُدنا إلى دينك وسنة نبيك رداً جميلاً برحمتك يارب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق النبي المصطفى(٢)

الحمد لله علاّم الغيوب، المطلع على أسرار القلوب، المتجاوز - بمشيئته ورحمته - عن كبائر الذنوب، البصير بسرائر النيات، وخفايا الطويَّات، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل - في الشروط - ووفى، وخلُص عن شوائب الرياء والشرك وصفا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتفرد بالملكوت والملك، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد

ما زلنا وإياكم مع الحبيب المصطفى والرسول المقتفى، مع أستاذ الإنسانية وقائد المسلمين الأعظم، وصاحب الرسالة العصماء سيدنا محمد - ﷺ -.

ما زلنا وإياكم مع حقوق النبي -ﷺ- على أمته.

حقوق النبي -ﷺ- على أمته كثيرة أولها:

الحق الأول الإيمان بنبوته والتصديق برسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة. فمن امن بنبوته وصدق برسالته عليه: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع - ﷺ -.

وقد دلّت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨]. وقال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال ﷻ: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

فالإيمان به -ﷺ- وبرسالته وبكل ما أخبر به من الأمور التي وقعت، والتي لم تقع مما أطلعه الله عليه، الإيمان بذلك كله واجب حتى يكمل إيمان المرء، ولقد بشر النبي -ﷺ- من آمن به ولم يره بشره بطوبى، وهي شجرة في الجنة، فقال -ﷺ-: «طوبى لمن آمن بي ورآني مرة، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع (مرات)». [السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٥].

فالإيمان به -ﷺ- وبرسالته وبكل ما أخبر واجب حتى يكتمل إيمان العبد، ولقد بشر النبي -ﷺ- من آمن به ولم يره بشره بطوبى، وهي شجرة في الجنة، فقال -ﷺ-: «طوبى لمن آمن بي ورآني مرة، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع (مرات)». [السلسلة الصحيحة ٣/ ٤٥].

فمن شك في نبوته أو رسالته فهو كافر.

الحق الثاني من حقوق النبي على أمته: طاعته واتباعه:

فمن آمن بنبوته وصدق برسالته عليه: تصديقُه فيما أخبر، وطاعتُه فيما أمر، واجتنابُ ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع -ﷺ-.

فطاعته -ﷺ- واجبة بكتاب الله ﷻ، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]

وتدبر معي قول الله تبارك وتعالى وهو يبين هذين الحقين العظيمين للرسول -ﷺ- في آية واحدة جامعة، فيأمر الله ﷻ ويقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ أمر، وهذا حجة على من ينكر سنة النبي عليه الصلاة والسلام ويقول: نحن يجب علينا أن نكتفي بالقرآن، ها هو القرآن يأمر الجميع أن يرجع إلى النبي -ﷺ- وإلى امتثال أمره: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧] أمر من الله ﷻ، فالرسول عليه الصلاة والسلام له أمر وله نهي، وأمر الله ﷻ أهل الإسلام وأهل الإيمان أن يمتثلوا أمر النبي -ﷺ-، وأن يجتنبوا نهيه، وأن يقفوا عند الحدود التي حدها -بأبي هو وأمي -ﷺ- فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

فطاعة النبي -ﷺ- طاعة لربه العلي، ومعصية النبي -ﷺ- معصية لله، واقرأ معي قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هكذا، من يطع الرسول فقد أطاع الله، آية حاسمة: ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال جل وعلا: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ أي: احذروا أن لا تطيعوا أمره، واحذروا أن تخالفوه.

ويقول ربنا وتعالى في آية جميلة يلخص فيها ثمرة الطاعة لحبيبه -ﷺ-: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١].

ومن أرق ما ثبت من الأحاديث الصحيحة ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، فهل يوجد أناس يكرهون دخول الجنة؟ نعم بنص الحديث: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى »، (قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ !) فقال -ﷺ-: « من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ».

المؤمن الصادق لا يتفلسف ولا يتحذلق ولا يأخذ ولا يعطي، إن جاءه الأمر من رسول الله -ﷺ- امتثل الأمر، وإن جاءه النهي من رسول الله -ﷺ- اجتنب النهي، وتدبر القرآن -ويا ليتنا نفهم القرآن ونعيش مع القرآن- يقول الله تبارك وتعالى في حق المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥١-٥٢]، وهذا هو شعار المؤمن، أن يقول: سمعنا وأطعنا دون نقاش ولا حرج في أن يطلب من أهل العلم أن يفهموه وأن يعلموه، لكن لا يجوز له ألبتة أن ينكر وأن يرد الأمر والنهي بدعوى أنه لا يفهمه، لا.

وروى أحمد في مسنده وأبو داوود في سننه أن رسول الله - ﷺ- قال

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »،

وقال -ﷺ-: «ألا إني أُوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، ويقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتهم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» [أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح].

وعن أبي داود وابن ماجة بسندٍ صحيح، قال -ﷺ- : «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه».

إنها معجزة ونبوة للنبي -ﷺ- أنه سيظهر من أمته من ينكرون السنة ويقولون نكتفي بالقرآن فقط وهذه معصية واضحة للنبي -ﷺ-.

ولابد من الحذر كل الحذر من مخالفة أمره ﷺ وعدم معصيته لأن ذلك مما يحبط الأعمال ويوجب النيران، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

و تَوَعَّدَ الله المعْرِضِينَ عَنْ هَدْيِ رَسُولِه الْمُخَالِفِينَ أَمْرَهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فَقَالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣]

عباد الله:

اتِّبَاعُ النَّبِيِّ -ﷺ- هُوَ الْبُرْهَانُ الْحَقِيقِيُّ عَلَى من ادعى حب الله، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَدْ بيَّن اللهُ تَعالَى أَنَّ رَحمَتَهُ لَا ينالها إلا أَهْلَ الاِتِّبَاعِ وَالاِنْقِيَادِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

الحق الثالث للنبي -ﷺ- على أمته ـ وجوب الإيمان بأنه -ﷺ- بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه. قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي -ﷺ- أنه قال: « **وأيمُ الله لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء** » [سنن ابن ماجه]. وقد شهد للنبي -ﷺ- بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله إلى أن قال لهم: « **وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون** ». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: « **اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات** » [أخرجه مسلم]. وقال أبو ذر - رضي الله عنه - : (لقد تركنا محمد -ﷺ- وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علما) [أخرجه أحمد في المسند].

فـي مدحـه تتنـافس الأقـلامُ ... وبذكـره تتشـرَّف الأقـوام

أنـا إن كتبـتُ الشعرَ أمدح سيدي ... طـه فهـذا الفخـرُ والإكـرامُ

فَلَـكَ المهابـةُ فـي القلـوب جميعِهـا ... واليـك يـا خيـرَ الأنـامِ سـلام

الحق الرابع من حقوقه -ﷺ- محبتـه -ﷺ- وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق.

محبة المصطفى أصلٌ إيماني وواجب شرعي، وبغضه ناقضٌ إيماني وفسادٌ اعتقادي كمال حبه من كمال الإيمان ونقصه من نقص الإيمان.

وفي الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال النبي -ﷺ-: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »

ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدمة على محبة المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]. فقرن الله محبة رسوله -ﷺ- بمحبته ﷻ وتوعد من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله - توعدهم بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾.

. وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال للنبي -ﷺ-: يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي -ﷺ-: « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ». ففكر عمر وفكر من هو الشافع والمشفع الرحمة المهداة ، ومن سيكون سبب لنجاته بعد الله، فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي -ﷺ-: « الآن يا عمر » [رواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام برقم (٦٦٣٢)].

والله ما محبته ﷺ كلماتٍ تقال ولا قصص تثار، ولا أبيات تُقرأ ولا احتفالات ولا مهرجانات تُقام، إنها عملٌ قلبي من أجّل أعمال القلوب،

وعاطفة يجدها المحب في قلبه تدفع لإتباعه وطاعته، وتمثل سنته وأخلاقه وسيرته.

يخرج أهل مكة من الحرم ليقتلوا أسيراً مسلماً محباً صادقاً ويُرفع علي الخشبة مصلوبا ثم يُقال له:« **ننشدك الله أتحبُّ أن محمداً مكانك تُضربُ عنقه وانت آمنٌ في أهلك** فقال: «**والله الذي لا إله إلا هو ما أُحِبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي**».

أبو بكرٍ رضي الله عنه سحابةٌ من حبٍّ تظل رسول الله -ﷺ- في طريقه إلي الغار جعل من جسده درعاً يحمي به رسول الله -ﷺ-يتذكر أن فتيان قريش تلحقهم فيمشي بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله يقلّب عينيه خوفا عليه ﷺ لمحهُ -ﷺ-فقال:« **يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني**»، قال: نعم والذي بعثك بالحق»

ذاك جسد المحب أما ماله فمنثور بين يدي رسول الله حمله أبو بكرٍ كله:« **ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر** »قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

لما اجتمع أصحاب رسول الله فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا الح أبو بكر على رسول الله في الظهور فقال: «**يا أبا بكر إنا قليل**» فلم يزل يلح على رسول الله حتى ظهر رسول الله وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، وقام الصديق خطيبا بلا إله إلا الله، كان أول خطيبٍ دعا إلى الله في أهل مكة؛ فثار عليه المشركون وضربوه ضرباً شديداً غيَّر ملامحَ وجهه حتى ما يُعرف وجهه من أنفه، ثم حُمل إلي بيته في ثوب فاقد الوعي لا يُشك في موته. فما تكلم إلا آخر النهار تُري ما أولُ ما قال؟ لقد قال:« **ما فعل رسولُ الله**- ﷺ-؟ يا الله رجلٌ بين الحياة والموت ينسى نفسه، وتغيب آلامٍ تنهش جسده ليذكر شيئاً واحداً

وهو السؤال عن رسول الله -ﷺ- يُعرض عليه الطعام فيأبي ويقول:« **إن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً أو أشرب شراباً حتي أري رسول الله** - ﷺ-**ما فعلَ رسول الله** - ﷺ-» فلم يهدأ حتي حُمل يتهادى بين أمه وأم جميل بنت الخطاب فرأى رسول الله - ﷺ- سالماً قام إليه المصطفى فقبّله ورق له رسول الله رقةً شديدة؛ فقال أبو بكر: «**بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي من بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي**»، لقد كان يشعر -رضي الله عنه -بأن حياته وكل ما يملكه لا يساوي شيئاً أمام سلامة رسول الله - ﷺ-.

من أحب المصطفى كانت له هذه ثمرات منها :

أولها : **الشعورُ بحلاوة الإيمان** تلذذاً بالطاعات وتحملاً للمشقات وإيثاراً لذلك على جميع أعراض وأغراض الحياة، ثبت أن رسول -ﷺ- قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: ذكر منها : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،** » [البخاري].

وللإيمان حلاوة في القلب لا يعبر عنها إلا من ذاقها فاللهم لا تحرمناها.

ثانياً: أن مُحب المصطفى سيكون معه في الآخرة، وكفي بها من ثمرة عالية ها هو أحدهم يأتي رسولَ الله- ﷺ- ذات يومٍ وقد تغيَّر لونه يُعْرَفُ الحزن في وجهه فقال له رسول الله ما بك؟ فقال يا رسول الله ما بي من شيء إلا أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتي ألقاك ثم أني إذا ذكرتُ الآخرة أخافُ ألا أراك، إن دخلت الجنة كنتُ في منزلة دون منزلتك، وإن لم أدخلها لم أرك أبداً فتكفل الله بالجواب لينزل جبريل بالوحي فصمت رسول الله -ﷺ- يوحى إليه ثم قال: قال الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ [النساء:٦٩] فلا تسأل عن حاله نطقت مدامِعّه بما في قلبه، وعن الجواب لسانه لا ينطق. في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ - قال: جاء رجل إلي رسول الله -ﷺ- فقال :«**يا رسول الله كيف تقولُ في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم؟** فقال رسول الله -ﷺ-: «**المرءُ مع من أحب**» وقال لآخر «**أنت مع من أحببت**»..

فما فرح الصحابة بشيءٍ فرحهم بذلك يقولُ أنسٌ ﷺ - :«**فأنا أحب النبي وأبو بكر وعمر وأرجوا أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم**»،

إني أري حبَّ النبي عبادةً ينجوا بها يوم الحساب المسلم

لكن إذا سلك المحبُ سبيلهُ متأسياً ولهديه يترسم

عبد الله:

إن أردت اللحاق بمحمد وآله وصحبه فأحبهم واسلك طريقهم، وأبذل غاية جهدك، واستفرغ وسعك إن فعلت كنت معهم ولو لم تبلغ عملهم.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحشرنا في زمرة محمدٍ وصحبه إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق النبي المصطفى (٣)

الحمد لله الجواد الكريم الشكور الحليم، أسبغ على عباده النعم ودفع عنهم شدائد النقم وهو البر الرحيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الفضل العظيم، والخير العميم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليما.

هذا هو اللقاء، الثالث مع حقوق النبي المصطفى والرسول المجتبى على امته، ووقفنا مع أربع منها في اللقاء الماضي: **الحق الأول**: الإيمان بنبوته والتصديق برسالته، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن:٨]

الحق الثاني: طاعته واتباعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمد:٣٣]

الحق الثالث: الإيمان بأنه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وقد شهد له بذلك الصحابة الكرام في أكبر مجمع لهم في حجة الوداع أنه بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ونحن بعد أربعة عشر قرن نشهد أنه بلغ وأدى ونصح فاللهم اشهد الحق الرابع محبته وتقديم محبته على النفس، والمال والولد فهو القائل بأمي أمي : قال: قال النبي -ﷺ-: « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » .

الحق الخامس: **الانتِصَارُ لَهُ** ﷺ: وَهُوَ مِنْ آكَدِ حُقُوقِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، فَأَمَّا فِي حَيَاتِه فَقَدْ قَامَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ -ﷺ- بِهَذِهِ المهِمَّةِ خَيرَ قِيامٍ.

وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَالذَّب والدفاعُ يَكُونُ عَنْ سُنَّتِه إِذَا تَعَرَّضَتْ لِطعنِ الطَّاعِنِينَ وَتحرِيفِ الجَاهِلِينَ وَانْتِحَالِ المبْطِلِينَ.

وَيَكُونُ الذَّبُّ كَذلِكَ عَنْ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ إِذَا تَنَاوَلَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ أَوْ سُخْرِيَةٍ، أَوْ وَصَفَهُ بِأَوْصَافٍ لَا تَلِيقُ بِمَقَامِهِ الْكَرِيمِ - ﷺ-.

ولنعلم علم اليقين أن السخرية من رسول الله - ﷺ-لا تضيره في قليل ولا كثير، ولا قبيل ولا دبير، لأن الله رفع قدره وأعلى ذكره .

ايها المؤمنون:إن أمة يُطعن في نبيها ويُسخر من رسولها جهارا علانية في وقاحة وسفاهة وحماقة ، ثم تصمت أو تدافع على استحياء وخورٍ وضعف أمة لا تستحق الحياة .

ماذا سيبقى من كرامة ديننا إن سكتنا وصمتنا حين يهان بنبينا.

.

فيا موت زُر إن الحياة ذميمةٌ ويا نفس جدى إن دهرك هازلُ

نقول لمن يتجرأ على نبينا إنا نعرفُ قدر نبينا، ونحنُ له فدا، ومعه علي الهدى ولو في سمِّ الخياط، أو على مثل حدِّ الصراط، كلماتٍ عبَّر عنها أولنا ويقولها أخرنا وماتَ عليها سلفنا، ويبقى عليها خلَفنا بإذن ربنا وحسان إمامنا

فإن أبي ووالدَهُ وعرضي لعرضِ محمدٍ منكم وقاء

يـا خيـرَ مختـار وأكـرمَ مرسـلٍ يـامن رقـى ثُـمَّ ارتقـى أعلـى الـذرا
يـا خاتمـاً للمرسـلينَ ورحمـةً للعـالمينَ وخيـرَ مـن وطـئَ الثـرى
نـالوكَ بالفعـلِ المشـينِ واكثـروا زوراً وبهتانـاً وقـولاً مفتـرى
بـل أنـت عـند اللـه أشـرفُ خلقـهِ خيـرُ الخلائـق مـن قـلاكَ تعثـرا
يـامن تمـادى فـي مهانـة أحمـد أنـت الحقيـر وسـيدي نـور سـرى
يـا فاسـقاً يبغـي الرسـول بشـينةٍ أنـت الصـغير وهـو الكبيـر بـلا مـرا
يـا نابحـا يبغـي السـباب لأحمـدٍ إلا رسـول اللـه يـا كلـب القـرى
تبـاً لحكـامٍ..... يهان نبـيهم أرضـوا مـن الأعـداء قـولا منكـرا
بـاعوا الـذي يبقـى بمـا يفنـى فقـد بـاعوا الـولاء تهـودا و تنصـرا
يـا جـاهلاً فضـلَ النبـي وآلـهِ اسـمع لفصـلِ القـولِ ثـمَّ تـدبرا
هـذا رسـول اللـه. هـذا حبـهُ مـن أم كـل المرسـلينَ وكبـرا
صـلى عليـهِ اللـهُ..... ﷻ مـن أرسـل الهـادي بشـيراً منـذرا

الحق السادس من حقوقه -ﷺ- على أمته الاقتداء به ﷺ:

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فقد أمر الله - جل وعلا- نبيه ﷺ بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل. وأمرنا نحن باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. أي إن لكم فيه ﷺ قدوة صالحة في أفعاله وأقواله فاقتدوا به، فمن اقتدى به ﷺ وتأسى به سلك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم

فهو - عليه الصلاة والسلام - الأسوة الحسنة التي يوفق للاقتداء بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، لما يرجو من ثواب ربه، وما يخشاه من عقابه وعذابه.

كل ذلك حاث وحافز ودافع للاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله.

الحق السابع للنبي ﷺ نَشْرُ دَعْوَتِه وِ تبليغ رسالته وسنته؛ فإنَّ مِنَ الوَفَاءِ لِرسُولِ اللهِ أَنْ نَقُومَ بِنَشْرِ الْإِسْلامِ، وَتَبْلِيغِ الدَّعْوةِ فِي كَافَّةِ أَصْقَاعِ الْأَرْضِ، فَقَدْ قَالَ النبيُّ -ﷺ-: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيةً**»، [رواه البخاريُّ]، وَقَالَ عليه الصلاة والسلام: «**لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَمِ**»[متفق عليه] والدعوة إلى الله أشرف مقام وأعلى وسام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٣]

و هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، قالَ تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].وأبشروا فإن هناك دراسات علمية حديثة تثبت أن الإسلام في ازدياد مهول في أوروبا وأمريكا، وأنه سيكون منافسا على المرتبة الأولى بين الأديان هناك، وصدق الله القائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]

الحق الثامن للنبي -ﷺ- تعظيمه وتوقيره وإجلاله. فإن هذا من حقوق النبي -ﷺ- التي أوجبها الله في كتابه. قال تعالى: ﴿ **لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ** ﴾ [الفتح: ٩]. وقال تعالى: ﴿ **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا**

﴿ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قال ابن عباس: " تعزروه: تجلوه. وتوقروه: تعظموه ". وقال قتادة: " تعزروه: تنصروه. ". وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات: ١]. وقال ﷻ: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]. قال مجاهد: " أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم ". وقد ضرب أصحاب النبي -ﷺ- أروع الأمثال في تعظيم النبي -ﷺ-.

قال أسامة بن شريك: " أتيت النبي -ﷺ- وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير ". وتعظيم النبي -ﷺ- واجب بعد موته كتعظيمه في حياته. قال القاضي عياض: " واعلم أن حرمة النبي -ﷺ- بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره -ﷺ-، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته ".

الحق التاسع للنبي -ﷺ- الصلاة والسلام عليه والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال المبرد: " أصل الصلاة: الترحم. فهي من الله رحمة. ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله ". وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- أنه قال: « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا » [رواه مسلم برقم (٣٨٤)].

وهناك مواطن حثنا عليها النبي ﷺ فيها بالصلاة عليه ﷺ:

١- وهو أهمها وأكبرها وقد أجمع المسلمون على مشروعيته وذلك في

التشهد الأخير في الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة الأربعة عشر، من تركها متعمداً بطلت صلاته، فقد أخرج البيهقي بسند قوي عن الشعبي -وهو من كبار التابعين- قال: «**من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته**».

٢- في صلاة الجنازة، بعد التكبيرة الثانية، ورد في السنة، أنه بعد التكبيرة الأولى: يقرأ الفاتحة، و بعد التكبيرة الثانية: يصلي على النبي ﷺ، وبعد التكبيرة الثالثة: يدعو للميت، وبعد التكبيرة الرابعة: ينتظر قليلاً ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه.

٣- في الخطب: كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها.

٤- بعد إجابة المؤذن، لما روى الإمام أحمد - رحمه الله -عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى عليَّ صلى الله عليه بها عشراً. .** »

[رواه البخاري (١/ ١٢١، ٩٣) ومسلم وأبو عوانة والنسائي والدارمي والبيهقي والسراج ، إرواء الغليل (١/ ٣١٦).].

٥- عند ذكره ﷺ أو كتابته، لقوله ﷺ: «**البخيل من ذُكرت عنده فلم يصل علي**» [الترمذي وهو حسن صحيح]، وذكر ابن حجر في فتح الباري، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**من ذُكرت عنده ولم يصل عليَّ فمات فدخل النار فأبعده الله**» [الترمذي وصححه الحاكم وله شواهد].

٦- يوم الجمعة وليلتها، فعن أوس بن أوس - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم -عليه السلام- وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ**»

قالوا: يا رسول الله: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت -أي بليت- قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء -عليهم السلام-**» [النسائي وصححه الألباني].

٧- عند دخول المسجد والخروج منه، عن فاطمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم، وقال: «**رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك**» وإذا خرج قال: «**رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك**» [رواه الترمذي وصححه الألباني].

٨- قبل الدعاء وبعده، فالداعي يبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، ثم يختم دعاءه بالصلاة على النبي ﷺ، لما ورد: «**الدعاء بين الصلاتين عليّ لا يرد**» [أورده القاضي عياض بن موسى بن عياض في كتاب الشفا]. ولقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي على النبي ﷺ، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله -عز وجل- والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء**» [حديث صحيح رواه الحاكم وغيره].

الحق العاشر للنبي -صلى الله عليه وسلم- الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة والمعجزات المباركة كتكثير الطعام بين يديه ونبع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر وغيرها من المعجزات النبوية، والتصديق بكل ذلك والثناء عليه به ونشره في الناس، وتعليمه للصغار وتنشئتهم على محبته وتعظيمه ومعرفة قدره الجليل عند ربه عز وجل.

الحق الحادي عشر من حقوقه -صلى الله عليه وسلم- تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك فإن

في ذلك أعظم الأذية له -ﷺ-. قال تعالى آمرًا نبيه -ﷺ- أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]. وبقوله: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فأمر اللهّ نبيه -ﷺ- أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بمَلَك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. كما حذر النبي -ﷺ- أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه. ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -عن النبي -ﷺ- أنه قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله » [صحيح البخاري]. والإطراء: هو المدح بالباطل ومجاوزة الحد في المدح ذكره ابن الأثير. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء رجل إلى النبي -ﷺ- فراجعه في بعض الكلام فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله -ﷺ-: « أجعلتني لله ندًّا بل ما شاء الله وحده » [رواه الإمام أحمد في المسند]. فالغلو في النبي -ﷺ- محرم بشتى صوره وأشكاله.

ومن صور الغلو في النبي -ﷺ-التي تصل إلى حدّ الشرك، التوجه له بالدعاء فيقول القائل: يا رسول الله افعل لي كذا وكذا. فإن هذا دعاء والدعاء عبادة لا يصح صرفها لغير الله. ومن صور الغلو فيه -ﷺ- الذبح له أو النذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم لأنه عبادة وقد نهى الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين فقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

إذا كان الغلو في النبي المصطفى محرم فكيف بمن يغالي في علي - رضي الله عنه - أو الحسين - رضي الله عنه - ويرفعهم إلى منزلة فوق النبيين والمرسلين بل فوق الملائكة.

إذا كان دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- حرام فكيف بمن يدعون الحسين - رضي الله عنه -من دون الله.

بل وصل الحال بأقوام يدعون محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن قالوا أن زيارة إلى قبر الحسين تعدل ثمانين حجة إلى بيت الله الحرام.

الحق الثاني عشر من حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه

وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلا لهم. فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال تعالى في حق قرابة رسوله -صلى الله عليه وسلم-وأهل بيته: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣]. جاء في تفسير الآية: " قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا إلا أن تودوا قرابتي ". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قام خطيبًا في الناس فقال: « أما بعد ألا أيها الناس. فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ». فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. أُذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي » [صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨)]. فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم

وحقهم، لقربهم منه وشرفهم. كما أوصى النبي -ﷺ- بأصحابه خيرًا ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -عن النبي -ﷺ- قال: « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** » [صحيح البخاري]. وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله -ﷺ- وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال. قال أبو زرعة: « **إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق** ». وقال الإمام أحمد: « **إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله -ﷺ- (أي بسوء) فاتهمه على الإسلام** ».

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق زوجات النبي المصطفى

الحمد لله القائل: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾، [الإسراء:٨١]وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له القائل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١٨].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلوات ربي عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليما.

وبعد

إن من حقوق سيدنا ونبينا محمد -ﷺ- تعظيم أزواجه أمهات المؤمنين واحترامهن وإكرامهن وتوقيرهن والدعاء لهن كيف وقد أثنى عليهن الله ﷻ أثنى عليهن في كتابه فقال: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ [الأحزاب:٣٢]،وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب:٣٣]، و زوجات النبي -ﷺ- داخلات في هذه الآية كذوي قرابته وقال سبحانه في بيان فضلهن وعظيم قدرهن وعظيم

حقهن: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، أمهاتهم في الحرمة وفي وجوب الاحترام والإكرام والتوقير والإعظام فإن من توقير النبي -ﷺ- وتعظيمه واحترامه احترام عرضه وتوقير أهله وتعظيم أزواجه -ﷺ- فمن عظّمهن ووقرهن فبحبه للنبي المصطفى -ﷺ- وتوقيره له وتعظيمه له يفعل ذلك وقد أجمع العلماء بأن النبي -ﷺ- تزوج ودخل بإحدى عشر امرأة عشر منهن: من العرب وواحدة من بني إسرائيل من ذرية النبي هارون عليه السلام، وقد ماتت اثنتان منهن في حياته -ﷺ- وهما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، وتوفي -ﷺ- عن تسع منهن: وهن سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر الفاروق، وهند بنت أبي أمية أم سلمة، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، ورملة بنت أبي سفيان التي هي أم حبيبة، وصفية بنت حيي التي هي من ذرية هارون عليه السلام، وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنهن وأرضاهن فهؤلاء النساء الكريمات هن حلائل سيدنا ونبينا محمد -ﷺ- وأزواجه وهن أفضل النساء وأطيب النساء وأزكى النساء وأطهر النساء، كيف لا يكن كذلك وهن زوجات أطيب الخلق وأطهر الخلق وأفضل الخلق سيدنا محمد -ﷺ-،والله تعالى يقول في كتابه: ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦]،اثنتان منهن اختارهم الله تبارك وتعالى لنبيه -ﷺ- الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر جاء جبريل إلى النبي -ﷺ- أتاه بصورتها في خرقة من حرير قبل أن يتزوجها والأخرى زينب بنت جحش التي قال الله ﷻ فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]زوّجها الله تعالى لنبيه فكانت تفخر

بذلك - ﵂ - فتقول: «**أنت زوجّكن أهاليكن وأنا زوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات**».

هؤلاء هن أزواج النبي -ﷺ- وأزواجه أمهات المؤمنين أطيب النساء وأطهر النساء وأزكى الزوجات جعلهن الله أمهات المؤمنين لعظيم قدرهن وعظيم حقهن. كيف لا يكن كذلك وهن زوجات أطيب الخلق، وأطهر الخلق وأفضل الخلق سيدنا محمد -ﷺ- والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور:٢٦]،

خديجة - ﵂ -

أُولى الطيبات من أمهاتنا الكريمات، العاقِلَة الحاذِقة، ذاتُ الدين والنسب، **خديجة بنت خُويلدٍ** - ﵂ -، نشأت على الخلق والأدب، واتَّصفت بالعفّة والشرف، كانت تُدعَى بين نساءِ مكّة بالطاهرة. تزوَّجَها المصطفى - ﷺ -فكانت نِعمَ الزوجةُ له، آوَته بنفسِها ومالها ورجَاحةِ عقلها .. نزل عليه الوحيُ فرجَع إليها يرجُف فؤادُه من الخوف، فتلقَّته بقَلبٍ ثابت وقالت له: كلاَّ والله، لا يخزيك الله أبدًا .[صحيح البخاري: كتاب التفسير (٤٩٥٤) عن عائشة -﵂- . وهو أيضا عند مسلم في الإيمان (١٦٠)..

تقول كلا بل وألف كلا ... يا من تعين عاجزا وكلا
والله لا يخزيك رب الناس ... يا واصل الأرحام والمواسي

. قال ابن الأثير -﵀-: «**خديجة أوّلُ خلقِ الله إسلامًا بإجماعِ المسلمين، لم يتقدَّمها رجلٌ ولا امرَأَة**» اهـ[أسد الغابة (١/ ١٣٣٧)] .

وعظُمَت الشّدائِد عليه -ﷺ- ، فكانت له قلبًا حانيًا ورأيًا ثاقبًا، كما في المسند أنه -ﷺ-قال: «**آمنت بي إذ كَفَر بي النّاس، وصدّقتني إذ كذَّبني الناس، وواسَتني بمالها إذ حرَمني الناس، ورزَقني الله ولدَها إذ حرمني أولادَ النساء**»

[مسند أحمد (٦/ ١١٧) عن عائشة -رضي الله عنها-، وأخرجه أيضا الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣)، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤)].

زوجةٌ بارّةٌ، وأمّ حنون، جميع أولادِه -ﷺ-منها سوَى إبراهيم.

في الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ -ﷺ-فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللَّه، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عز وجل وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَب، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» [صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٨٢١)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٣٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه-].

قال ابن القيّم -رحمه الله-: «**وهي فضيلةٌ لا تُعرَف لامرأةٍ سِواها**» اهـ . [زاد المعاد (١/ ١٠٢)]. وقال السّهيليّ -رحمه الله-: «**إنما بشَّرها ببيتٍ في الجنة، لأنها لم ترفَع صوتَها على النبيّ ﷺ ، ولم تُتعِبه يومًا من الدهر، فلم تصخَب عليه يومًا، ولا آذته أبدًا**» اهـ [انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢٧)].

كانت عظيمةً في فؤادِ النبيّ -ﷺ-، فلم يتزوَّج امرأةً قبلَها ولم يتزوَّج امرأةً معها إلى أن قضَت نحبَها في عام الحزن، العام العاشر من البعثة، فحزِنَ لفَقدِها حزناً شديداً، وكان -ﷺ-إذَا ذكرَها أعلَى شأنَها ، وأثنى عليها واستغفر لها، [أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ١٣)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤): \"أسانيده

حسنة\"].وربَّما يذبح الشاةَ، فيُقطِّعُها أعضاءً، ثمّ يبعثها إلى صديقاتِها .. وسمع يوماً صوتَ أختِها هالة، فتذكر استئذان خديجة وقال: «**اللهم هالة**».

كمُلَت في دينها وعقلِها وخلُقها، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النّساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران، وآسيةُ امرأة فرعون، وخديجة بنتُ خويلد**» [أخرجه ابن مردويه من طريق شعب عن معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعا كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٣).].

سبَقَت نساءَ هذه الأمة في الخيريّة والشرف والسناء، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**خيرُ نِسائِها ـ أي: في زمانها ـ مريمُ بنت عمران، وخير نسائِها ـ أي: مِن هذه الأمّة ـ خديجة**» متفق عليه[صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٨١٥)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٣٠) عن علي -رضي الله عنه-.].

صَلحت في نفسِها وأصلَحَت بيتَها، فجَنَت ثمرةَ جُهدها، فأصبَحَت هي وابنتُها خيرَ نساء العالمين في الجنّة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**أفضَلُ نِساء أهلِ الجنّة خديجةُ وفاطمة ومريمُ وآسية**» [مسند أحمد (١/ ٢٩٣، ٣١٦، ٣٢٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، وأخرجه أيضا عبد بن حميد (٥٩٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٩٣، ٩٤)، وأبو يعلى (٢٧٢٢)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٦، ٢٢/ ٤٠٧، ٢٣/ ٧)، وصححه ابن حبان (٧٠١٠)، والحاكم (٣٨٣٦، ٤١٦٠، ٤٧٥٤، ٤٨٥٢)، وحسنه النووي في تهذيب الأسماء (٢/ ٣٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٣): \"رجالهم رجال الصحيح\"، وهو في صحيح الجامع (١١٣٥).].

سَودةُ بنتُ زَمْعَة ـ رضي الله عنها ـ

ومن أمهاتنا الكريمات الثالثة: سَليمَةُ القلب، **سَودةُ بنتُ زَمْعَة** - رضي الله عنها -، أوّلُ من تزوّجَ بها النبيّ -صلى الله عليه وسلم- بعد خديجَة، وكانت جليلةً نبيلَة، نقيةَ السّريرةِ، وَهَبت يومَها لعائشةَ - رضي الله عنها -، تبتَغِي رِضَا الله برِعايةً قلب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

عائشة – رضي الله عنها –

وأما أمنا الكريمة الثانية، فهي عائشة بنتُ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنهما، ولدت في بَيتِ الصّدقِ والتّقوَى، أمُّها صحابية، وأختُها أسماء ذاتُ النطاقين صحابيّة، وأخوهَا صحابيّ، ووالِدُها صِدّيقُ هذه الأمة، وعلاَّمَةُ قريشٍ ونَسَّابَتُها .. منحَها الله ذكاءً متدفِّقًا وحفظًا ثاقِبًا، قال ابن كثيرٍ –رحمه الله–: «**لم يكن في الأمَمِ مثلُ عائشَةَ في حفظها وعلمِها وفصاحتِها وعَقلها**» اهـ[البداية والنهاية (٣/ ١٢٩)].، وقال الذهبي –رحمه الله–: «**أفقَهُ نساءِ الأمّة على الإطلاق، ولا أعلَمُ في أمّة محمد، بل ولا في النّساء مطلَقًا امرأةً أعلَمَ منها**»اهـ[سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠)].

وفي الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: «**فضل عائشةَ على النساء كفضلِ الثريد على سائر الطعام**»[صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٧٦٩، ٣٧٧٠)، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٣١، ٢٤٤٦) عن أبي موسى الأشعري وعن أنس بن مالك –رضي الله عنهما] .

أحبَّها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وما كان ليحبّ إلا طيّبًا، يقول عمرو بن العاص: أيّ النّاس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: **عائشة**، قلت: فمن الرجال؟ قال: **أبوها**.[صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٦٢). وهو أيضا عند مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٢٣٨٤)] .

و عن عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: لمَّا رأيتُ مِن النبي –صلى الله عليه وسلم– طِيبَ النَّفْس قلت: يا رسولَ الله، ادعُ اللهَ لي، فقال: «**اللهمَّ اغفرْ لعائشةَ ما تقدَّم مِن ذنبِها وما تأخَّر، وما أسَرَّتْ وما أعْلَنتْ**»، فضحِكتْ عائشةُ حتى سقَط رأسها في حجْرِ

رسولِ الله -ﷺ- من الضحِك، فقال: «**أيَسرُّكِ دُعائي؟**»، فقالت: وما لي لا يَسرُّني دعاؤك؟ ! فقال: «**واللهِ إنَّها لدَعْوَتي**»[أخرجه البزَّار في مسنده، وحَسَّنه الألباني].

لم يتزوَّج بِكرًا غيرَها، ولا نزَل الوحيُ في لحافِ امرأةٍ سواها، عَفيفةٌ في نفسها، عابِدةٌ لربِّها، وقد اُبتليت في عرضها بما قاله أهل الإفك، والله يبتلِي من يحِبّ من عباده، قالت: فبَكَيتُ حتى لا أَكتحِلَ بنوم، ولا يَرقأَ لي دَمع، حتى ظنَّ أبواي أنّ البكاءَ فالِقٌ كبِدِي .. واشتدَّ البلاء بها، فغارَ الله لها، وأنزَل براءتها في عشرِ آيات تُتلَى في كتاب ربها، فسمَا ذكرُها وعلا شأنُها؛ وشَهِدَ الله لها بأنها من الطيّبات، ووعَدَها بمغفرةٍ ورزقٍ كريم . ولم تزل ساهِرةً على نبيِّنا -ﷺ-، تمرِّضُه وتقوم بخدمتِه، حتى توفِّيَ في بيتها، ورأسه بين صدرها ونحرِها.

حفصةُ بنت عمَرَ بن الخطاب - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات الرابعة: الصّوّامة القوّامَةُ **حفصةُ بنت عمَرَ بن الخطاب** - رضي الله عنها - ، نشَأت في بيتِ نُصرةِ الدين، سَبعةٌ مِن أهلها شهدوا بدرًا، تقول عنها عائشة - رضي الله عنها -: هِي التي كانت تُسامِيني (يعني تنافسني) من أزواجِ النبيّ -ﷺ-[الثابت في الصحيحين وغيرهما أن عائشة -رضي الله عنها- قالت ذلك في زينب بنت جحش - رضي الله عنها - كما في قصة الإفك، وقد أخرجها البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)].

زينبُ بنت خُزيمة الهلاليّة - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات الخامسة : المُنفقةُ المسارعة في الخيرات، **زينبُ بنت خُزيمة** الهلاليّة - رضي الله عنها -: ، مكثَت عند النبيّ -ﷺ-شهرَين ثم توفِّيَت.

رملةُ بنت أبي سفيانَ - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات السادسة : المهاجرة المحتسِبَة، أمّ حبيبة، **رملةُ بنت أبي سفيانَ** - رضي الله عنها -: و ليس في أزواجِهِ مَن هي أقربُ نسبًا إليه منها، عقَدَ عليها وهي في الحبَشَة فارّةٌ بدينها، وأصدَقَها عنه صاحِبُ الحبَشَة وجهَّزها إليه.

هندُ بنت أبي أميّة- رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات السابعة: الصّابِرة الحيِيَّة أمّ سلمة - رضي الله عنها -**هندُ بنت أبي أميّة**، مِنَ المهاجرات الأوَل، ولمّا أرادتِ الهجرةَ إلى المدينة مع زوجِها أبي سلمة فرَّقَ قومُها بينها وبين زوجِها وطِفلِها، قالت: فكُنتُ أخرج كلَّ غداة وأجلس بالأبطَح، فما أزال أبكي حتى أُمسِي، سنةً كاملة أو قريبًا منها، حتى أشفَقوا عليَّ فأعادوا إليَّ طفلي .. وفي صحيح مسلم قالت أم سلمة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**، قَالَتْ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-؟ ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ، رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-[صحيح مسلم: كتاب الجنائز (٩١٨)].

زَينبُ بنتُ جَحشٍ - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات الثامنة: أمّ المساكين **زَينبُ بنتُ جَحشٍ** - رضي الله عنها -، الشريفة النسيبة، بنتُ عمّةِ رسول الله، زوَّجَها الله نبيَّه بنصِّ كتابِه، بلا وليٍّ ولا شاهد، قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧]،كانت سخِيَّةَ العطاءِ للفقراءِ، كثيرةَ البرّ والصدقة، ومع شريف مكانتِها وعلوِّ شأنها

كانت تعمَل بيدها، تدبَغ وتَخرِز، وتتصدَّق من كسبِها، قالت عائشة - رضي الله عنها -: «**ما رأيتُ امرأة خيرًا في الدّين من زينب؛ أتقى لله، وأصدَقَ حديثًا، وأوصَلَ للرّحم، وأعظمَ صدقة**[صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٢)].

جويريّةُ بنتُ الحارث - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات التاسعة: العابدة الذاكرة، **جويريّةُ بنتُ الحارث** - رضي الله عنها -، أبوها سيِّدٌ مطاع في قومه، وكانت في سبي بني المصطلق، فأعتقها - صلى الله عليه وسلم - وجعل عتقها صَداقها، ومَنَّ على قومها. تقول عائشة - رضي الله عنها -: «**ما رأيتُ امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومِها منها**[أخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وأبو داود في العتق (٣٩٣١)، والحاكم (٦٧٨١)، وصححه ابن الجارود (٧٠٥)، وابن حبان (٤٠٥٤، ٤٠٥٥)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٢٧).].

كانت كثيرةُ التعبُّد لربِّها، قانتةٌ لمولاها، تجلِس في مصلاَّهَا تذكرُ الله إلى نصفِ النّهار، كما في صحيح مسلم قالت: أتى عليَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غُدوةً وأنا أسبِّح، ثم انطلَقَ لحاجته، ثمّ رجع قريبًا من نصف النهار، فقال: «**أما زِلتِ قاعدة؟**»يعني: تذكرِينَ الله، قالت: نعم[صحيح مسلم: كتاب الذكر (٢٧٢٦) بمعناه].

صفيّةُ بنتُ حيَيٍّ - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات العاشرة: الوجيهةُ **صفيّةُ بنتُ حيَيٍّ** - رضي الله عنها -، مِن ذرّيّة هارونَ عليه السلام، كانت شريفةً عاقلة، ذاتَ مكانةٍ ودين وحِلم ووقار، وصح عند الترمذي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لها: «**إنك لابنةُ نبيّ (أي: هارون)، وإنَّ عمَّك لنبيّ (أي: موسى)، وإنّك لتحتَ نبيّ (أي: هو -صلى الله عليه وسلم-**» [سنن الترمذي: كتاب المناقب (٣٨٩٤) عن أنس -رضي الله عنه-، وأخرجه أيضا معمر في جامعه (١١/ ٤٣٠ ـ المصنف ـ)، وعبد بن حميد (١٢٤٨)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٩١)، وأبو يعلى (٣٤٣٧)، وأبو نعيم (٢/ ٥٥)، وقال الترمذي:

\"هذا حديث سن صحيح غريب من هذا الوجه\"، وصححه ابن حبان (٧٢١١)، وهو في صحيح سنن الترمذي (٣٠٥٥)].

ميمونةُ بنت الحارث الهلاليّةُ - رضي الله عنها -

ومن أمهاتنا الكريمات الحادية عشرة: واصِلة الرّحِم، **ميمونةُ بنت الحارث الهلاليّةُ** - رضي الله عنها -، من عظماءِ النساء، منحَها الله صفاءَ القلب، ونقاء السريرة، وملازمةَ العبادةِ، تقول عائشة - رضي الله عنها -: «**أما إنَّها كانت من أتقانَا لله وأوصلِنا للرحم** [أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٣٨)، والحارث بن أبي أسامة (٤٥٥ ـ بغية الباحث ـ)، وأبو نعيم (٤/ ٩٧)، وصححه الحاكم (٦٧٩٩)، وصحح ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٢٨) سند ابن سعد].

هؤلاء الإحدى عشرة، هم أمهاتنا، زوجاتُ نبيِّنا -ﷺ-، عِشن معه في بَيتٍ متواضِع، في حُجُراتٍ بنِيت من اللّبِن وسَعَف النخل، ولكنها ملئت بالإيمان والتقَوى، وكان لهنّ -ﷺ-زوجًا رحيمًا، برًّا حليمًا، جميلَ العِشرة، كريم السيرة .. صبَرن معه -ﷺ-على الفقرِ والجوع، وكان يأتي عليهنّ الشهر والشهران وما يوقد في بيوتهنّ نار، وتأتي أيّامٌ وليس في بيوتهنّ سِوى تمرةٍ واحدة، بل ربما لم يجدن سِوى الماء بلا طَعام، قناعةٌ في العيش، وصَبرٌ على موعودِ الله، وقد أخبر الله تعالى أن أجورَهنّ عنده مُضاعفةٌ ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣١]

خمسٌ منهنّ تزوَّجهنّ عليه الصلاة والسلام وأعمارهنّ مِن الأربعين إلى الستّين عامًا، فحقَّق بذلك رعايةَ الأرامل وكفالة صبيانهنّ الأيتام. تزوَّجَ خديجةَ - رضي الله عنها -

-وعمرها أربعون عامًا ولها ثلاثةُ أولادٍ من غيره، وهو لم يتزوَّج بعد، وتزوَّجَ زينبَ بنت خزيمة وهي أرملةٌ ناهزَت الستّين من عُمرِها، وتزوّج أم سلَمَة وهي أرمَلَة ولها ستّة أولاد، وتزوَّجَ سودَةَ وهي أرملةٌ وعمرها خمسَةٌ وخمسون عامًا. أمّهات المؤمنين، مَناقب مشرِقة، ومحاسن مضيئة، حقيقٌ بنساءِ المسلمين اليوم أن يجعلنَهّا نِبراسًا للحياة، ويرتَشِفن من مَعِينِها أطيب الخلق وأزكاه، بطاعة الله ورسوله، والمسارعة في الخيرات، والبعدِ عن الشبهات والشهوات، وملازمةِ السّترِ والعفاف، والحذَرِ من التبرّج والاختلاط، أو الخضوع بالقول مع الرجال، كما قال الله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب:٣٢]

وإن من أبشعِ البدع وأخبثها، ما يفعله الشيعة الروافض، من سب أمهات المؤمنين، ورميِهن بالسوء والفحشاء . ومن المعلوم أن الشيعة الروافض يطعنون في معظم الصحابة رضوان الله عنهم، ويصبون جام غضبهم، وحقدهم الدفين، وغلِّهم الخبيث، على الصحابيين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وابنتيهما أمهاتِ المؤمنين عائشةَ وحفصةَ رضي الله عنهما ، بل إنهم جعلوا من أهم عقائدهم تكفيرَهم، والتقربَ إلى الله بسبهم والطعنِ في أعراضهم . فأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -عندهم قبحهم الله، كافرةٌ منافقة، فاجرةٌ داعرة ، كانت تدير شبكة دعارة في المدينة ، وهي البقرة المأمور بذبحها في القرآن .. وجاء

في كتابهم الصراط المستقيم (٢/ ٤٦٥):أنها أم الشرور، وأنها قرن الشيطان الذي تخرج منه الفتن .. وفي بحار الأنوار (٢٨/ ١٤٩): أنها كانت ممن يكذب على رسول الله -ﷺ-، وأن بغضها لعلي كاف في الدّلالة على كفرها ونفاقها . أما حفصة بنت عمر بن الخطاب فقد جاء في كتابهم الصراط المستقيم (٢/ ٤٧٢): "فصلٌ في أختها حفصة..قال الصّادق: كفرت" .. ويفسرون قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[التحريم:١٠]بعائشة وحفصة ويصرحون بنفاقهما وكفرهما .

ولا شك أن هذا العمل كفر وردة عن الإسلام، فإنَّ الوقوع في واحدةٍ من أزواج النبي -ﷺ-فيه من التنقصِ لقدره، والوقوعِ في عرضه الشريف، ما يوجب كفرَ فاعله وردتَه عن الإسلام ، وأما سبُّ أم المؤمنين عائشة خاصة، فإن فيه إضافة لما ذكر، تكذيباً لأكثرَ من ثلاثَ عشرةَ آيةٍ من القرآن، أنزلها الله في سورة النور، لبيان طهارتها وبراءتها مما رماها به المنافقون . قال ابن تيمية -رحمه الله- (بعد أن حكى الإجماع على كفر من قذف عائشة - رضي الله عنها -) قال: والأصح أن من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة - رضي الله عنها - .اهـ [ابن تيمية: الصارم المسلول: ٥٦٧] . سبحان الله، أي دين وعقل لهؤلاء؟ هل هذا هو حق النبي -ﷺ-؟ ، وهل يرضى بذلك؟.. أي رجل يرضى بأن يُسب أهله أو تقذف زوجته بالسوء؟ وكيف يختار الله لنبيه امرأة غير شريفة؟ بل

كيف يرضى مسلم أن تُسَبَّ أمُه عائشةُ أو غيرُها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وتُقذفَ بأبشع التهم

ولئن قال ربنا عن تلكم الفرية في زمن النبوة: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[النور:١١] فنحن نقول كلما علا صوت ورثة المنافقين بإحياء حادثة الإفك ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فهذا الحدث كشف التقية المكذوبة وأبان عن زيف دين مبني على السب والشتم والتعرض لخير القرون وأمهات المؤمنين لعل ذلك يكون سببا في عودة بعض الرافضة لمذهب السنة ولعل أهل السنة يكونون أكثر حباً واقتداءً بصحابة رسول الله -ﷺ- ونُصرةً لهم ودفاعاً عنهم وإحياءً لقصصهم وسيرهم مع أولادنا و طلابنا وفي مساجدنا، ولعلنا نحيي عند نسائنا وبناتنا خصوصا السير العطرة لأمهات المؤمنين ينهلن من معينها ويجنين من رياضها علماً وحكمة وتربية على مشكاة النبوة وعلى الحياء والستر والعفة.

ولنقل كما قال حسان بن ثابت - رضي الله عنه -:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

من حقوق أمهات المؤمنين

معرفة فضلهن ومحبتهن:

قال أبو بكر الباقلاني:« ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله -ﷺ-وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع ونقر بفضل أهل البيت بيت رسول الله وأنهن أمهات المؤمنين، ونبدع ونفسق ونضلل من طعن فيهن أو في واحدة منهن لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً للكتاب والسنة نعوذ بالله من ذلك "[الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٨).].

الإقتداء بهن ودراسة سيرتهن:

ومن حسن الأدب مع أمهات المؤمنين الاقتداء بهن في كل شيء، فمثلا لقد ضربت أمهات المؤمنين أروع الأمثلة في طاعة الزوجة لزوجها مهما كلفتها الطاعة من مشاق.

فهذه خديجة – رضي الله عنها –) تتقدم على زوجات النبي –ﷺ–في نصرة الزوج وتصديق النبي من أول لحظة بعث فيها إلى الناس بشيراً ونذيراً، وتقف بجانبه في أصعب اللحظات كما:" كلا أبشر. فوالله! لا يخزيك الله أبدا. والله! إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق "[متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٥٣) كتاب: التفسير، باب: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ومسلم (٢٥٢) كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي.].

وفي العلم الشرعي والتفقه في الدين:

فهذا جبريل عليه السلام ينزل من السماء فيقول للرسول ﷺ وقد طلق النبي – ﷺ– حفصة: « **أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة**"[رواه الطبراني (١٨/ ٣٦٥) (٩٣٤). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٩/ ٢٤٨): رجاله رجال الصحيح. .].

وفي مجال التصدق على الفقراء والإحسان إليهن، لا نستطيع أن ننكر على إحداهن – رضي الله عنهن– أنها لم تتصدق على الفقراء وتحسن إليهن، إلا أننا نجد زينب بنت جحش – رضي الله عنها – تتفوق على غيرها في هذا المجال، وقد شهد لها الرسول بذلك فقال:« **أسرعكن لحاقاً بي أطولكم يدا** »[أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢)].

ومن الأدب معهن **الذب عنهن والوقوف في وجه من يسيء إليهن**: منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا، لا يزال الصالحون يضعون أمهات المؤمنين في مكانة عالية ولا يسمحون لأي شائن مبغض أن يطعن فيهن، بل يرون ذلك من

أفضل القربات والجهاد في سبيل الله في الذب عنهن وتوقيرهن واحترامهن وحسن الأدب معهن.

من الأدب معهن التسمي بأسمائهن: ينبغي على المسلمين تسمية البنات بأسماء أمهات المؤمنين، وأن نذكر بناتنا ونجعلهن دائما باتصال دائم وحب مستمر مع أمهات المؤمنين، وأن يتخلقن بأخلاقهن .

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله خالق الأكوان، ومقلّب الدهور والأزمان، أحمده سبحانه وأشكره، فحق للمنعم أن يشكر بكل لسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الدرجات العلا من الجنان، وأشهد أن نبينا وحبيبنا وسيدنا محمدًا عبد الله ورسوله المصطفى بالرسالة والتكريم على الثقلين الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على النهج واقتفى الخطى بإحسان.

بعد الحديث عن الطيبات الطاهرات أمهات المؤمنين حديثنا اليوم عن الطيبين الأطهار صحابة نبينا الأمين -ﷺ- وفضلهم وحقوقهم علينا.

الصحابة هم رؤوس الأولياء وصفوة الأتقياء وقدوة المؤمنين وأسوة المسلمين وخير عباد الله بعد الأنبياء والمرسلين.

الصحابة شرّفهم الله بمشاهدة خاتم أنبيائه ورسله -ﷺ- وصُحبته في السراء والضراء، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله ﷻ حتى صاروا خيرة الخيرة، وأفضل القرون بشهادة المعصوم -ﷺ-.

الصحابة هم خير الأمم، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم.

الصحابة هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم، وشادوا قصور الدين برماحهم، وأوصلوا دين الله إلى أطراف المعمورة بجهادهم وأخلاقهم.

الصحابة أخلصوا دينهم لله، وجردوا متابعتهم لرسول الله -ﷺ- على التمام والكمال تحملوا الغربة، هاجروا إلى الحبشة، وهاجروا إلى المدينة، تركوا ديارهم وأموالهم وقراباتهم، تحملوا الأذى في سبيل الله وما خباب وبلال وعمار، وسمية وغيرهم عنكم بعيد. كان الواحد منهم يُضرب حتى ما يقدر أن يستوي من الضُّر.

حفروا الخندق بأيديهم في الشتاء، وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وصدق من قال عنهم:

وأفضلُ الأمة ذاتُ القدر أصحاب من أُعطي شرح الصدرِ
إذ جاء في القرآن ما يقضي لهم بالسبق في آيٍ حوت تفضيلهم
وكم أحاديثٍ عليهم تُثني كقوله خير القرون قرني
وقول طه المصطفى لو أنفق فجلّ من زكاهم ووفّق

يقول رسول الله -ﷺ-:«**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**»[رواه البخاري ومسلم].

الصحابة الكرام يكفيهم شرفاً ورفعةً وعزا أن الله من عليائه أثنى عليهم ورضي عنهم.

قال ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الصَّادِقُونَ [الحشر: ٨]

المهاجرون لم يهاجروا إلى المدينة إلا ابتغاء رحمة الله، لم يبتغوا دنيا ولا مناصب قال الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة:٢١٨]

المهاجرون أعظم الناس أجرا، وفائزون، ورضي الله عنهم، وسيدخلهم رحمته و جنته، قال الله تعالى في الآيات من سورة التوبة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]

أما الأنصار فحبهم علامة الإيمان، وبغضهم علامة النفاق والعصيان، يقول تعالى عنهم :

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر:٩]

الصحابة من المهاجرين والأنصار هم المؤمنون حقا بشهادة الله، حتى لا يأتي من يشكك فيهم وفي إيمانهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال:٧٤]

هم صفوة الأقوام فاعرف قدرهم وعلى هداهم يا موفق فاهتد قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «**إن الله تعالى اطلع في قلوب العباد فاختار محمداً -ﷺ- فبعثه برسالته، وانتجبه بعلمه، ثم نظر في قلوب العباد بعد، فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه -ﷺ-**».

لقد كمّل الصحابة بعضهم بعضاً، في خصال الخير، فأرحم الأمة بها أبو بكر الصديق، وأشدها في الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأشجعها علي، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر، وابن مسعود صاحب السر الذي يدخل على النبي ﷺ دون استئذان، وحذيفة مستودع سر أخبار المنافقين.

رضي الله عنهم وأرضاهم

الصحابة الكرام رضي الله عنهم : دافعوا وذبوا - عن نبيهم ودينهم، سجّل الله ذلك لهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[الأحزاب: ٢٢-٢٣].

في غزوة بدر لما لاقوا العدو على غير ميعاد، وغير استعداد فقد قام فيهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه خطيباً فقال: «**أشيروا على أيها الناس**» فقال أحدهم وهو المقداد : «**يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك دونه حتى تبلغه**» .

ثم قام سعد بن معاذ فقال: «**امض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسِر على بركة الله**» .

بذلوا النفوسَ وأرْخصوا أموالَهم في نُصرةِ الإسلامِ دون تردُّدِ
ما سبَّهم إلا حقير تافهٌ نذْلٌ يشوِّهُهم بحقدٍ أسْودِ

الصحابة الكرام قال الله عنهم : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩]

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ قال الإمام مالك بن انس : «**من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية.**

فمن أضل ومن أظلم ومن أشقى وأتعس ممن يكون في قلبه غل على الصحابة الكرام .

هل هناك من يحكم على الصحابة بالردة؟ نعم إنهم الرافضة الاثناعشرية يقولون :إن الصحابة ارتدوا جميعا ما عدا ثلاثة منهم.

بل يقولون: «**كل بلاء وقع في الأمة وكل ظلم سببه الرئيس أبو بكر وعمر.**

قال أيوب السختياني – رحمه الله –: «**من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– فقد برئ من النفاق**».

وقد بين – شيخ الإسلام رحمه الله– في كتابه القيم الصارم المسلول على شاتم الرسول: «**من زعم أن الصحابة ارتدوا أو فسقوا بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– فلا ريب في كفره لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم**».

يقولون: إن الصحابة هم خالفوا بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم–والله يخبرنا عنهم أنه سبحانه لا يخزيهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال الله تعالى في أواخر سورة التحريم: يوم لا يخزي الله والنبي ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ [التحريم:٨]

ماذا يريد من ينتقص من الصحابة؟ ما هدف الذين يشككون في الصحابة وفي عدالتهم؟

لهم هدفان: الأول: **التشكيك في المربي** عليه الصلاة والسلام ؛ أنه ما أحسن اختيار الصحبة، وما أتقن تربيتهم.

الهدف الثاني التشكيك في المنهج: فديننا وقرآننا وسنة نبينا جاؤوا إلينا عبر الصحابة الكرام والانتقاص منهم انتقاص في المنهج؛ فهم الواسطة بين الرسول -ﷺ- وبيننا ، فالقدح في الناقل قدح في المنقول.

ولهذا هم يعتقدون ان القرآن محرّف، وألّف أحد علماءهم ويُدعى آية الله العظمى نور الطبريسي كتاباً اسماه: **فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الارباب**، وقال: ما سلم من التحريف إلا من الكوثر إلى الناس.

ولهذا قلما تجدون فيهم حافظا للقران ولا يهتمون بذلك بل يحاربون القرآن وأهل القرآن.

قال أبو زرعة الرازي - رحمه الله -: «**إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله -ﷺ- فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول -ﷺ- عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله -ﷺ-، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة**».

يا لائمي في حُبِّ صحبِ محمدٍ تبّتْ يداكَ وخِبتَ يومَ المَوْعِدِ

والله من عليائه شهد للصحابة بأنهم مجاهدون مفلحون أصحاب خير لهم الجنة، قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة:٨٩].

الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة كم كانوا؟

كانوا ألفاً وأربعمائة ماذا قال الله عنهم : ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح:١٨]وفيهم يقول رسول الله -ﷺ-: «**لا يدخل النارَ أحد ممّن بايع تحت الشّجرة**» [رواه مسلم (١٦/ ٥٧، ٥٨) عن أم مبشر الأنصارية]

كم خرج من النبي -ﷺ- في غزوة العسرة ؟ثلاثون ألفا، ماذا قال الله عنهم ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:١١٧]

يقولون الذين اسلموا بعد الفتح اسلامهم مردود وخاصة أبو سفيان، اسمعوا ماذا يقول الله عنهم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد:١٠]

ومن وعده الله الحسنى لا تمسه النار ، ولا يسمع حسيسها، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[الأنبياء:١٠٢]

ورحم الله القحطاني إذ يقول في نونيته:

لا تَعْتَقِدْ دِيْنَ الرَّوافض إنَّهم ... أهْلُ المُحَالِ وشِيعَةُ الشَّيْطانِ
إنَّ الرَّوافِضَ شَرُّ مَن وَطِئَ الحَصَا ... مِن كُلِّ إنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ
مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ ... وَرَمَوْهمُ بالظُّلْم والعُدْوَانِ
قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ في صَحَابَةِ أَحْمَدٍ ... وَامْدَحْ جَمِيعَ الآلِ والنِّسْوانِ
حب الصحابة والقرابة سنة ألقى بها ربي إذا أحياني

أخي الكريم : هل تريد أن يرضى الله عنك؟ شرطٌ واحد مطلوب منك.

اسلك سبيل المهاجرين والأنصار، اتبعوا نهج محمد وصحبه، قال تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠]

.حديثنا عن الصحابة وحقوقهم وفضلهم لم ينته بعد،

اللهم صل وسلم على النبي المختار، وآله الأخيار، وصحابته الأبرار، وأزواجه الأطهار ما تعاقب الليل والنهار.

اللهم إنا نشهدك على محبة أصحاب نبيك فاحشرنا معهم، واحشرنا في زمرتهم يا أرحم الراحمين، اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم، واجزهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، يا اكرم الأكرمين.

حقوق الصحابة(٢)

الحمدُ لله مُعزّ من أطاعه واتقاه. ومُذل من خالف أمره وعصاه. وفّق أهل طاعته للعمل بما يرضاه. وحقق على أهل معصيته ما قدره عليهم وقضاه. أحمده سبحانه على حلو نعمه ومر بلواه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه. وهو الذي في السماءِ إله وفي الأرض إله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه ومصطفاه فطوبى لمن والاه وتولاه. اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده. وكان هواهم تبعاً لهداه. وسلم تسليما كثيراً.

وبعد. . .

ما زلنا وإياكم مع الصحابة الكرام

ما زلنا وإياكم مع من مدحهم وأثنى عليهم الملك العلام، ورضي عنهم فقال: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة: ١٠٠].

مع الذين وصفهم الله بأنهم رجال يحبون أن يتطهروا فقال جل وعلا:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة:١٠٨]

إن الصحابة هم أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقَها علما، وأقلَها تكلّفا، وأقومَها هديا، وأحسنها خلقا وحالا ، اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فحبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيل، فمن كان منكم متأسيا فليتأس بهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠]

الصحابة الكرام قاموا مع نبيهم المصطفى خير قيام، عزّروه ونصروه وأيدوه – وبذلوا مُهَجهم وأموالهم وانفسهم في سبيل نُصرته ونُصرة دينه – ففازوا بكل فضيلة وسبقوا الأمة في الخيرية، واستحقوا رضوان الله، فرضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلك الفوز العظيم.

أيها الكرام: الحديث عن الصحابة حديث عن صفوة خلق الله تعالى بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام قال تعالى ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾ [النمل:٥٩]

. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-.

صلى عليه رب العباد ما جرت الاقلام بالمداد

ومما جاء في فضلهم ما رواه مسلم عن أبي بردة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله :«**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعَدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**». وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد عصر الصحابة .

وها هو علي –رضي الله عنه– يصف حال الصحابة، فعن أبي أراكة قال: «**صليت خلف علي صلاة الفجر، فلما سلم انفلت عن يمينه ثم مكث كأن عليه الكآبة، حتى إذا طلعت الشمس قال: لقد رأيت أصحابَ محمد ، فما أرى اليوم شيئا يشبههم، كانوا يصبحون ضُمرا شُعثًا غبرا، قد باتوا لله سجَّدا وقياما، يتلون كتاب الله، فإذا أصبحوا ذكروا الله، فهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم من خشية الله.**

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزُمَر: ٩]

أخرج البخاريّ عن أنس –رضي الله عنه– قال: خرج رسول الله–ﷺ– إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداةٍ باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلمّا رأى ما بهم مِن النصَب والجوع قال : «**اللهمّ إنّ العيش عيش الآخرة، فاغفِر للأنصار والمهاجِرة**» .

لقد خاض النبي –ﷺ– خمسا وعشرين معركة في عشر سنين، وهو ما يعني أن كل عام كان فيه معركتان، هذا خلاف السرايا التي كان يرسلها النبي –ﷺ– والتي تزيد على مائة سرية.

فلك أن تتصور حجم التعب والمعاناة والألم والجراح والقتل الذي أصابهم بسبب هذه المعارك، والسرايا ، لكنه ما دام في سبيل الله فتهون الدنيا وما فيها من أجله.

عُبّاد ليلٍ إذا جنّ الظلام بهم كم عابدٍ دمعه في الخد أجراه
وأُسْد غابٍ إذا نادى الجهاد بهم هبّوا إلى الموت يستجدون لقياه
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرا يشيدون لنا مجدا اضعناه

إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ما كان عليه محمد -ﷺ- وصحبه.

إن النصر لبعيد ما دمنا بعيدين عن نهج محمد وصحبه، وإن النصر لبعيد حين تدمر النفوس ويهان المخلصون، ويرفع المجرمون إلى مرتبة الأتقياء، ولا يسمع الناصحون، فهل تنفع عندها تلك الطاقات.

الصحابة الكرام : أنفقوا اموالهم بلا حدود في سبيل الله ﷻ فأبو بكر يأتي بماله كله، وعمر بنصف ماله، ورسول الله -ﷺ-يُعلن : «**من يجهّز جيشَ العسرة وله الجنّة؟** » فقام عثمان فقال: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ رسول الله على جيش العسرة مرة أخرى، فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ رسول الله على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فنزل رسول الله -ﷺ-وهو يقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**». وتصدق أبو الدحاح ببستانه من أجل نخلة في الجنة، وفي غزوة أُحد سقط شهيدا؛ فقال رسول الله -ﷺ-«**كم من عذقٍ رداح لأبي الدحداح في الجنة**» و جاء أبو طلحة فقال: يا رسول الله الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران:٩٢]وإن أحب مالي الي بئرحاء، بستانٌ عظيم فهي لله ولرسوله-رضي الله عنهم- وأرضاهم.

أفضلُ الصّحابة الخلفاءُ الأربعة، ثمّ بقيّة العشرة المبشّرين بالجنة، ثم أهل البدر ثم أهل بيعة الرضوان، ثم بقية الصحابة قال -ﷺ- : «**خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ثمّ عمر**»[1] ، وقال -ﷺ- : «**اقتَدوا باللّذَين من بعدي: أبي بكر وعمر**» [أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي في المناقب وصححه ابن حبان] ، وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفيّة أنّه قال لأبيه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما: يا أبتِ، مَن خير النّاس بعد رسول الله ؟ قال: أوَما تعلم يا بنيِّ؟! قلت: لا، قال: أبو بكر.[صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٧١) بنحوه].

ما هي حقوق الصحابة علينا ؟

أولا حبهم :

إن محبةَ أصحابِ رسول الله دينٌ يُدانُ الله به، وقربةٌ يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:« **اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي؛ لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ؛ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ؛ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي؛ وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ.** » [رواه أحمد (٥/ ٥٤) والترمذي (٣٨٦٢) والبيهقي في الشعب (٢/ ١٩١)] قال المناوي -رحمه الله-

---

(١)هذا الكلام ثابت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من طرق كثيرة، منها ما أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٧١). وأما المرفوع فقد أخرج البخاري في المناقب (٣٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي فنخيّر أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم، ولفظ أبي داود في السنة (٤٦٢٨): كنا نقول ورسول الله حيّ: أفضل أمة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين، زاد ابن أبي عاصم في السنة (١١٩٣)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٥٧)، والخلال في السنة (٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٢٨٥/١٢) وغيرهم: ويسمع ذلك النبي فلا ينكره، وصححها الألباني في ظلال الجنة (٥٦٨/٢).

في فيض القدير " (الله الله في حق أصحابي) أي اتقوا الله فيهم ، ولا تلمزوهم بسوء ، (لا تتخذوهم غرضا) هدفا ترموهم بقبيح الكلام (بعدي) أي بعد وفاتي " ا.هـ

وقال -ﷺ- : «**لا يحب الأنصار إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحب الأنصار أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**» [أحمد (٤/ ٢٨٣)].

وقال الإمام الطحاوي -رحمه الله-: «**نحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان**».ا.هـ

من أحب الصحابة حُشر معهم، سُئل رسول الله :يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يعمل عملهم؟ قال:« **المرء مع من أحب**». .

وعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -ﷺ- عَنِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ ، قَالَ : « **وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟** " قَالَ : لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ، فَقَالَ : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » . قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ- : « **أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » ، قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ- وَأَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ» [البخاري].

لذلك كان السلف يعلمون أولادهم حب الصحابة وسيرتهم؛ قال الإمام مالك -رحمه الله-: « **كانوا يعلموننا حب أبي بكر وعمر كما يعلموننا السورة من القرآن**».

وجاء رجل إلى الإمام أبي زرعة الرازي -رحمه الله-فقال: يا أبا زرعة، أنا أبغِض معاوية، قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتَل عليّا، فقال أبو زرعة: إنّ ربَّ معاوية ربٌّ

رحيم، وخصم معاوية خصمٌ كريم، فما دخولك أنت بينهما ﷺ أجمعين. [رواه ابن عساكر (٥٩/ ١٤١)].

الحق الثاني للصحابة الكرام عدم سبهم: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: « **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» . [متفق عليه].

وقيل: « السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها ، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقدمين ، وقلة أنصارهم فكان جهادهم أفضل ، ولأن بذل النفس مع النصرة ، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها " ا.هـ [تحفة الأحوذي]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -ﷺ- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: « **مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » [الطبراني في الكبير والألباني في الصحيحة].

وفي النهي عن سبهم كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : « **لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ** ﷺ ، **فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً ، خَيْرٌ مِنْ عَمَل احدكم أَربعين سنة**» [ابن ماجة وحسنه الألباني] .

نعم.. وقوف أبي طلحة مع النبي -ﷺ- في معركة أحُد وهو يقول: «**نَحْري دون نحرك يا رسول الله**»؛ موقف خيرٌ من عمل أربعين سنة.

في ليلة الهجرة النبوية الشريفة نام على فراش المصطفى ابن عمه البطل الهمام والأسد الضرغام وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض

على النائم فوق هذا الفراش، يتغطى ببردته، ويا لها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [يوسف:٦٤]

موقف خير من عمل أحدنا عمره كله، وقل مثل ذلك في بقية الصحابة الكرام..

وكان أبو طلحة - رضي الله عنه - يقول لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-يوم أحد: نحري دون نحرك.

وفي طلب الشهادة: دخل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - المسجد والنعمان بن مقرن يصلي فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته، قال: إني أريد أن أستعملك، فقال النعمان: أما جابياً فلا ولكن غازيا، قال عمر: فأنت غاز فوجهه إلى أصبهان، فلما وصل وجمع جنده قال لهم: إني هاز لوائي ثلاث مرات، فأما الهزة الأولى: فيقضى الرجل حاجته ويتوضأ، وأما الثانية: فينظر الرجل في سلاحه وفي نعله فيصلحه، وأما الثالثة: فاحملوا على العدو وإني داع بدعوة فعزمت على كل امرئ منكم لما أمّن عليها: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، أمّنوا يرحمكم الله. فأمّنا وبكينا. [حياة الصحابة، مجلد ص ٤٩٧-٤٩٨].

وأخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة بدر يُعدّل الصفوف بقدح في يده فضرب بطن سواد بن غزية وقال: «**استو يا سواد**» فقال سواد: يا رسول الله، أوجعتني، فأقدني، فكشف عن بطنه وقال: «**استقد**» فاعتنقه سواد، وقبّل بطنه، فقال: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**» قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى، فأردت أن

يكون آخر العهد بك، أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بخير. [رواه ابن إسحاق في سيرته. سيرة ابن هشام (٢/ ٦٢٦).]

بالله عليكم إخوة الإيمان حدثوني عن أصحاب دين افتدوه بمثل هذه البطولات.

كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحاراً
بمعابد الإفرنج كان آذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لن تنس أفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

ثالثاً: ومن حقوق الصحابة عدم ذكر مساوئهم: فنحن نسمع بين الفينة والأخرى من يذكرهم بسوء؛ أو يذكر الخلافات التي دارت بينهم؛ وذلك من أجل التشكيك في عدالتهم ونزاهتهم؛ وهذا منهي عنه شرعاً؛ قال الإمام أحمد -رحمه الله- " لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته [طبقات الحنابلة والصارم المسلول]

سُئل عمر بن عبد العزيز عن القتال الذي حصل بين الصحابة، فقال: **(تلك دماء طهّر الله ايدينا منها؛ أفلا نطهر منها السنتنا؟ مَثَلُ أصحاب رسول الله— مَثَلُ العيون؛ ودواء العيون ترك مسها)** [صون المنطوق للسيوطي ص١٣٤]

وأوصانا النبيُّ بهم جميعًا وحرَّم سبَّهم وتلا اليمينا
وأعقبهُ بأن لهم مقامًا ولن يرقاه خيرُ المنفقينا
فلا تسمع لسَبٍّ جاء فيهمْ ولا تسمع لقدح القادحينَا
فمن سب الصحابة كان رِجْسًا وكان مشابهًا للكافرينَا

ومـــــــــن آذاهـــــمُ آذى إلهًـــــا عزيـــــزًا قـــــادرًا حكمًـــــا متينًـــــا

رابعاً: ومن حقوق الصحابة الترضي والترحم عليهم: ففي كل ذكرٍ لهم نترحم عليهم وندعوا لهم. قال الله ﷻ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]

فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم ، فمن سبهم أو تنقصهم أو أحدا منهم فليس على السنة؛ وليس له في الفيء حق ، أخبرنا غير واحد عن مالك بن أنس. "

ا.هـ[الحميدي: أصول السنة: ٢/ ٥٤٦، آل عبد اللطيف: نواقض الإيمان ٤٠٦]

خامسا: ومن حقوق الصحابة مطالعة سيرهم وتضحياتهم، وتعليمها لأبنائنا لتعلو همهم وتتحرك عزائمهم نحو ارضاء الملك العلام.

. يقول ابن الجوزي: "فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة؛ فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة...

فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم." . إلى أن قال: " فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب!!." (صيد الخاطر).

سادساً: **ومن حقوق الصحابة الدفاع عنهم**: فكم من جاهلٍ ناعق بين الحين والحين يخرج على فضائية أو إعلام يسب الصحابة العدول ﷺ؛ أو يطعن فيهم؛ وينبغي على كل فرد ولا سيما العلماء والدعاة الى الله أن يدافعوا عنهم؛ فعن إبراهيم العذري، قال: قال رسول الله- ﷺ-: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين** » [البيهقي وصححه الألباني].

اللهم إنا نشهدك على حب صحابة نبيك فاحشرنا معهم وفي زمرتهم.

اللهم انتقم لصحابة نبيك ممن ينتقص منهم ويسيء اليهم يارب العالمين.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي أحصى كل شيء عددا، ورفع بعض خلقه على بعض فكانوا طرائق قددا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولم يكن له شريك في الملك ولم يتخذ صاحبةً ولا ولدا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أكرم به عبدا سيّدا، وأعظم به حبيباً مؤيّدا، فما أزكاه وأطهره مضجعاً ومولِدا، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتدا وأئمة الاقتِدا، صلاةً وسلاماً خالداً مؤيدا.

أما بعد:

إن الله يصطفي من يشاء ويختار من يشاء ويختص برحمته من يشاء، ألا فتأملوا أيُّها الأخوة، فكثيرٌ من سلالة إبراهيم الخليل غدَوا أنبياء، وأصحابُ عيسَى صاروا حواريِّين، ورِفاق محمّدٍ شرفوا بالصُّحبة، وأزواجُه أمّهات للمؤمِنين، ونسلُه استَحَقّوا وصفَ الشَّرَف والسِّيادة، فهو خير، نسب واطهر نسب، كيفَ لا وفيهم من دِمائه دم، ومِن روحِه نَبض، ومِن نوره قَبَسٌ، ومِن

شذاه عَبَقٌ، ومِن وجوده بَقِيّة، صلّى الله عليه، وصلّى على آلِه وأزواجِه، وصلّى على صحابَتِه، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

نعيش مع حقوق آل بيت النبي -ﷺ- وفضلهم.

فوالله انا لنحب رسول الله وآله الاطهار ، وصحابته الأخيار، ونرجو الله أن يحشرنا معهم وفي زمرتهم، ونبغض من يبغضهم. هذا منهجنا وهذه عقيدنا .

فمن هم آل البيت ال البيت ؟ آل البيت في اللغة هم أهل الرجل أي زوجته وأولاده .

والراجح من أقوال العلماء أن المراد بآل بيت النبي- ﷺ-، أنهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، الذين لا تحل لهم الصدقة ويدخل في آل بيته نساؤه رضي الله عنهن، أمهات المؤمنين بإجماع علماء أهل السنة جاء في صحيح مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله - ﷺ - يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خمًا، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال:« **أما بعد.**

ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

لقد جعلهم – ﷺ – ثقلاً، وقرن الوصية بهم بالوصية بكتاب الله الذي فيه الهدى والنور، وهذا دليلٌ واضح على عظيم حقهم، وارتفاع شأنهم، وعلو مكانتهم.

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

و جاء في رواية مسلم وأبي داود عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**».

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فجمع بين الأزواج والذرية ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه»[جلاء الأفهام (ص:٣٣٨)].

إن لأهل البيت منزلة عظيمة ومكانة عالية : أما في القرآن فقد جاء ذكرهم في ،:آية التطهير: في قوله تعالى وهو يخاطب نساء النبي –ﷺ–: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣]

هذه الآية هي منبع فضائل أهل البيت النبوي، حيث شرّفهم الله تعالى بها وطهّرهم، وأذهب عنهم الرجس من الأفعال الخبيثة والأخلاق الذميمة، وقد جاء في صحيح مسلم عن من؟ عن عائشة –رضي الله عنها– حبيبة رسول الله، الصديقة بنت الصديق، وكذب من قال أنها تكره وتحارب آل البيت كيف وهي من ال البيت، تقول – رضي الله عنها – قالت: «خرج النبي – ﷺ – غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، اي كساء، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٣] [رواه مسلمٌ في صحيحه (٢٤٢٤)].

و روى مسلم (٢٤٠٤) من حديث سَعد بن من حديث سعد بن أبي وقاص– رضي الله عنه – قال: «لما نزلت هذه الآية، آية المباهلة: فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران:٦١]

دعا رسول الله – ﷺ – عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا، فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**».

أما : فضائل آل البيت في السنة:

فمنها **أولا**: حديث الغدير الذي سبق .

ثانيا :حديث الاصطفاء:

روى مسلمٌ في صحيحه (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

وفي الحديث بيان فضل بني هاشم وتخصيص الرسول - ﷺ - بالفضل دون غيره.

أيها الأحباب: أهل السنة وسطٌ في حب آل البيت بين المذاهب:

- فالاثنا عشرية يُغالون في حب آل البيت، ومنهم من يطوف على قبورهم، ويدعوهم بكشف الضر وجلب النفع، وهذا شرك عظيم ومنهم من يزعم أنهم يعلمون الغيب... الخ.

- وأما النواصب! فيبغضون آل البيت ويحاربونهم، والخوارج منهم قتلوا عليًا - رضي الله عنه - وشنعوا عليه.

- أما أهل السنة فهم متفقون على وجوب محبة أهل البيت ورعاية حقوقهم وموالاتهم، وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم ، ولكنهم لايُغالون فيهم، حُب الاتباع لا حب الابتداع، حب بلا مغالاة، حُب بلا ضربٍ للأجساد، ولا سفكٍ للدماء، ولا طوافٍ بالقبور، ولا تمسح بالأضرحة.

ما هي حقوق آل البيت عليهم السلام

- **أولاً**: **حق الموالاة والمحبة**، فإن كان هذا حقا لكل مسلم فإنه لآل البيت آكد بل يستحقون زيادة في المحبة والمودة والتوقير لقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. وروى الامام أحمد إمام أهل السنة

عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-: « أنه اشتكى إلى النبي -ﷺ- أن بعض قريش يجفو بني هاشم، فقال له رسول الله -ﷺ-: «**والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»،

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له نحبهم لإيمانهم وقرابتهم من رسول الله؛ فمن كان من آل البيت مؤمناً تقياً صادقاً صالحاً فنحن نحبه ونواليه.

ومن كان من آل البيت فاسقاً مؤذياً قاطعاً للصلاة محارباً للصالحين لا نحبه ولا نواليه ولو كان أقرب الناس إلى النبي -ﷺ-.

والواجب على من ينتسب إلى أهل البيت الطاهرين، أن يكون من أولى الناس حظًا بتقوى الله وخشيته، واتباع محمدا وسنته - قولاً وعملاً، باطنًا وظاهرًا؛ فالنسب وحده لا يكفي لدخول الجنة والنجاة من النار، وقد حذر النبي -ﷺ - من الاعتماد على النسب تحذيرًا بليغًا فقال: «**يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية! عمة رسول الله -ﷺ -، لا أغني عنكِ من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم**»

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠١]

تحتَ شِعار محبّة آل البيت والانتصار لهم برَزَت مطامعُ سياسيّة وأخرى ماديّة، ونَبَتَت الفُرقة، وثارَ غبارُ النزاع والشِّقاق، بل وسالت الدماء، من أجل الملك والحكم ، وأقرأوا تاريخ الائمة الذين حكموا اليمن في الالف السنة الماضية وسترون العجب العجاب.

وتحتَ شِعار محبّة آل البيت والانتصار لهم ظهرت ثاراتٌ عِرقيّة عُنصريّة، هُتكت أعراض، ونُهبت أموال، وحُبس أُناس وربما قُتلوا بسبب الاسم والمذهب واسألوا أهل العراق وسوريا سيأتيكم من القصص والأخبار ما يُدمي الفؤاد.

الحق الثاني لآل البيت : **حق الدفاع والذب عنهم**؛ فيجب منع ما يؤذيهم ورفعه عند وقوعه، فقد روى مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: «**والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي** -صلى الله عليه وسلم- **إليَّ: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق**» .

كيف لا يُحب وهو أبو السبطين، الأسد المقدام، الخطيب الهمام، علي من يساويه لسان حاله :

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذى يضحى ويمسى يطير مع الملائكة ابن امي

جعفر الذي قُطعت يداه في سبيل الله، في غزوة مؤتة؛ فأبدله الله جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء .

وبنت محمد سكنى وعرسي مشوب لحمها بدمي ولحمي
فاطمة الزهراء، بضعة رسول الله، سيدة نساء أهل الجنة.

وسبطا أحمد ولداي منها فمن منكم له سهم كسهمي

الحق الثالث لآل البيت : **حق تبرئة ساحتهم مما يُنسب إليهم كذبًا وزورًا**،، و الرد على من غلا فيهم، وأنزلهم فوق منزلتهم؛ فإن ذلك يؤذيهم، وقد ألف شخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابه الكبير (منهاج السنة) في الرد على من غلا فيهم.

الحق الرابع ـ : **مشروعية الصلاة عليهم**، وذلك عقب الأذان، وفي التشهد آخر الصلاة، وعند الصلاة على النبي -ﷺ-... فقد سُئل النبي -ﷺ- عن كيفية الصلاة عليه في الصلاة؛ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد**»؛ فالصلاة على آله من تمام الصلاة عليه وتوابعها؛ .

ـ الحق الخامس من : **حقوق آل البيت عليهم السلام عند أهل السنة، حقهم من الخُمس** ؛من الغنائم والفيء، وهو سهمٌ خاص بذي القربى، وهو ثابت لهم بعد وفاة رسول الله -ﷺ-، وهو قول جمهور العلماء، وهو الصحيح ، لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الأنفال:٤١] [:] وقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الحشر:٧]].والفيء هو ما جاء المسلمين من الكفار بدون حرب. والغنائم في الحرب

وليست من عرق الشعب وأموالهم وثرواتهم وتعبهم كما يفهم الشيعة الاثنا عشرية.

الحق السادس : **اليقين الجازم بأن نسب رسول الله ـ ﷺ ـ وذريته هو أشرف أنساب العرب قاطبة**؛ فهو خيار من خيار من خيار .

هذا الشرف وهذه المكانة لآل البيت العظيمة لا يجوز أن تكون سببا للكبر على الناس، والتعالي عليهم والنظر اليهم شزرا، وطلب خدمتهم وتقبيل الأيدي والأرجل، فالأصل أن يكون آل البيت قدوة في التواضع والأخلاق وهذا ما عهدناه في كثيرٍ منهم.

هذا الشرف وهذه المكانة لآل البيت لا يجوز أن تكون سبباً للظلم فكم من بنات شريفات من آل البيت مُنعن من الزواج حتى فاتهن سن الزواج والسبب أنه لم يأت لهن الكفء من آل البيت كما يقولون، وهذا خلاف السنة وهو عين الظلم، قال رسول الله : ﷺ-:« **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**» ،وهو ولم يقل ونسبه، أيضا خلاف التاريخ؛ فقد زوج النبي ﷺ- زينب بنت جحش القرشية الهاشمية صاحبة النسب بمولاه زيد بن حارثة وزوج بناته ﷺ لعثمان وأبي العاص بن الربيع رضي الله عنهم وهم ليسوا من بني هاشم، وزوّج علي ابنته بعمر بن الخطاب، وتزوّجت سكينة بنت الحسين بن علي بأربعة ليس فيهم فاطمي ولا هاشمي والعرب أكفاء بعضهم لبعض.

ـ الحق السابع لأهل البيت : : **تحريم الزكاة والصدقة عليهم**؛ وذلك لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ؛ فقد قال رسول الله –ﷺ –: «**إن هذه الصدقات إنما**

هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»[أخرجه مسلمٌ في صحيحه من حديث عبد المطلب بن ربيعة (١٠٧٢)] .

لقد حرص السلف الصالح ﷺ من الصحابة والتابعين على هذه الحقوق، وقاموا بها خير قيام، وما ذلك إلا لاستشعارهم مكانة الآل من النبي، وامتثالاً لوصيته بهم.

فهذا أبو بكر الصديق - ﷺ - يقول: «**والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي**» [البخاري ومسلم].

وهذا عمر بن الخطاب - ﷺ - يقول للعباس عم رسول الله -ﷺ-: «والله، **لإسلامك يومَ أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب ـ يعني والده ـ لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب**».

وعن الشعبي: قال صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: (خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله)، فقال ابن عباس: (**هكذا أُمرنا أن نفعل بالعلماء**)، فقبل زيدٌ يد ابن عباس؛ وقال: (**هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا**) [أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٠٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٤).].

ولما حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وحاول ان يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك بسبب كثرة الزحام، فنصب لنفسه كرسيّاً وجلس عليه بنظر إلى الناس مع جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فطاف

بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أما عرفته،

هَـذا الّـذي تَعـرِفُ البَطْحـاءُ وَطْأَتَـهُ وَالبَيْـتُ يعْرِفُـهُ وَالحِـلُّ وَالحَـرَمُ
هـذا ابـنُ خَيـرِ عِبـادِ اللـه كُلّهِـمُ، هـذا التّقـيّ النّقـيّ الطّـاهِرُ العَلَـمُ
هـذا ابـنُ فاطمَـةٍ، إنْ كُنْـتَ جاهِلَـهُ، بِجَـدّهِ أنْبِيَـاءُ اللـه قَـدْ خُتِمُـوا

هذه فضائل آل اليت وهذه حقوقهم أسأل الله أن يحشرنا وإياكم في زمرتهم ويدخلنا مدخلهم .آمين

حق الدين والدفاع عنه والدعوة إليه

الحمد لله الذي خلقنا من عدم، وكبّرنا من صغر، وقوّانا من ضعف، وأسمعنا من صمم، وأغنانا من فقر، وعلّمنا من جهل، وأمّننا من خوف، وهدانا من ضلالة، أحمده سبحانه وأشكره وبالشكر تنال الزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. القائل: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾

وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

و بعد:

ما زلنا وإياكم في ظلال سلسلة الحقوق في الإسلام واليوم نعيش وإياكم مع حقٍّ كبير جليل قد فرّط فيه كثير من المسلمين ألا وهو حق التعريف بالإسلام. حق الدفاع عن الدين، حق الدعوة لهذا الدين.

لقد كلّف الله تعالى عباده الإيمان بهذا الدين والعمل به و كلفهم الدعوة إليه وتعليمه وبيان أحكامه وآدابه. للناس كافة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين ﴾[يوسف:١٠٨]. . فكل محب للنبي -ﷺ- ،وكل تابع للنبي -ﷺ- يدعو إلى الله ويخدم هذا الدين.

أحسن قول وأجمل قول وأسمى قول وأرفع قول الدعوة إلى الله عزو جل، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كالصلاة والصيام بل قدّمه الله على الصلاة والزكاة قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ما جزاءهم: ﴿ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٧١].

هذا الواجب يتفاوت بتفاوت المسلمين علماً وفطنة وأسلوباً ومركزاً وعملاً ووقتاً. ويزداد عظم المسؤولية، كلما ازداد علم المرء، وقدرته، ومنزلته بين الناس.

وكلما ازداد العلم، والدعوة، والمسؤولية، ازداد الأجر، وارتفع القدر، ونيلت الدرجات. والدال على الخير كفاعله.

أخي المسلم العالم بحاجة إلى من يُعرّفه بأخلاق الإسلام وعدل الإسلام وسماحة الإسلام.

والله ما وقع من إساءة للنبي -ﷺ- من الدنمارك أو غيرهم إلا لأنهم جهلوا مكانة رسول الله وعظمة رسول الله وأخلاق رسول الله ورحمة رسول الله للعالمين؛ فمن يخبرهم ومن يدعوهم ومن ينشر سيرة رسول الله بينهم، وأخلاق رسول الله بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلا نحن المسلمون. ها هوَ يهوديُ معه كلبُ، واليهود لطالما استفزوا المسلمين يريدون أن يوقعوهم في شركهم، يمرُ على إبراهيمَ ابن أدهم - عليه رحمة الله - ذلكم المؤمنُ فيقولُ لهُ:

ألحيتُك يا إبراهيم أطهرُ من ذنَبِ هذا الكلب، أم ذنَبُ الكلبِ أطهرُ من لحيتِك؟

فما كان منه إلا أن قال بهدوءِ المؤمنِ الواثقِ بموعود الله ﷻ:

إن كانت في الجنةِ لهيِ أطهرُ من ذنَبِ كلبك، وإن كانت في النارِ لذنَبُ كلبكَ أطهرُ منها.

فما ملك هذا اليهوديُ إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، والله ما هذه إلا أخلاقُ الأنبياء.

فما أحوج العالم كله الآن ليتعرف على الصورة المشرقة للإسلام، والكل سيُسأل بين يدي الله جل وعلا بحسب قدرته، واستطاعته، من لهذا الدين غيري وغيرك.

إن للباطل في هذا العصر صولة وجولة، وكلمة وموقف، فله خطط وبرامج وقنوات، وما انتفش الباطل وارتفعت كلمته إلا لتخاذل أهل الحق، ونكوصهم عن المواجهة، وإظهار محاسن الحق الذي يحملونه وينتسبون إليه.

إن أهل الباطل يُدافعون عن باطلهم، ويبذلون في سبيل نشره وإقناع الناس به كل غال ونفيس.

وليس الأمر مقتصراً على الدعوة فقط، بل إنهم يبثون أتباعهم في صفوف الجماهير لتثبيتهم على الوفاء لهذا المبدأ الخبيث، والهدف القبيح، والغاية الخاسرة.

هل تذكرت أخي أن دينك هذا الذي تدين الله به مستهدف بعداء مرير وكيد طويل؟ ! .

واقرأ إن شئت كتاب "قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله " و لتقف على طرف من هذا العداء! ! .

أخي: هل آلمتك مجازر المسلمين ورخص دمائهم فإذا هي أرخص من ماء البحر ومدن المسلمين تُباد ودولهم تُبتلع؟ ! ! هل تألمت لما يحصل لغزة وحصار غزة وما يقع في سوريا وكشمير والعراق؟

من منا يا إخواننا! الذي يدعو في كل سجدة للأمة أن يردها الله إلى الدين، وأن يرد إليها الأقصى الكريم؟ ! أُمة بخلت بالدعاء، فهل تجود بالأموال والدماء؟ !

أخي الحبيب: ماذا قدمت لدين الله؟

سؤال يجب ألا نمل طرحه، وألا نسأم تكراره؛ لنحيي في القلوب قضية العمل لهذا الدين، هذا الدين الذي تعب من أجله آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمنٍ بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضُّر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسي، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد -ﷺ-».

يقول تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وقال تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١].

أخي الحبيب:

هل فتّشنا في أنفسنا وتساءلنا كم تبلغ مساحة الإسلام من خارطة اهتمامنا؟ ! !

كم نبذل ونتعب ونهتم للدنيا؟ ! ! وفي المقابل كم نبذل ونتعب ونهتم للدين؟

ويحضرني قصة تلك المرأة النصرانية التي حضرت أحد المؤتمرات التي أقيمت للتعريف بالدين الإسلامي وبعد سماعها لتعريف مختصر لخصائص هذا الدين ومميزاته قالت: لئن كان ما ذكرتموه عن دينكم صحيحا أنكم لظالمون! ! فقيل لها: ولماذا؟ قالت: إنكم لم تعملوا على نشره بين الناس والدعوة إليه! !

بل ذكر أحد الدعاة أنه كان في بعض دول أفريقيا في رحلة شاقة إلى قرية من القرى وكانت السيارة تسير وسط غابة كثيفة وكان الطريق وعراً وعورة يستحيل معها أن تسرع السيارة أكثر من(٢٠)كم في الساعة وقد بلغ منا الإرهاق مبلغه وكأن البعض قد ضاق صدره من طول الرحلة، وبدأ يتأفف من شدة الحر وكثرة الذباب والغبار الذي ملأ جو السيارة وفجأة يقول شاهدنا على قارعة الطريق امرأة أوربية قد امتطت حماراً وعلّقت صليباً كبيراً على صدرها وبيدها منظار، وعند سؤالها عن سبب وجودها في هذه الغابة تبين أنها تدعو للصليب في كنيسة داخل القرية ولها سنتان قال صاحبي: فقلنا: (اللهم إنا نعوذ بك من جلَد الفاجر وعجز الثقة).

أخي. . . هل بذلت جُهدا في خدمة دينك ولو كان قليلا؟ ؟ .

هل أرسلت لقريب أو زميل مقطعاً مؤثراً بعد أن سمعته، أو كتيبا بعد أن قرأته؟ ؟

هذه المنكرات التي في مجتمعاتنا لم تنتشر في يوم وليله، ولكن انتشرت لأن واحدا فعل وواحد سكت وهما شريكان في الإثم، ولا ينجو إلا من نهى عن المنكر وأمر بالمعروف بمعروف. .

فهل استشعر ت وجوب مشاركتك في إزالة المنكر؟ !

أخي المسلم: إن في مجالسنا ومجتمعنا من يشوش على الناس مفاهيمهم ويُلّبس عليهم دينهم وينتقص أهل الصلاح منهم! ! .

فهل وقفت مُنافحا ومُدافعا بالتي هي أحسن؟ ! .

ماذا قدمت لدين الله؟

أخي. . . من لهذا الدين المتين ـ بعد رب العالمين ـ إلا أنت وأمثالك، ما لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذاً؟ !

إن الغيرة على دين الله دليل على محبة الله ودليل على الإيمان الصادق في قلب العبد، ومن لا يغار على محارم الله ضعيف الإيمان أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه فيما أخرجه الإمام مسلم بقُوله -ﷺ-: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**».

أرأيت أخي الحبيب إلى البحر العظيم ذو الأمواج الهائلة، إنه يفور غيرةً لانتهاك محارم الله؛ فقد أخرج الإمام أحمد عن عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: « **لَيْسَ مِنْ لَيْلَةٍ إِلَّا وَالْبَحْرُ يُشْرِفُ فِيهَا ثَلَاثَ**

مَرَّاتٍ عَلَى الْأَرْضِ يَسْتَأْذِنُ اللَّهَ فِي أَنْ يَنْفَضِخَ عَلَيْهِمْ -أي على عصاة بني آدم- فَيَكُفُّهُ اللَّهُ ﷻ-كرما منه ورحمة»، كل ذلك غيرة على محارم الله.

ماذا قدمت لدين الله؟

أخي الحبيب. . هل تعلم أنه في عام واحد بلغ ما جمعته المنظمات التنصيرية مبلغاً قدره (١٩٣) مليار دولار أمريكي! وقد بلغ عدد المنظمات التنصيرية (٢٣٣٠٠) منظمة عاملة، وبلغ عدد المنظمات التنصرية التي ترسل منصرين إلى الخارج (٤٥٠٠) منظمة. وبلغ عدد نسخ الإنجيل التي تم توزيعها خلال عام واحد فقط (١٧٨٣١٧٠٠٠) كتابا، وبلغ عدد الإذاعات والمحطات التليفزيونية التنصيرية (٣٢٠٠) إذاعة ومحطة تلفزة مختصة بالتنصير.

أسلحة الإعلام مدججة لطمس نور فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، فهذه مسلسلات وتلكم أفلام وبرامج وأغنيات. . تُذبح فيها الفضيلة، ويُطمس فيها الشرف، حتى صار القُبح عُرفاً والباطل عادة.

ماذا قدمت لدين الله؟

أيها الشباب! قد يرد علي الآن رجل من آبائنا أو شاب من أبنائنا، أو أخت من أخواتنا -وهذا سؤال مثار- ويقول: يا أخي! ولكني أستحي أن أتحرك لدين الله وأنا مقصر وأنا مذنب وأنا عاص أنا أعلم حقيقة نفسي! ! أقول: لو تخاذلت عن العمل لدين الله فقد أضفت إلى تقصيرك تقصيراً، وإلى ذنوبك ذنباً، فلا يحملك ذنبك على أن تترك العمل لدين الله، ولا يمنعك تقصيرك، ولا يمنحك إجازة مفتوحة من العمل للإسلام، لا! ! خذ هذه الرسالة الرقيقة من أبي محجن الثقفي - رضي الله عنه -، رجل مدمن على شرب الخمر، سبحان

الله! ! مع أنه فارس مغوار، إذا نزل الميدان أظهر البطولة والرجولة! ولكنه ابتلي بإدمانه على شرب الخمر، ومع ذلك تراه جندياً في صفوف القادسية، هل خرج للقتال؟ نعم.

وهو الذي كثيراً ما يؤتى به ليقام عليه الحد.

وفي ميدان البطولة والشرف أتي به لقائد الجيش سعد بن أبي وقاص؛ لأنه قد شرب الخمر فلعبت الخمر برأسه مرة أخرى، فأمر سعد بن أبي وقاص - خال رسول الله- أن يمنع أبو محجن من المشاركة في المعركة، وأن يقيد حتى تنتهي المعركة؛ لأنه لا تقام الحدود في أرض العدو.

وقيد أبو محجن، وبدأت المعركة، وارتفعت أصوات الأبطال، وقعقعت السيوف والرماح، وتعالت أصوات الخيول! ! وفتحت أبواب الجنة لتطير إليها أرواح الشهداء، وهنا احترق قلب أبي محجن الذي جيء به وهو على معصية، لم يفهم أبو محجن أن الوقوع في المعصية يمنحه إجازة مفتوحة من العمل لدين الله، من المشاركة لنصرة لا إله إلا الله، وإنما احترق قلبه وبكى، ونادى على زوج سعد بن أبي وقاص سلمى وقال لها: أسألك بالله يا سلمى! أن تفكي قيدي، وأن تدفعي لي سلاح وفرس سعد؛ لأن سعدا قد أقعده المرض عن المشاركة في القادسية إلا بالتخطيط.

فرقّت سلمى لحال أبي محجن، ففكت قيده، ودفعت له السلاح والفرس وقال لها: إن قُتلت فالحمد لله، وإن أحياني الله جل وعلا فلك علي أن أعود إلى قيدي؛ لأضعه في رجلي بيدي مرة أخرى، وانطلق أبو محجن، وتغير سير المعركة على يد بطل! على يد فارس! حتى قال سعد الذي جلس في عريش فوق مكان مرتفع؛ ليراقب سير المعركة، قال سعد: والله! لولا أني أعلم أن

أبا محجن في القيد، لقلت بأن هذا الفارس هو أبو محجن، ولولا أني أعلم أن البلقاء في مكانها لظننت أنها البلقاء، فردت عليه زوجه، وقالت: نعم، إنه أبو محجن وإنها البلقاء، وحكت له ما قد كان! ! ولما انتهت المعركة دخل سعد بن أبي وقاص على أبي محجن في موقعه في سجنه، فوجد أبا محجن وقد وضع القيد في رجليه بيديه مرة أخرى، فبكى سعد بن أبي وقاص ورق لحاله، وقال له: قم يا أبا محجن، وفك القيد عن قدميه بيديه، وقال له سعد: والله! لا أجلدك في الخمر بعدها أبداً، فنظر إليه أبو محجن وقال: ربما كنت أزل فيها لأنني أعلم أنني أطهر بعدها بالجلد، أما الآن لا تجلدني، وأنا والله لا أشرب الخمر بعد اليوم أبداً! وصدق مع الله جل وعلا.

فهذه رسالة رقيقة يرسلها أبو محجن الثقفي للعصاة من أمثالي، لأهل الذنوب من أمثالي؛ من أجل ألا تمنحهم ذنوبهم ومعاصيهم إجازة مفتوحة من أن يتحركوا لدين الله،

ومن أن تحترق قلوبهم بالعمل لدين الله جل وعلا! حتى الهدهد -ذلكم الطائر الأعجم حين كان في مملكة ضخمة على رأسها نبي، وقد سخر فيها الإنس والجن والطير والريح لهذا الملك النبي- لم يفهم من ذلك أنه قد أخذ إجازة من أجل ألا يعمل لدين الله.

الهدهد؟ إي والله تحرك ليعمل للدين؟ إي والله! بل جاء إلى هذا الملك النبي ليكلمه بكل ثقة: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ *إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ما الذي

أغضبك أيها الهدهد كأنك أسد ديس عرينه انه غار على محارم لأنه يعبد من دون الله ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[النمل:٢٢] .

لماذا فعلوا ذلك يا أستاذ العقيدة اسمع الجواب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ﴾، ويعلن الهدهد براءته من عقيدة الشرك والكفر ويقول: ﴿إِلّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[النمل:٢٥].

هدهد لم يعجز أن يجد لنفسه دوراً في مملكة موحدة لا في بيئات، لا في بلد نحت شريعة الله، بل في مملكة موحدة على رأسها ملك نبي، لم يعجز أن يجد لنفسه دوراً ليعمل لدين الله

ماذا قدمت لدين الله؟ :

فالعمل للدين ليس مؤقت بوقت ولا محدداً بزمان ولا مكان وإنما هو وظيفة العمر كله.

ماذا قدمت لدين الله؟ :

إن النبي -ﷺ- كان من أوائل اهتماماته صِيَاغَةُ الشَّخصية الدعوية التي تحمل هَمَّ الدين وتبذُل له. وكان أول من دعاه النبي -ﷺ- للإسلام هو أبو بكر الصديق ا، الذي تحرك من أول يوم ينشر هذا الدين حتى دخل بجهوده الدعوية في أول الأمر خمسة مّن المبشرين بالجنة.

وهذا الداعية الكويتي عبد الرحمن السميط يدعو إلى الله في أدغال أفريقيا فيُسلم على يديه ثلاثة ملايين شخص.

وهذه امرأة تدعو بالمراسلة على شبكة الانترنت ويُسلم على يديها الآلاف وهي امرأة مقعدة لا يتحرك منها إلا رأسها.

وها هو شاب مصري يهتدي على يديه عبر الانترنت ما يزيد على خمسمائة من النصارى.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَن دَعا إلى هُدى كان له من الأجرِ مِثلُ أجورِ مَن تَبِعَه، لا ينقص ذلك من أجورِهم شيئًا»[رواه مسلم].

واهتِداءُ رجلٍ واحدٍ بسَبَب دعوتك ونصيحتك خيرٌ لك من أنفَسِ الأموال، يقول عليه الصلاة والسلام: «فوَالله، لأن يهدِيَ الله بكَ رَجلاً واحدًا خيرٌ لك مِن حُمُر النَّعَم»[متفق عليه].

قال -ﷺ-: «بلغوا عني ولو آية»[رواه البخاري]. فبلغوا فيها تكليف وعني فيها تشريف ولو آية فيها تخفيف.

على المرء أن يسعى إلى الخير وليس عليه أن تتم المقاصد جهده

كيف تخدم دين الله؟

أولا: من أعظم الأعمال التي تخدم بها هذا الدين أن تجعل بيتك بيتاً مسلما في أفراده ومسلماً في أساسه ومسلماً في معداته وأجهزته تُنشر فيه الفضائل وتحارب الرذائل.

ثانياً: مشاركة أخوانك الصالحين في نشاطهم في الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة فيمكنك الاتصال بهم والعمل معهم والمرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه.

ثالثاً: شارك في الدعوة إلى الله بسنة تنشرها أو بفضيلة تدعو إليها أو كلمة تلقيها أو مطوية تبثها، المهم أن تكون إيجابيًا في مجتمعك.

رابعاً: فرّغ شيئاً من وقتك لتتعلم دينك، لتفهم دينك فهماً صحيحاً على أيدي العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، فمن المُحال أن تنصر شيئاً تجهله.

خامساً: تخفّف من ذنوبك بالتوبة النصوح واعلم بان بني إسرائيل مُنعوا القطر بسبب ذنب رجل في سبعين ألف رجل.

سادساً: اتبع سنة نبيك -ﷺ- واعلم أن المسلمين في معركة احد لم ينتصروا بسبب مخالفة لأمر رسولنا -ﷺ-.

سابعاً: كُن مخلصاً صادقا في أقوالك وأفعالك وحركاتك وسكناتك.

ثامناً: تخلق بالخلق الحسن واعلم أن لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

تاسعاً: أدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واعلم أن الدعوة سائرة بك أو بدونك فاسأل الله أن يشرفك بالدعوة لدينه.

عاشراً: تخيّر الصاحب الذي يعينك علي الخير ويدلك عليه، الصاحب الذي إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكّرك. الصاحب الذي يُذكّرك بعيوبك لأجل إصلاحها لا ليعيرك بها.

الحادي عشر: كُن ليّن الجانب طيّب المعشر هينا سمحاً في تعاملاتك مع إخوانك ومع الناس، واعلم أن اللين في الخطاب والبسمة علي المُحيا هما مفتاح قلوب الناس.

الثاني عشر: ابذل من مالك للدعوة إلى الله فالدال على الخير كفاعله.

الثالث عشر: سل الله في دعائك أن يعز الإسلام وينصر المجاهدين. ويؤيد الدعاة الصادقين ويخذل ويكبت كل من ناوأ الدعوة وكل من حاصر الكلمة وكل من وقف في وجه رسالة أنبياء الله.

أخي الحبيب:

تعال ضع يدك في يدي وبنا ننطلق ونخدم هذا الدين فالمرء قليل بنفسه كثيرٌ بإخوانه، دعنا نتكاتف ونكثّر السواد في خدمة الدين بإخلاص جمعني الله وإياك في مستقر رحمته ودار كرامته .

الحمد لله الذي أحاط بكل شيءٍ علماً وجعل لكل شيءٍ قدراً، خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً، أحمده سبحانه وأثني عليه شكرا، كرمه يتوالى ونعمه علينا تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه ربه واجتباه، فكان أشرف البرية وأعلاهم ذكراً صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

من كمال هذا الدين وعظيم محاسنه: أن بيَّن حقوق المسلم على أخيه،

ومن أعظم ثمرات حفظ هذه الحقوق: حصول ترابط المجتمع وألفته واجتماعه على الخير، حتى يكون مجتمعاً قويَّاً تتجلى فيه أسمى الأخلاق وأحسنها، وتعلو فيه مبادئ سامية، كلها عدلٌ ومحبَّة وأخوَّة وتكافل وتناصح وتواصٍ بالحق وتواصٍ الصبر.

بمجرد أن يدخل المسلم دائرة الإسلام فقد وجبت له حقوق على المسلمين ولو كان في أقاصي الأرض،

لو كبرت في جموع الصين مئذنة سمعت في المغرب تهليل المصلين
إذا اشتكي مسلم في الهند أرَّقني وإن بكى مسلم في الصين أبكاني

وسيُسأل المسلم عن هذه الحقوق إذا كانت واجبة هل أداها لأخيه أم قصَّر فيها، إنها مسؤولية تدفع المسلم لتأدية الحقوق على أتم وجه، وبهذا يكون المجتمع مترابطاً إذا اشتكى منه عضوٌ تألم له باقي الأعضا كما قال النبي المصطفى.

اليوم نعيش وإياكم مع حق من حقوق المسلم على المسلم، وهو حق السلام عليه اذا لقيه، ورده اذا سلم عليه .

وما أجمل السلام إذا حُلّي بابتسامة، وزُين بطلاقة وجه، وكمّل بالمصافحة، مع إخلاص لوجه الله تعالى، نورٌ على نور، تتساقط فيه الخطايا كما تتساقط أوراق الشجر.

أيها الأحباب: حديثنا عن السلام تفاؤلا ورجاء من الله أن يجعل أيامنا أيام خيرٍ و سلام، ومحبةٍ ووئام.

نتحدث عن السلام ونرجو من الله أن ينتهي هذا الوباء والبلاء، و تنتهي

هذه الحرب والشحناء، بين أبناء أمة الإسلام وتتحول إلى سلام وصفاء.

إن السلام من خير الأعمال عند الله، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[صحيح البخاري (١٢)، صحيح مسلم (٣٩)].

وتقرأ السلام أي: تنشر السلام، وتبادر به، على الناس جميعا سواء عرفتهم أم لم تعرفهم؛ فجميع المسلمين اخوة والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠]وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال النبي عليه الصلاة والسلام :

« ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ وَالإِنْفَاقُ في الإِقْتَارِ»[رواه البخاري] .

وأخرج الإمام البخاري -- في صحيحه): «لَمَّا خلَق اللهُ -تعالى- آدم - عليه السلام - قال: اذهب فسَلِّمْ على أولئك من الملائكة، فاسْتَمِعْ ما يحيونكَ، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكَ ورحمة الله»، فالسلام هو تحية أبينا آدم والأنبياء مِنْ بَعْدِه، وبه تُحيي الملائكةُ المؤمنين في الجنة، وهو تحية أهل الجنة يوم يَلْقَوْنَ ربَّهم، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب:٤٤]

وقال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة:٢٦]

السلام شعارُ الإيمان، وتحية أهل الإسلام.

السلام- اسم من أسماء الله -تعالى- الحسنى، فالله -جل جلاله- هو السلام، ومنه السلام، ويدعو إلى دار السلام، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس:٢٥]

وبعد الصلاة علمنا النبي المصطفى أن نقول **"اللهم أنتَ السلامُ، ومنكَ السلامُ، تباركتَ ذا الجلال والإكرام"** [رواه الإمام مسلم].ليعيش المسلم بسلام ويحيا بسلام، وينشر السلام ليدخل دار السلام. -اللهم اجمعنا في الحنة دار السلام-.

اسمع إلى هذين الحديثين الشريفين اللذين هما أصلين من أصول حقوق المسلم على المسلم، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ** » [صحيح البخاري].

وروى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعه** » [صحيح مسلم].

وروي عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال: لما قدم النبي المدينة انجفل الناس قِبله، وقيل: قد قدم رسول الله، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: «**يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**». و عن عمران بن حصين -

رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**عشر**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس فقال: **عشرون**، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه السلام فجلس فقال: **ثلاثون**» [أبو داود والترمذي وصححه الألباني:].

فكم يحرم المسلم نفسه من أجور يوم يترك السلام والرد على السلام.

كان عدد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- يخرجون الى السوق لا لشيء إلا لإلقاء السلام على الناس فيعودوا إلى بيوتهم ولهم أجور عظيمة.

وقد أمر الله بالسلام عند دخول المسلمين بعضهم على بعض في بيوتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور:٢٧]

، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ﴾ [النور:٦١].

حتى الأمواتَ نسلم عليهم وَنَدعُ اللهَ لهم بِقَولِنا: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»

هذا هو الاسلام دين السلام والامن والوئام لا دين العنف والقتل والاجرام.

نعم دين السلام مع الناس جميعا مع كل الاديان الا مع المحتل الا مع الذي اغتصب ارضنا واحتل ديارنا واخرجنا من أرضنا، وضاهر على اخراجنا قال

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة:٩]

ومن السنة أن يُسلّم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي، والماشي على الواقف، وخير الرجلين من يبدأ صاحبه بالسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام.

ويقول الله تعالى:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء:٨٦]

الحكم الفقهي أن إلقاء السلام سنة ورد السلام واجب بل هو فرض للآية السابقة﴿فَحَيُّوا۟﴾ هذا أمر، والأمر في القرآن يقتضي الوجوب بأحسن منها قال لك: السلام عليكم، تقول له: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال لك: أسعد الله صباحك، تقول له: أسعد الله جميع أوقاتك.

فلنتق الله في اخواتنا ولنفشي السلام بيننا ولنترك النزعات الجاهلية والأحقاد والضغائن والأمور التي ربما ترك البعض منا السلام من أجلها، فهذا لا يسلم إلا على من يعرف، وذاك لا يسلم إلا على أهل بلدته وأصحابه، وذاك لا يسلم إلى على من كان من جماعته وقبيلته. وهذا عجزٌ وبخلٌ وجهل.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**أعجز الناس من عجز في الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**» [رواه الطبراني في الأوسط وقال المنذري في الترغيب: إسناده جيد قوي]. وعن أبي أيوب - رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا**

وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» [البخاري ومسلم].

انها رسالة للمتهاجرين بسبب الدنيا أيام وشهور وسنين، انها رسالة للمتقاطعين بسبب الخلافات المذهبية والنزعات الجاهلية أيام وشهور وسنين انهم واقعون في حرام، وأنهم خالفوا هدي النبي المصطفى، وعن أبي أُمامة - رضي الله عنه - قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ**» [رواه ابو داود].

أي أن هذا الذي يسلم على الناس، ويبدؤهم بالسلام، أولى الناس وأقربهم إلى الله عز وجل، وكان أبو أمامه - رضي الله عنه - راوي الحديث إذا انصرف إلى بيته لا يمر بمسلم ، صغير ولا كبير إلا سلّم عليه، فقيل له في ذلك، فقال: أُمرنا أن نفشي السلام، و الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا».

وعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلاَمِ وَالتَّأْمِينِ**».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -: عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ السَّلاَمَ اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَضَعَهُ فِي الأَرْضِ فَأَفْشُوهُ بَينَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمِ إِذَا مَرَّ بِقَومٍ فَسَلَّمَ عَلِيهِم فَرَدُّوا عَلَيهِ، كَانَ لَهُ عَلَيهِم فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذكِيرِهِ إِيَّاهُمُ السَّلاَمَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيهِ، رَدَّ عَلَيهِ مَنْ هُوَ خَيرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيب**».أي الملائكة [رواه الطبراني والبزار بأسانيد رجالها رجال الصحيح].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: عَنْ رَسُوْلِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنهمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضاً**». وقال : «**إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم**

فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة».

ومن السنة أن يسلم المسلم على الصبيان إذا لقيهم اقتداء برسول الله -ﷺ- وفيه دليل على التواضع والرحمة، كما إن فيه تربية الناشئة على تعاليم الإسلام.

و هناك أحوالا لا يشرع فيها السلام، منها:

ما إذا كان الإنسان على حاجته من بول أو غائط، ومنها حال خطبة الجمعة، فلا يسلم على المستمعين للخطبة؛ ومنها حال الاشتغال بتلاوة القرآن، فالتالي لا يُسلّم عليه.

أخي الحبيب: هل تريد ضمان بدخول الجنة؟

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: «**ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِي، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّة، مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٍ عَلَى اللهِ**». [رواه أبو داود بإسناد حسن].

والمصافحة عند اللقاء سُنة مرغّب فيها، ففي سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة عن البراء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِر لهما قبل أن يتفرقا**».

وهي رسالة لمن يقولوا السلام في المسجد والمصافحة بدعة اذا لم نتصافح ويسلم بعضنا على بعض في المسجد فاين يكون ذلك.

و **السلام جالب للبركة** ، فإذا أردت أخي المسلم أن يبارك الله في نفسك وأهل بيتك فسلم عليهم كلما دخلت بيتك؛ فإن ذلك من أعظم أسباب البركة. فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال لي رسول الله -ﷺ-: «**يا بني إذا**

دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك».

وعن الزبير - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « **دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لا حَالِقَةُ الشَّعَرِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ** ».

حديث شريف يبدأه الرسول الكريم بالقسم فيحلف النبي -صلى الله عليه وسلم- على حقيقتين متلازمتين الأولى أنه لا سبيل إلى دخول الجنة إلا بالإيمان، أما الحقيقة الثانية أن هذا الإيمان لا يتحقق بتمامه وكماله إلا إذا ارتبطت القلوب برباط المحبة في الله والأخوة في الله، وإن هذا الإيمان لا يتحقق مع العداوة والتدابر والبغضاء ثم يدلنا الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يزيد في المحبة:« **أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم** .

لكن بعض الناس ترك السلام كبرا وغرورا إذا سلَّمت عليه؛ كأنك تسحب منه الرد سحباً، ومن الناس إذا صافحته صافحك برؤوس أصابعه، شُلّت أصابعه! وهذا من جهله بسنة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومنهم من ترك السلام جهلاً واستبدل مكانه كلمات ليست واردة كأن يقول: صباح الخير، وأهلاً وسهلاً.

وهذه تأتي كلها بعد السلام الشرعي الذي سنه عليه الصلاة والسلام .

وأخيراً فلا ننس كثرة السلام على نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام**» [رواه أبو داود

واللفظ له، وأحمد في المسند وحسنه الالباني].

اللهم الف بين قلوب المسلمين، واهدهم سبل السلام، وجنبهم الفتن والآثام.

حقوق المسلم - عيادة المريض

الحمد لله ذي القوة المتين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، الصادق الأمين، وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

ما زلنا مع حقوق المسلم على المسلم، واليوم ننتقل إلى حقٍ ثانٍ من حقوق المسلم على المسلم ألا وهو عيادته إذا مرض.

بعض المسلمين لا يعطون قيمةً لهذا الحق، ولا يعرفون قيمة عيادة المريض إلا إذا مرضوا ومضى يومان وثلاثة وأربعة أيام ولم يأتهم أحد.

المريض من أشد الناس حاجةً إلى المواساة، المريض من أشد الناس حاجةً إلى من يؤنسه، إلى من يدعوه إلى الصبر، إلى من يعطيه شحنةً روحيةً تُعينه على تحمل المرض .

عيادة المريض سنةٌ مؤكدة، فعلها النبي -ﷺ- وداوم عليها ،ٌللمسلم والكافر فقد صحَّ" أن النبي -ﷺ- عاد عمه أبا طالب وهو كافر، وصح كما عند ابن حبان وعبد الرزاق الصنعاني انه عاد جارا له يهودي فجاءه وَقَالَ لَهُ -عليه السلام-: «**كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلَانُ؟**»، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ الشَّهَادَتَيْنِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ فِي الثَّالِثَةِ: قُلْ مَا قَالَ لَك. فَفَعَل "، ثُمَّ مَاتَ، فقال :-ﷺ- «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْتَقَ بِي نَسَمَةً مِنْ النَّارِ**».

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِي»[رواه البخاري].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ رَدُّ السَّلامِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ»[أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم].

المقصود من عيادة المريض: " تعهُّده، وتفقد أحواله وإيناسه والتلطف به"، فقد يكون في أمسِ الحاجة إلى شيء، هذا معنى عيادة المريض.

ولقد كان من أدب السلف - رضوان الله عليهم - إذا فقدوا أحداً من إخوانهم سألوا عنه، فإن كان غائباً دعوا له، وخلفوه خيراً في أهله، وإن كان حاضراً زاروه، وإن كان مريضاً عادوه.

يقول الأعمش - رحمه الله -: «كنا نقعد في المجلس، فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه، فإن كان مريضاً عدناه»[شعب الإيمان للبيهقي:١١/ ٤٣٠]..

في عيادة المريض ثمارٌ وفوائدٌ عظيمة، في عيادة المريض **أولاً** : تتجلى الأخوة بمعانيها وتظهر الأخلاق وسموها حين يكون المسلم في حالةٍ من العجز، وانقطاعٍ عن مشاركة الأصحاب، حبيس المرض، وقعيد الفراش.

في عيادة المريض **ثانياً**: إيناسٌ للقلب، وإزالة للوحشة، وتخفيفٌ من الألم، وتسليةٌ للنفس والأقارب.

في زيارة المريض **ثالثا الجلوس في معية الله** عز وجل :عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا ابْنَ آدَمَ مرضت فلم تعدني. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما

علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده

»[رواه مسلم] لوجدت الثواب عنده، لوجدت الراحة عنده، لوجدت الأنوار عنده، لوجدت تجلي رب العالمين عنده..

المريض لوجدتني عنده لأن المريض منكسر القلب، نفسه رقيقة قريبةً من الله ﷻ، ينادي : يا الله يا الله لي سواك ، من يفرج همي إلا أنت ؟ والله الذي لا إله إلا هو لو كشف الغطاء لرأينا أن المرض من نعم الله الكبرى على الإنسان، لعل المرض هو الذي حثه على التوبة، لعل المرض هو الذي عرفه بعبوديته، وقربه من مولاه وكفر عنه خطاياه..

قال يزيد بن ميسرة -رحمه الله-: "إن العبد ليمرض وماله عند الله من عمل خير فيذكره الله سبحانه بعض ما سلف من خطاياه فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله فيبعثه الله مطهرًا اي نقيا من الذنوب".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "**مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله**".

في عيادة المريض **رابعا - السعادة والنعيم بل والجنة:** ، فهو في ممشاه إلى المريض يمشي في رياض الجنة ، ويتبوأ منها منزلاً ، عَنْ ثَوْبَانَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَرْجِعَ**».[أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٦(٢٢٧٣١) و"مسلم" ٨/ ١٢(٦٦٤٣)] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ- قَالَ: «**إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ ، أَوْ زَارَهُ ، قَالَ اللهُ ، ﷻ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلاً**» .

[أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٦(٨٣٠٨) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ٣٤٥ و"ابن ماجة" ١٤٤٣].

في عيادة المريض- خامسا نزول الرحمة والمغفرة :

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يرجع، فإذا جلس اغتمس فيها**»[صحيح، موطأ مالك و أحمد و البزار و ابن حبان]، وعَنْ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ ، قَالَ : أَتَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ الْمَكَانَ بَعِيدٌ ، وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا ، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ**» ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ ؟ قَالَ : «**تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ**» .[أخرجه أحمد ٣/ ١٧٤(١٢٨١٣).].

في زيارة المريض وعيادته سادسا صلاة الملائكة أي دعاءها :

فقد أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عن عليٍ - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

«**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً - أي صباحاً - إِلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ** » [حَدِيثٌ حَسَنٌ رواه الترمذي].

يا الله ما هذا الأجر العظيم على عيادة المريض إنها رسالة أن الإسلام يهتم بأخوتنا ووحدتنا واجتماعنا واعتصامنا.

وفي عيادة المريض-سابعا معرفة نعمة الله عليك :حين ترى ما أُبتلي به غيرك وانت عافاك الله ، فتقول الحمد لله الذي عافاني ما ابتلى به كثيرا من خلقه وفضلني عليهم تفضيلا.

روي أن رجلا جاء إلى عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– فقال يا أم المؤمنين إن بي داء فهل عندك دواء؟ قالت: وما داؤك؟ قال القسوة. قالت:« **بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت** . [ابن الجوزي : بستان الواعظين ورياض السامعين ١٤٦].

وقال أحد الصالحين : «زر السجن مرة في العمر لتعرف فضل الله عليك في الحرية ،زر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله عليك في حسن الخُلق ، زر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والعافية ،زر ربك كل آن لتعرف فضله عليك في نعم الحياة .

تلك سبعة كاملة ثمار عظيمة، وفوائدٌ جليلة لعيادة المريض، أخوةٌ وأخلاقٌ عالية، ايناس للقلب وازالةٌ للوحشة، معية الله رب البرية، سعادة ونعيم وخريف في الجنة، خوض في الرحمة واغتماس فيها، صلاة الملائكة ومعرفة فضل الله عليك.

هذه الثمار فما هي آداب عيادة المريض؟

اولا– اختيار الوقت المناسب :

بعض الناس يتعجل عيادة المريض ، فبمجرد سماعه أن فلاناً قد خرج من غرفة العمليات يذهب إليه مباشرة ، وقد يكون هذا المريض يحتاج إلى الراحة ، فيسبب له الناس حرجاً ، والتوسط هنا هو المطلوب فلا نتعجل الزيارة ، كما لا نهمل فيها حتى يفوت موعدها، كما أن عليه أن يختار الوقت المناسب لها ، فلا يختار وقتاً قد يكون نائماً فيه أو يكون ذلك وقت طعامه .

ثانيا من الآداب– سؤال المريض عن حاله : ولا يثقل عليه في السؤال

،كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا مَرَّ بِ سعد بن معاذ بعد ما اصيب ، يَقُولُ : **كَيْفَ أَمْسَيْتَ** ؟ وَإِذَا أَصْبَحَ : **كَيْفَ أَصْبَحْتَ** ؟ فَيُخْبِرُهُ. [أخرجه البُخَارِي ، في الأدب المفرد١١٢٩].

ثالثا- رقية المريض والدعاء له :

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَرِيضِ ، قَالَ : «**أَذْهِبِ الْبَأْسَ ، رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ ، اشْفِ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**». [أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٧(١٣٨٥٩. والنَّسَائِي ، في "عمل اليوم والليلة" ١٠٤٢].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَعُودُهُ وَبِهِ مِنَ الْوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِشِدَّةٍ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَشِيِّ وَقَدْ بَرِئَ أَحْسَنَ بُرْءٍ فَقُلْتُ لَهُ دَخَلْتُ عَلَيْكَ غُدْوَةً وَبِكَ مِنَ الْوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ بِشِدَّةٍ وَدَخَلْتُ عَلَيْكَ الْعَشِيَّةَ وَقَدْ بَرِئْتَ فَقَالَ:« **يَا ابْنَ الصَّامِتِ إِنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **رَقَانِي بِرُقْيَةٍ فبرِئْتُ أَلاَ أُعَلِّمُكَهَا قُلْتُ بَلَى. قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ حَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ بِسْمِ اللَّهِ يَشْفِيكَ**».[أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٣(٢٣١٣٩) و"النَّسَائي" في "عمل اليوم والليلة" ١٠٠٤].

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عُوفِي**».[أخرجه أحمد ١/ ٢٣٩(٢١٣٧) والتِّرْمِذِيّ" ٢٠٨٣ و"النَّسائي" في "عمل اليوم والليلة" ١٠٤٥].

ومما يهدى إلى المريض تذكيره بوصية النبي-ﷺ- في الاستشفاء فقد جاء عثمان بن أبي العاص إلى النبي-ﷺ- يشكوه وجعا في جسده فقال له: «**ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ**

بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[رواه مسلم ١٤/ ١٨٩].

و عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ النبي –ﷺ– كان إذا دخل على مريض يعوده قال:« **لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ** ». [أخرجه البخاري ٤/ ٢٤٦(٣٦١٦) و"النَّسائي" ٧٤٥٧ ، وفي عمل اليوم والليلة ١٠٣٩].

رابعا: من آداب زيارة المريض – تذكير المريض بأجر الصبر على المرض ، وجزاء الصابرين الذي وصفه ربنا في كتابه الكريم فقال : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة:١٥٧]

وعنْ أَبي هُرَيْرَة – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِي –ﷺ– ، قَالَ:«**مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَب ، وَلاَ وَصَب ، وَلاَ هَمٍّ ، وَلاَ حَزن ، وَلاَ أَذىً ، وَلاَ غَمّ ، حَتى الشَوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلا كَفَّرَ اللهِ بِهَا مِنْ خَطَايَاه**».[أخرجه أحمد ٢/ ٣٠٣(٨٠١٤و"البُخَارِي" ٧/ ١٤٨(٥٦٤١ و ٥٦٤٢) ، و"مسلم" ٨/ ١٦(٦٦٦٠)].

وروي عنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–:«**إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلاَءٍ فِي جَسَدِهِ ، قَالَ اللَّهُ لِلْمَلَكِ : اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، فَإِنْ شَفَاهُ ، غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ قَبَضَهُ ، غَفَرَ لَهُ ، وَرَحِمَهُ**». [أخرجه أحمد ٣/ ١٤٨(١٢٥٣١) و"البُخَارِي" ، في (الأدب المفرد) ٥٠١].

خامسا من آداب عيادة المريض– عدم إطالة الزيارة :

بعض الناس يكون ثقيلاً في الزيارة ، فيطيل الجلوس عند المريض ، وهذا مخالف لهدي الإسلام في عيادة المريض بل في الزيارة عموماً ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–: « **يَا أَبَا ذَرٍّ، زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا** »[رواه الطبراني ١٠/ ٥٦٥

صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٠].

ومن آداب العيادة سادسا – تقليل السؤال:

بعض الناس يكثر من سؤال المريض عن حاله ، بل يريد منه أن يحكي له قصة مرضه من أولها إلى آخرها ، ولا يراعي حالته الصحية وهذا مما يرهق المريض ، بل مما يزيد من علته ،

ومن آداب العيادة سابعا – أن يُفسح له في الأمل والعافية :

ولا يؤذيه بتذكيره بأن فلاناً قد مات بنفس العلة ، دخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه فسأله عن علته فأخبره، فقال الزائر: إن هذه العلة ما شفي منها فلان، ومات منها فلان. فقال عمر: إذا عدت مريضاً فلا تنع إليه الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

فمن الآداب أن يطمعه في الحياة، و ينفس له في الأجل،، إن شاء الله ﷻ يكرمك وتزوج عيالك وتفرح فيهم، وتفعل وتفعل .

ومن آداب العيادة ثامنا– طلب الدعاء من المريض:

يستحب طلب الدعاء من المريض، لأنه مضطر ودعاءه أسرع إجابة من غيره ،قال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل:٦٢]

، وأخيرا فإن على من يعود مريضاً أن يجعل زيارته خالصة لوجه الله تعالى فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه سبحانه ؛ وذلك حتى يؤجر من الله على تلك الزيارة وحتى يقبل دعاءه لأخيه .

أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يهدنا وإياكم لصالح الأقوال والأعمال والنيات، ولما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق المسلم - النصيحة

الحمد لله الذي جعل المؤمنين إخوةً في الإيمان، وشبههم في دعم بعضهم بعضا وشد بعضهم بعضا بالبنيان ، وشرع لهم من الأسباب ما تقوم به تلك الأخوة وتستمر على مدى الزمان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الألوهية والأسماء والصفات والسلطان . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى جميع الإنس والجان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما.

وبعد.

ما زال الحديث معكم مع حقوق المسلم على أخيه المسلم، واليوم نعيش مع الحق الثالث : ألا وهو حق النصيحة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**حق المسلم على المسلم ست »قيل وما هن يا رسول الله قال إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه**».

إن من أعظم القربات عند الله بعد التوحيد: رص صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم، وإشاعة الألفة والمحبة بينهم، وهذا لا يكون ولا يتأتى إلا بعد مراعاة ما أوجبه الله من حقوق الأخوة.

والنصيحة والتناصح من أعظم مقومات الأخوة في الله، ولها شأنٌ عظيم، فهي أساس بناء الأمة، وهي السياج الواقي بإذن الله من الفرقة والتنازع

والتحريش بين المسلمين.

و المسلمُ الحق إن رأى في أخيه قصورًا أو خَللاً وجبَ عليه أن يعينه على إصلاحِه، يفعلُ ذلك من منطلق إيمانه وإسلامه، إذِ النصيحة أصل الدين، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « **الدين النصيحة**» [رواه مسلم].

والنصيحة كلمةٌ جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير ارادةً وفعلا.

أيها الكرام: قد يفهم البعض الدين أنه صلاةً وصياما وحجا وزكاة فقط، وهذا فهمٌ خاطئ، يقول عمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: « **من شاء صام ومن شاء صلى ولكنها الاستقامة** ».

أيها الحبيب: إذا وقفت لتصلي فاعلم أن الصلاة امتحان، بل إنها ميزانٌ إن ما بين الصلاتين؛ استقامتك، صدقك، غضُّك للبصر، نُصحك للمسلمين، ورعك في تجارتك، وبيعك، وشرائك.

الدين ليس شعائر تؤدى وكفى، أو كتابٌ يُقرأ، أو مجلس علمٍ يُحضر، أو حجٌ يُؤدى، أو احتفالٌ بعيد المولد يُقام وانتهى الأمر، ونحن على ما نحن عليه، هذا هو الفهم السقيم للدين.

الدين شيءٌ يدخل في كل حياتك، في كل حركاتك وسكناتك، في كل نشاطاتك، في كل علاقاتك.

قال الفضيل بن عياض: «**ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة**»[((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٢٢٤)] . وعن الحسن البصري أنه قال: «**لو شئتم أن**

أقسم لكم لأقسمن: إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، والذين يحببون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة»[أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء (٣٦)].

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال:

«**الدِّينُ النَّصِيحَةُ** ». عبارةٌ جامعة مانعة، بقاء الدين كاملا بالنصيحة بقاء الدين ظاهرا بالنصيحة، نقاء الدين من الشوائب مرتبطٌ باستمرار النصيحة.

وهذا الحديث العظيم عليه مدار الإسلام، كما قال أهل العلم، فهو ينص على: أن عماد الدين وقوامه بالنصيحة، فلو عمل أفراد المسلمين وجماعتهم بما تضمنه هذا الحديث من معاني النصيحة لنالوا سعادة الدنيا والآخرة ولعاشوا إخوةً متحابين تجمعهم عقيدة واحدة ورايةٌ، واحدة ومنهجا واحدا في حياتهم.

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »...، فينصَح المسلم لنفسِه ولغيره بطاعة الله وتوحيده وخشيته والبُعدِ عن معصيته ، والنصيحة لكتابه بتعلُّمه وتعليمه وفهمه والعمل به، والنصيحة لرسولِه بامتثال أوامره ، ونشر سنته، والنصيحة لأئمَّة المسلمين بإعانتهم على الحقِّ وتذكيرهم به والدّعاء لهم، والنصيحة لعامّة المسلمين بجلب الخير لهم ودعوتهم إليه، ودَرء الشر عنهم وتحذيرهم منه.

النصيحة وظيفة من وظائف الانبياء، : فقد قال سبحانه على لسان نوح عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٦٢]

وقال تعالى عن هودٍ عليه الصلاة والسلام : ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنَاْ لَكُمْ

نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف:٦٨]، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[الأعراف:٧٩]

وبايع النبي -ﷺ- أصحابه على النصح لكل مسلم، قال جابر -رضي الله عنه-: «**بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم**». [متفق عليه].

والله أمر بالنصح حتى مع من علا وطغَى، وقال انا ربكم الأعلى قال الله لموسى وهارون: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [طه: ٤٣]، بل أمر بالرفق معه واللين وهو من هو: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طه:٤٤]

حاجة الانسان للنصيحة كحاجته للأكل والشرب والهواء لا غنى له عنها؛ لأنها هي التي تبين الطريق وتبصر الانسان بأخطائه، وما يحيط به من مخاطر ومهالك.

المسلم محتاج الى النصح حاكما كان أو محكوما رجلا كان أو امرأة عالما أو متعلما .

وكان السلفُ يحبُّون من يُبصِّرهم بعيُوبهم، ويرفعون شعار: (**رحِم الله من أهدَى إليَّ عُيوبي في سرٍّ بيني وبينه**).

النصيحة ذكرى والذكرى تحتاج الى أذنٍ صاغية، وقلبٌ واع لتأتي أكُلها قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥]،وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّمَر:١٨]

بالنصيحة يتنظف المجتمع من المحرمات والمنكرات والسلبيات والموبقات، إذا غابت من المجتمع النصيحة تقدمت الغيبة والفضيحة، وتراجعت الاخوة وإذا تراجعت الأخوة تقدمت الأنانية والمصلحة.

النصيحة دليل المحبة والتالف قال الحارث المحاسبي:« **اعلم انه من نصحك فقد أحبك ومن داهنك فقد غشك**»[رسالة المسترشدين"، ص (٧١)].

أخي الكريم: للنصيحة آداب وشروط فالنصيحة تحتاج إلى ضوابط لتكون نصيحة مؤثرة، نصيحة نافعة، نصيحة مباركة .

أول شروط وآداب النصيحة : أن تكون لوجه الله وحده ، لا لدنيا ولا رياء، ولا سمعة فمن كانت نصيحته لله ومحبة لعباد الله فهنيئا له.

ومن آداب النصيحة ثانيا أن تكون النصيحة خالية من التشهير والتعيير والشماتة.

ثالثاً أن تكون النصيحة سراً: فالنصيحة سراً أبلغ للقبول قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

قال السعدي: أي: انصحهم سراً، بينك وبينهم.

قال ابن رجبٍ -رحمه الله-: (**كان السّلَف إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ وعظوه سرًّا**)؛ فهناك فرقٌ بين النصيحة والفضيحة، يقول الفضيل بن عياض : (**إن المؤمن يستر وينصح، وإن المنافق والفاجر يهتك ويعير ويفضح**).

يقول الإمام الشافعي – رحمه الله-:

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تُعط طاعة

ومن آداب وشروط النصيحة رابعا أن تكون بلطف وأدب ورفق:

صدق الله القائل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:٥٣]

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء:٢٨]

حتى تصل النصيحة للقلب لابد لهذا القلب من مفتاح، ولن تجد له مفتاحاً أحسن ولا أقرب من اللطف والأدب والرفق ، كيف لا والنبي -ﷺ- يقول: « **ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه** ».

ابراهيم عليه السلام ينصح أباه المشرك:

﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤٢]

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم:٤٣]

انظر إلى أدب الخطاب يا أبت، ولقمان يوصي ابنه: يا بني يا بني، أدبٌ وتلطف.

دخل واعظ على هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين اني واعظك ولكني سأشدد عليك فاسمع لي، قال: لا اسمع لك قال ولم؟ قال: يا هذا أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، فقال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [مريم:٤٣].

جاء شاب إلى النبي -ﷺ- يستأذنه في الزنا يقول: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، هو يعلم تحريم الزنا لكنه جاء يستأذن رسول الله، ، فدعاه النبي

وقال: «يا هذا، أترضى بالزنا لأمك؟ ! » قال: لا، قال: «والناس لا يرضونه لأمهاتهم، أترضاه لزوجتك؟ ! » قال: لا، قال: «والناس لا يرضونه لزوجاتهم، أترضاه لابنتك؟ ! »قال: لا، قال: «والناس لا يرضونه لبناتهم، أترضاه لعمتك؟ ! » قال: لا، قال: «والناس لا يرضونه لعماتهم، أترضاه لخالتك؟ ! » قال: لا، قال: «والناس لا يرضونه لخالاتهم»، ثم إنه ضرب صدره وقال: «**اللهم أعفه وحصنه وطهر قلبه**»، قال - ﷺ -: فما هممت بفاحشة بعد ذلك.

كلنا يحفظ حديث الأعرابي الذي وقف في مسجد النبي -ﷺ- وبال إلى جوار رسول الله -ﷺ-، هل تتصور هذا المشهد؟ أعرابيٌّ يدع هذه الصحراء المترامية ولا يجد مكانًا يقضي فيه حاجته إلا في مسجد رسول الله -ﷺ-، بل وفي حضرته الشريفة -ﷺ-، ويقول الصحابة مه مه، ماذا تصنع أيها الرجل؟ ! ، والرسول -ﷺ- سيد الدعاة يقول « **لا تزرموه** »، أنا لا أقول هذا من باب الإعجاب السالب أيها الأحبة، أو لمجرد الثقافة الذهنية الباردة، بل أنا أبين منهجًا عمليًّا للدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وواجبٌ لكل سالكٍ على هذا الطريق والدرب المنير أن يكون على هذا المنهج العظيم.

« **لا تزرموه** » أي لا تقطعوا عليه بولته، ويقضي الرجل تبوله باطمئنانٍ كامل، حتى يقضي الرجل حاجته فيُنادي عليه رسول الله -ﷺ- نهر الرحمة وينبوع الحنان وأستاذ الخلق والأدب ويقول إن المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا، إنما جُعلت للصلاة ولذكر الله وقراءة القرآن، ويأمر النبي -ﷺ- صحابيًّا فيأتي الصحابي بدلو من الماء فيشنه على أثر البول ويطهر المكان، وانتهت القضية، وانتهت المشكلة، ما أمر النبي الصحابة أن يلقوا هذا الرجل من يديه وقدميه خارج المسجد، ما عنفه، ما وبخه، ما آذاه بكلمة ولا بلفظة، لا والله،

وإنما انفعل هذا الأعرابي بهذا الخلق الكريم فدخل الصلاة خلف رسول الله -ﷺ-، ثم دعا الله بهذا الدعوة التي سمعها النبي -ﷺ-، سمع الأعرابي يقول "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا"، لم يجامله النبي -ﷺ- على حساب المنهج أيضًا، وإنما لما قضى النبي -ﷺ- صلاته قال: « **لقد حجرت واسعًا** »، يعني لم تضيق ما وسع الله تبارك وتعالى؟ والله جلّ وعلا يقول: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[الأعراف:١٥٦].

وفي قصة معاوية بن الحكم وقد عطس أمامه رجل في صلاته فشمته معاوية وهو يصلي يقول: فحدقني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه مالكم تنظرون إليّ. ؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتونني لكني سكت.

فلما انصرف رسول الله -ﷺ- دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

عندما يكون الدواء مُرا يوضع في كبسولة ليسهل على المريض بلعه، فالنصيحة مرة تحتاج إلى تخفيف مرارتها بالسكر والسكر هنا هو : البسمة الطيبة والكلمة الرقيقة والرفق بالمنصوح.

خامسا من آداب النصيحة : أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة : قال تعالى : ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النحل:١٢٥]بالحكمة والموعظة الحسنة وليس الخشنة، وجادلهم بالتي هي أحسن وليس بالتي هي أخشن؛ فإذا كانت النصيحة ستؤدي إلى تفرق الشمل، أو تؤدي إلى منكر أكبر فتركها أولى.

وإذا اضطر الإنسان أحياناً إلى استخدام الشدة فإنه من المناسب أن يخلط مع أسلوب الشدة شيئاً من اللين، ويستخدم شيئاً من عبارات التلطيف.

ومن الحكمة أن تكون النصيحة على قدر الخطأ. وأن تكون النصيحة خالية من ألفاظ التفسيق والتجهيل، وأن تكون النصيحة بأسلوب التلميح وليس بأسلوب التصريح . علمنا النبي -ﷺ- أن نقول: «**ما بال اقوام يفعلون كذا**».

ومن آداب النصيحة وشروطها سادسا احسان الظن بالمنصوح: يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال : «**لا تظنن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا** »[[١١٠٠] ((الاستذكار)) لابن عبد البر (٨/ ٢٩١)].

وعن جعفر بن محمد قال : « **إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره فالتمس له عذرا واحدا إلى سبعين عذرا ، فإن أصبته وإلا قل لعل له عذرا لا أعرفه**».

ومن آداب النصيحة سابعا عدم الإلزام بقبول النصيحة، فمن واجب الناصح أن ينصح غيره، ولكن ليس من حقه أن يلزمه بقبولها، ان عليك الا البلاغ، وما على الرسول ،فلا تنصح على شرط القبول منك.

ومن آداب النصيحة ثامنا اختيار الوقت المناسب للنصيحة: لأن المنصوح لا يكون في كل وقت مستعداً لقبول النصيحة، فقد يكون مكدراً في نفسه بحزن أو غضب أو فوات مطلوب، أو غير ذلك مما يمنعه من الاستجابة لنصح الناصح.

ومن آداب النصيحة تاسعا الا يكون الناصح مخالفا لنصيحته: قال تعالى: عن شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود:٨٨]

وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة:٤٤]

وغير ذي تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو مريض

لا تَنـهَ عَـن خُلُـقٍ وَتَـأتيَ مِثلَـهُ عــارٌ عَلَيــكَ إِذا فَعَلــتَ عَظــيمُ
ابــدأ بِنَفسِــكَ وَانهَــا عَــن غِيِّهــا فَــإِذا انتَهَــت عَنــهُ فَأَنــتَ حَكــيمُ

ولا يعني هذا أن الناصح لا تقع منه المعصية البتة فكل ابن آدم خطّاء وليس الناصح والواعظ ملكا.

عاشرا من آداب النصيحة التثبت من الشائعات: حتى يُنكر أو ينصح على بصيرة، لا تكون المسألة ظنون. كان النبي- ﷺ- اذا أتته الأخبار سأل وتثبت حتى يبلغ به العلم اليقين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحُجرات:١٢].

من آداب النصيحة الحادي عشر المدح مع النصح: رأى ابن عمر –رضي الله عنه– رؤيا أنه في مثل التنور فيها نار فخاف فقيل له: لا تخاف، فقُصت على النبي- ﷺ- فقال ﷺ:« **نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل** »، قال ابن عمر فما تركت قيام الليل بعدئذ.

النصيحة كلمةٌ طيبة مثلها كحبة القمح قد توضع في مكان لا ينبت تمر الايام وتأتي رياح تأخذها الى ارضٍ طيبة تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة

حبة.

ابن مسعود يسمع رجل يغني فقال:« **يا له من صوت جميل لو كان بالقرآن** » ثم مضى .. فقال لأصحابه : من هذا ؟

قالوا : عبد الله بن مسعود ..

قال : صاحب رسول الله ﷺ ؟!! قالوا : نعم..

ثم لازم هذا المغني ابن مسعود حتى تعلم القرآن .. وصار إماماً في العلم

ثمار النصيحة

النصيحة بذرة طيبة يبذرها الناصح، ولابد للبذرة السليمة التي روعي فيها ما يصلح الزرع من ثمرة، وكذا النصيحة، فإذا روعيت آدابها وشروطها رجونا أن تتحصل منها الثمار الطيبة، والآثار الخيرة، ويمكن إجمال ثمار النصيحة في الأمور التالية:

١ - تنقية المنصوح من الشوائب:

فإن الناصح عندما يرى من منصوحه غفلة عن خير، أو وقوعاً في شر، فيعمد إلى تقوية وتنقية نفسه من الشوائب سيراً بها إلى التقليل من القصور في حق الله أولاً، ثم في حق عباده ثانياً، وهذا مكسب كبير للإنسان لو تمعن فيه، وهذا تكميل لنقص وقع فيه المرء من حيث لا يدري أو لا يدري، فإذا بمتطوع يذب عنه النقص، ويخلصه من الذنب، وأي شائبة أشد من التقصير في حق ذي الحق؟ وأي نقاء أكرم وأبرك من حرص أخيك عليك؟

٢ - دوام المحبة والألفة:

فإن المنصوح إذا نصحه الناصح بما يسدد خطأه، ويكمل نقصه، كان ذلك طريقاً لدوام الألفة بين الاثنين، ذلك لأن الناصح محب لمنصوحه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولابد أن يقابله صاحبه بمثل ذلك إن كان عاقلاً، وعليه فكم من نصيحة صادقة أدامت بين الأحبة وداً، وسدت في شخصية أحدهم نقصاً، وأبعدت عن النفس غوائل الشيطان، وألحقت من تأخر وتلكأ بالركب!!

٣- أداء حق الأخوة:

إن الناصح حين ينصح غيره إنما يؤدي ما لأخيه من حق عليه، وهذا الحق يتعلق بحب المرء لغيره مثل ما يحبه لنفسه، وهذا الأمر يؤدى بطرق منها النصيحة.

ذلك لأنك لا تحب لنفسك النقص ولا ترضاه، بل تعمل على إزالته وتلافيه، وواجب الأخوة يفرض عليك أن تعامل أخاك المنصوح بمثل ما تعامل به نفسك، وطالما أنك لا ترضى لنفسك النقص، فأنت لا ترضى لأخيك النقص، لذا تقوم بنصحه وإرشاده وإعانته على الخير، وإبعاده عن الشر.

وهذه أمور لابد لمن تآخيا من تحقيقها، وعنوان تحقيق ذلك بذل النصح لمن احتاج إليه ليكون علامة للأخوة، وطريقاً لقرب القلوب، وسداً أمام الضغائن والمحن.

وفي هذا الباب يحدثنا أبو حاتم محمد بن حبان البستي فيقول: « **النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقييم الألفة وتؤدي حق الأخوة**» ، وفي هذا يقول الخليفة عمر بن عبد العزيز: « **من وصل أخاه بنصيحه له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه، فقد أحسن صلته، وأدى واجب حقه...** » [تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٢].

ولعل سائلاً يسأل هناك كيف تكون النصيحة من حقوق الأخوة مع أن فيها ذكر العيوب وهذا يوحش القلب؟

ويجيب عن هذا السؤال الإمام الغزالي فيقول: ((فاعلم أن الإيحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه، فأما تنبيه على ما لا يعلمه، فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته، أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها، كان كمن ينبهك عن حية أو عقرب تحت ذيلك، وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك، والصفات الذميمة عقارب وحيات، وهي في الآخر مهلكات)) [احياء علوم الدين: ٢/ ١٨٢].

٤- حصول الأجر:

الناصح إذا أسدى لغيره نصحاً استحق عليه الأجر العظيم من الله ﷻ، على حرصه على إخوانه، وحبه لهم.

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه وسلطانه، ولا مثل له في أسمائه وصفاته، وبره وإحسانه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المؤيد ببرهانه، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأعوانه.

وبعد:

سيكون الحديث في هذه الدقائق مع حقوق الأخوة أي أخوة إنها ليست أخوة النسب وليست أخوة الدم والعرض إنها الأخوة في الله.

إن الأخوة في الله لا يمكن أبداً أن تتحقق إلا على عقيدة التوحيد بصفائها وشمولها. هذه الأخوة حولت الجماعة المسلمة الأولى من رعاة للغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم يوم أن آخى النبي ابتداءً بين الموحدين في مكة ثم آخى ثانياً بين أهل المدينة من الأوس والخزرج.

الأخوة في الله نعمة من الله وفيض من الله يغدقها الله على المؤمنين الصادقين. **الأخوة في الله** امتزاج روح بروح، و تصافح قلب مع قلب.

الأخوة في الله شرابٌ طهور يسقيه الله للمؤمنين الأصفياء الأتقياء.

الأخوة في الله قرينة الإيمان فلا أخوة بلا إيمان، ولا إيمان بلا أخوة، فإن وجدت أخوة من غير إيمان، فاعلم بأنها التقاء مصالح وتبادل منافع وإن رأيت إيماناً بدون أخوة صادقة، فاعلم بأنه إيمان ناقص يحتاج صاحبه إلى دواء وإلى علاج؛ لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠].

فالمؤمنون جميعاً كأنهم روح واحد، حل في أجسام متعددة كأنهم أغصان متشابكة تنبثق كلها من دوحة واحدة وهو مصداق قول الرسول الكريم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[البخاري ومسلم].

أن أخوة الإيمان أعظم حقاً من أخوة النسب فإخواننا في الإيمان يذكروننا بالله بينما أخواننا في النسب يذكروننا بالدنيا وما عليها.

الأخوة الموصولة بحبل الله، نعمة امتن بها ربنا جل وعلا على المسلمين الأوائل، فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران:١٠٣].

فالأخوة من الله نعمة امتن الله ﷻ بها على المسلمين فمستحيل أن تجد قانوناً وضعياً على ظهر الأرض يؤلف بين القلوب أبداً ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال:٦٣]. ولقد كان من الحكم العظيمة لأركان الإسلام الخمسة

إرساء دعائم الأخوة الإيمانية، فالشهادتان هما الشعار الجامع للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والصلاة شُرع أداؤها في جماعة ليجتمع المسلمون في الصلوات الخمس اجتماعاً صغيراً ثم يأتي الاجتماع الأكبر لأهل الحي في صلاة الجمعة ثم اجتماع أكبر لأهل البلد في صلاة العيد والغرض من هذه الاجتماعات أن يتعارف المسلمون وأن يتآلفوا ويتعرفوا على حوائج من يحتاج منهم إلى مساعدة.

ثم الزكاة تؤدي إلى التآخي والتراحم بين الأغنياء والفقراء.

ثم الصيام صورة لاجتماع المسلمين على شعيرة ظاهرة يمسكون عن الطعام في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد، ويشعر الصائمون بحاجة الجائعين.

ثم الحج اجتماع للمسلمين يضم وفوداً من كل فج عميق من فجاج الأرض فيتعرف المسلمون من خلاله على أحوال إخوانهم في شتى بقاع الأرض.

إن الأمة المتشرذمة المتشتتة الممزقة، لن تقوم لها قائمة ولن يكون لها كيان إلا إذا اتحد صفها والتقى شملها وتجمع أبناؤها، ولن يجمع هذا الشتات المتنافر إلا الأخوة الصادقة في الله أسأل الله أن يجعلنا من الصادقين.

ومن حقوق هذه الأخوة:

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله، محال أن تتحقق أخوة صادقة من غير حب في الله وبغض في الله، فالحب في الله والبغض في الله أوثق عرى

الإيمان يقول -ﷺ-: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله ﷻ» [رواه الطبراني بسند حسن].

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والضياء المقدسي وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- قال: « من أحب وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

هل تحب لله؟ هل تبغض لله؟ هل تعطى لله؟ هل تمنع لله؟ ما الذي جاء بك الآن؟ لماذا أتيت؟ ولماذا لم تأت؟ ولماذا تكلمت؟ ولماذا صَمَت؟ ولماذا أعطيت؟ ولماذا منعت؟ ولماذا ابتسمت؟ ولماذا غضبت؟ ولماذا واليت؟ ولماذا عاديت؟

وفي الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - أنه -ﷺ-قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

إذا كانت هذه هي حلاوة الإيمان، فإن للإيمان طعماً، إن للإيمان حلاوة، «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ».

في يوم ستدنو فيه الشمس من الرؤوس لا عمارات ولا أشجار ولا بيوت، ولا مكيفات، الشمس فوق الرؤوس، تغلي الرؤوس من حرارتها، الزحام يكاد وحده أن يخنق الأنفاس، فالبشرية كلها من لدن آدم إلى آخر رجل، قامت عليه الساعة في أرض المحشر تقف كلها في أرض واحدة وجهنم تزفر وتزمجر، قد أتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل سبعون ألف ملك يجرونها.

في ظل هذه المشاهد التي تخلع القلب ينادى الله جل وعلا على سبعة من البشر في أرض المحشر ليظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من هؤلاء؟ « إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله» أسأل الله أن تكون منهم « ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» من منا يعجز عن هذه؟ « ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه- أي اجتمعا على الحب في الله وتفرقا على الحب في الله- ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال- أي: للزنا- فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه».

اللهم ارزقنا عيناً دامعة وقلبا خاشعاً وعملا متقبلاً يا رب العالمين.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه -أن النبي قال: «أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى الملك قال له الملك: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية هل لك من نعمة عليه تربها- أي تبتغى زيادتها- قال: لا، غير أنى أحببته في الله عز وجل فقال له الملك: فإني رسول الله إليك أخبرك بأن الله قد أحبك كما أحببته».

و عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: « إن من عباد الله لأناساً ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء و الشهداء بمكانتهم من الله. فقالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: قوم تحابوا بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنوا إذا حزنوا، ثم قرأ: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾.

وفى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه -ﷺ- قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: « **أفشوا السلام بينكم** ».

سلم على أخيك بصدق وحرارة لا تسلم سلاماً باهتاً بارداً ووجهك في اتجاه آخر، خذ على يد أخيك بحب، فإنك قد ترى الأخ يمد يده أو طرف أصابعه في يد أخيه ويلوى عنقه إلى ناحية أخرى لا تشعر بحرارة اللقاء، ولا بإخلاص المصافحة لا تشعر بأن القلب قد صافح القلب، ولا تحس بأن الروح قد سلمت وامتزجت بالروح.

والنبي -ﷺ- يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - قال عليه الصلاة والسلام : « **الناس معادن كمعادن الفضة والذهب وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** ».

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾[مريم:٩٦]. أي محبة في قلوب عباده المؤمنين كما في الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه رحمه الله -« **إذا أحب الله عبدا نادى السماء: يا أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم ينادى جبريل في أهل الأرض: يا أهل الأرض إن الله يحب إني أبغض فلانا فأبغضه، فيبغضه جبريل وينادى في أهل السماء: يا أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضه أهل السماء: ثم ينادى في الأرض: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيوضع أو فتوضع له البغضاء في الأرض**»، اللهم عاملنا بفضلك ورحمتك واستر علينا ذنوبنا وعيوبنا بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين.

أخي المسلم: فتش عن قلبك الآن هل تحب الممثلين والممثلات؟ ستحشر معهم هل تحب الساقطين والساقطات واللاعبين واللاعبات؟ ستحشر معهم أو تحب الأطهار والأخيار والأبرار ابتداءً من نبيك المختار وصحابته الأبرار؟ ستحشر معهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس - رضي الله عنه - جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: « **وماذا أعددت لها؟** » قال: ما أعددت لها كثير عدد إلا أني أحب الله ورسوله قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- : « **المرء مع من أحب**».

يقول أنس: فما فرحنا بشيء كفرحنا بقولة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « **المرء مع من أحب**» ثم قال أنس: وأنا أحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر، وأرجو الله أن يحشرني معهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

ونحن نحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا وجميع أصحاب الحبيب النبي -صلى الله عليه وسلم-، ونرجو الله بفضله لا بأعمالنا أن يحشرنا معهم بمنه وكرمه وهو أرحم الراحمين.

الحق الثاني من حق الأخ على أخيه، ألا يحمل الأخ لأخيه غلاً في صدره ولا حقداً، ولا حسداً، لماذا؟

المؤمن سليم الصدر، المؤمن طاهر النفس، زكي النفس، نقي القلب.

المؤمن ينام على فراشه في آخر الليل، وهو يشهد الله في عليائه أنه لا يحمل ذرة غل أو حقد أو حسد لمسلم على وجه الأرض، والنبي يقول كما في الصحيح من حديث أنس - رضي الله عنه -: « **لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً**».

فالحقد والحسد من أخطر أمراض القلوب، يرى الأخ أخاه في نعمة فيحقد عليه ويحسده، ونسي هذا الجاهل أنه ابتداء لم يرضى عن الله الذي قسّم الأرزاق، فمن الذي وهب؟ إنه الله، من الذي أعطى هذا العلم؟ وأعطى هذا المال؟ وأعطى هذه الزوجة الصالحة؟ وأعطى هذا الولد الطيب؟ إنها أرزاق، قسّمها الرزاق.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

الحق الثالث: التورع في القول من حق أخيك عليك إن لم تستطع أن تنفعه بمالك، فكف عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان. فمن حقوق الأخوة بين المسلمين والمؤمنين: تعظيم بعضهم لحرمات بعض، وعدم تنقص بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾[الحجرات: ١١]، ونهى سبحانه عن اللمز، وهو الطعن في حق المسلم، وعن التنابز بالألقاب.

فتورع في القول عن إخوانك فإن اللسان من أخطر جوارح هذا الجسم قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور:١٩]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

جلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك الإمام المجاهد التقي العابد الورع فاغتاب أحد المسلمين فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخي هل غزوت

الروم؟ قال: لا، فقال: هل غزوت فارس؟ قال: لا، فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك.

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى - رضي الله عنه -أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: « **من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - واللفظ للبخاري أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا فيرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا، فيهوى بها في جهنم**» والعياذ بالله.

وأختم هذه الطائفة النبوية الكريمة بهذا الحديث الذي يكاد يخلع القلب، والحديث رواه الطبراني وقال عنه شيخنا الألباني في السلسلة الصحيحة: حديث صحيح بمجموع طرقه قال -صلى الله عليه وسلم- : «**من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال**» قيل: ما ردغة الخبال؟ قال: « **عصارة أهل النار حتى يخرج مما قال وليس بخارج**».

الحق الرابع من حقوق الأخوة: الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك: فمن حق الأخ على أخيه إن استطاع أن يعينه في أمر من أمور الدنيا أن لا يبخل عليه إن كان يستطيع ذلك.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبى هريرة - رضي الله عنه - : « **من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه** ».

وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال: آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين وبين سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنهم: تدبر ماذا قال الأخ لأخيه، قال سعد بن الربيع: يا عبد الرحمن، أنا أكثر الأنصار مالا وسأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولى زوجتان فانظر إلى أعجبهما إليك لأطلقها حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها»أ.هـ.

والله إن اللسان ليجف وإن القلب ليرتعد حرجاً ووجلا، وإن الكلمات كلها تتوارى خجلاً وحياء أمام هذه الأخوة.

لولا أن الحديث في الصحيحين لظننت أنه من نسج الخيال أن يقول رجل عربي له شهامة وعنده من الرجولة ما نعلم جميعا يقول لأخيه: سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولى زوجتان فانظر إلى أعجبهما إليك لأطلقها حتى إذا انقضت عدتها تزوجتها.

فيرد عليه العفيف الشريف عبد الرحمن بن عوف: بارك الله في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق.

إن سألني سائل: وأين الآن من يعطى عطاء سعد بن الربيع؟ ! والجواب: وأين من يتعفف عفة عبد الرحمن بن عوف؟ ! فلقد وجد سعد يوم وجد عبد الرحمن، وضاع سعد يوم ضاع عبد الرحمن.

جاء رجل إلى أحد الأغنياء الأثرياء ليسأله الصدقة بإلحاح فلما امتنع الغنى قال له الفقير: أين من ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية؟ ! فقال له: ذهبوا مع من لا يسألون الناس إلحافا.

فيا أخي المسؤول يا من منّ الله عليك بمنصب، ويا من منّ الله عليك بمال، ويا من منّ الله عليك بوجاهة أو جاه إن استطعت أن تنفع إخوانك أفعل، لا تبخل وبالمقابل يجب على الإخوة أن لا يكلفوا إخوانهم ما لا يطيقون فإن كلفوهم فعجزوا فليعذروهم.

الحق الخامس: من حقوق الأخوة: التناصح: المؤمنون نصَحة، والمنافقون والمشركون غششة.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى رقية تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- قال: «**الدين النصيحة**» تصور يلخص النبي -ﷺ-الدين في هذه الكلمة «**الدين النصيحة**» قلنا: **لمن يا رسول الله؟ قال**: « **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

قال الشافعي - رحمه الله -: «**من نصح أخاه بين الناس، فقد شانه، ومن نصح أخاه فيما بينه فقد ستره وزانه**»، فقد يأتي أخ لينصحك، فتشم من رائحة نصيحته الحقد والغل ولا تشعر أبدا بحب.

يا لها من مصيبة! ويا له من عار! نجلس فقط ونتفنن ونتحذلق في تصيد أخطاء بعضنا البعض، ويجلس الأخ منتفخاً منتشياً، وهو يتكلم عن أخيه، كأنه يتكلم عن مشرك كأنه لا يتكلم عن أخ يربط بينه وبينه رباط الإسلام ورباط الحب في الله، يتمنى أن لو ذبح أخاه وشفاه، وينشر لحمه بين الناس.

أين الأخوة؟ **الحق السادس من حقوق الأخوة: التناصر: قال** -ﷺ-: « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قالوا: يا رسول الله عرفنا كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: « **أن تكفه عن الظلم فذاك نصره**»[رواه البخاري رقم (٢٤٤٤)].

انصر أخاك في كل الأحوال إن كان ظالماً خذ بيد أخيك عن الظلم، وإن كان مظلوماً وأنت تملك أن تنصره، أنصره ولو بكلمة وإن عجزت بقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

إن استطعت أن تنصر أخاك بيدك أنصره بيدك، وإن عجزت عن نصرته باليد انصره بلسانك وإن عجزت عن ذلك فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

مسلمة استغاثت في أقصى بلاد الروم ونادت وقالت: وا إسلاماه وا معتصماه فنصرها المعتصم قال: لبيك لبيك أختاه.

الحق السابع: وأختم به الحقوق الستر والتغافر: من أعظم حقوق الأخ على أخيه الستر والتغافر من حق الأخ على أخيه أن يستر عليه، فالأخ ليس ملكاً مقربا ولا نبيا مرسلاً، فإن زل الأخ في هفوة فهو بشر استر عليه.

قال علماؤنا باتفاق: الناس صنفان وأرجو أن تعوا هذا الكلام جيداً الناس صنفان: صنف أشتهر بين الناس بالصلاح والبعد عن المعاصي، هذا إن زل ووقع وسقط في هفوة من الهفوات لبشريته وجب على المسلمين أن يستروا عليه.

رجل مشهور بالصلاح والدين والأخلاق والعلم والفضل زل وهو بشر ليس ملكاً ولا نبياً؟ ! لقد مضى زمن العصمة بموت المعصوم المصطفى - ﷺ - فإن زل أخوك استر عليه ولا تتبع عوراته.

الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث أبى برزة - رضي الله عنه - أنه - ﷺ - قال: « **يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه لا**

تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته». اللهم استرنا ولا تفضحنا.

يعنى يأتي الأخ يتكلم عن أحد إخوانه كأنه مبرأ من كل ذنب كأنه مبرأ من كل عيب، ونسى المسكين أن بيته من الزجاج، وهو الذي يقذف الناس بالطوب والحجارة، كل يتذكر ضعفه ونقصه وعيبه ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]. أما إن كان الرجل والعياذ بالله ممن يبارز الله بالمعاصي، وممن يجهر بالمعصية وممن يتباهى بالمعصية، فهذا هو الفاسق الفاجر الذي لا غيبة له.

الله سبحانه يعاملنا يوم القيامة بالحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته في كفته سيئات ولكن الحسنات إن رجحت نجا العباد يوم القيامة بالحسنات والسيئات، ونحن لا نريد أن نعامل إخواننا بهذا.

ومن حقوق الأخوة في الإيمان والإسلام:

الحق الثامن عدم الغش والخديعة للمسلمين قال -ﷺ-: «من غشنا فليس منا»، ومن ذلك الغش في البيع والشراء.

فإن كثيراً من الناس اليوم اتخذوا البيع والشراء وسيلة احتيال يحتالون بهما للاستيلاء على أموال الناس بالكذب والخداع والغش.

عن حكيم بن حزام - رضي الله عنه -: أن رسول الله -ﷺ- قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ويمحقا بركة بيعهما، واليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب» [رواه البخاري ومسلم وغيرهما].

وعن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده – رضي الله عنهما –: أنه خرج مع رسول الله إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «**يا معشر التجار**»، فاستجابوا لرسول الله ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه. فقال: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**»، [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة، وابن حبان في ((صحيحه))، والحاكم وقال: صحيح الإسناد].

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**»، **قال: فقرأها رسول الله ثلاث مرا ت، فقلت: خابوا وخسروا يا رسول الله، ومن هم؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»** [رواه مسلم وغيره].

هذا و اللهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً لخير القول و العمل، و أن يعصمنا من الضلالة و الزلل، و أن يصلح ذات بيننا و يؤلف بين قلوبنا، و يأخذ بأيدينا إلى ما فيه رضاه عنّا.

و صلى الله و سلم و بارك على نبيّه محمد، و آله، و صحبه أجمعين.

الحمد لله الملك القدوس السلام الذي أمر بصلة الأرحام، وجعلها من خصال أهل التقى والإسلام. الذين وعدهم بالجنة دار السلام.

والصلاة والسلام على نبينا محمد أتقى الأنام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: اليوم نعيش وإياكم مع حقٍّ عظيم من الحقوق التي يجب على المسلم الاعتناء بها.

إنه حق الرحم.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء: ١].

يقول الله تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم: وخلق منها زوجها وهي حواء خلقت من ضلعه الأيسر، وقوله: وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء أي ذرأ منهما أي من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وألوانهم ولغاتهم، ثم قال تعالى: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أي اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها، وقوله: تساءلون أي كما يقال: أسألك بالله وبالرحم، وقيل: تتعاقدون وتتعاهدون به.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

قال ابن جريج: «المعنى فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام».

وقال أبو العالية: «المعنى فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاما، أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اقرءوا إن شئتم»: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: «يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصَلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» [أخرجه أحمد والترمذي عن عبد الله بن سلام].

والرحم هم قرابة الرجل من طرفي أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق الخاصة، من المحبة والنصرة وعدم القطيعة، والقيام بحقوقهم كتمريض المرضى، وحقوق الموتى، من غسلهم والصلاة عليهم، وغير ذلك من حقوق المسلمين، وزيادة على ذلك النفقة على المحتاج منهم، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، حتى إذا تزاحمت الحقوق، بدأ بالأقرب فالأقرب.

وقد وردت السنة بتأكيد أهمية هذه العبادة، فمن ذلك ما رواه في الصحيح عن أبي أيوب الأنصاري أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم: ما له؟ فقال رسول الله -ﷺ-: « **تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**» [رواه مسلم (١/ ١٧٢، ١٧٣) الإيمان: باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة].

وعن علي - رضي الله عنه - عن النبيِّ -ﷺ-: «**مَن سرَّه أن يُمَدّ له في عُمُره ويوسَّع لَه في رزقِه ويُدفع عنه ميتةُ السّوء فليتَّق اللهَ وليصِل رَحمَه**» [رواه الحاكم والبزّار]، وعن ابنِ عبّاس - رضي الله عنهما - قال: قال رسولُ الله-ﷺ-: «**إنّ اللهَ لَيعمِّر بالقومِ الدِّيارَ، ويثمِّر لهم الأموال، وما نظر إليهم مُنذُ خلَقَهم بُغضًا لهم**»، قيلَ: كيف ذاك يا رسول الله؟ ! قال: «**بِصِلَتهم أَرحامَهم**» [رواه الحاكم والطبرانيّ، وعن أبي بكرةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله-ﷺ-: «**إنّ أعجلَ البرّ ثوابًا لصِلةُ الرحم، حتى إنَّ أهلَ البيت ليكونون فَجَرة، فتنمُو أموالهم ويكثُر عَدَدُهم إذا تواصَلوا**»[رواه الطبرانيّ وابن حبّان].

وصلةُ الرحِم لها خاصّيّة في انشراحِ الصَّدر وتيسُّر الأمرِ وسماحةِ الخلُق والمحبَّةِ في قلوب الخَلق والمودَّة في القربى وطِيبِ الحياة وبركَتِها.

ويقول عليه الصلاة والسلام : «**صلة الرحم وحُسن الخلق وحُسن الجوار يعمُرنَ الديار ويزدن في الأعمار**» [أخرجه أحمد عن عائشة - رضي الله عنها -]

وفي الصحيح كذلك من حديث أنس - رضي الله عنه - قال -ﷺ-: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [البخاري (١٠/ ٤١٥) الأدب: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم (١٦/ ١١٤)].

وقوله: «**ينسأ له في أثره**» أي يؤخر أجله وسمي الأجل أثراً لأنه يتبع العمر.

قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١] والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، مثل هذا ما جاء أن النبي -ﷺ- تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر، وحاصله أن صلة الرحم تكون سببا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم أو يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي فيه الزيادة أو النقصان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩]. فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك.

وقيل فيه **جواب ثالث**: وهو أن واصل رحمه تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده.

وورد كذلك أن من وصل رحمه وصله الله.

ففي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال -ﷺ-: «**إن الرحم شجنة من الرحمن**»، فقال: « **من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**» [البخاري (١٠/ ٤١٧) الأدب: باب من وصل وصله الله ورواه أحمد وابن أبي عاصم (٥٣٨) بمعناه] .

قيل وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة، وقوله «**من الرحمن**» أي أخذ اسمها من هذا الاسم، كما في حديث عبد الرحمن بن عوف في السنن مرفوعا: «**أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي**» [الترمذي (٨/ ١٠٠) أبواب البر والصلة وقال الترمذي صحيح.] .

قال الإسماعيلي: معنى الحديث أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن، فلها به علاقة وليس معناه أنها من ذات الله تعالى الله عن ذلك.

والمعنى الجامع لصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

وقوله -ﷺ-: «**من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**» الوصل هو أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه، وهو التقرب منه، وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه، وهو كما يليق بالله ﷻ وعظمته.

أخي الحبيب: هل أنت لا تزور إلا من زارك، ولا تصل الرحم إلا من وصلك، أين أمر الله لك بصلة الرحم. هل أنت تكافئ أم تطلب الأجر. واسمع حديثين في الموضوع نفسه:

ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي -ﷺ- قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» [رواه البخاري (٤/ ١١٣) وفي الأدب المفرد (٦٨) وكذا الترمذي (١/ ٣٤٨) وأحمد (٢/ ١٦٣، ١٩٠، ١٩٣) غاية المرام (٢٣٢) رقم ٤٠٨] .

قال الطيبي: المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله، ولكنه من يتفضل على صاحبه.

روى مسلم وأحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، ويجهلون علي وأحلم عنهم قال: «**لئن كان كما تقول كأنما تسفّهم بالملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» [مسلم (١٦/ ١١٥) البر والصلة: صلة الرحم وتحريم قطعها] .

قال النووي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم، لكثرة إحسانك، ولكنه من يقابل الإساءة منهم بالإحسان إليهم.

وقد وردت الأحاديث كذلك بالوعيد الشديد لقاطع الرحم ففي الصحيحين أن جبير بن مطعم أخبر أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**» [رواه البخاري (١٠/ ٤١٥) الأدب: باب إثم القاطع، ومسلم (١٦/ ١١٤) البر والصلة: صلة الرحم وتحريم قطعها.] .

عن أبي بكرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**» [رواه ابن المبارك في الزهد (٧٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٢)] .

قال الحجاوي: وقطيعة الرحم من الكبائر.

قال البلباني في آدابه: اعلم أنه يجب عليك أن تصل بقية رحمك، وهم كل قرابة لك من النسب، وقد قرن الله سبحانه الأرحام باسمه الكريم في قوله جل من قائل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

وذلك تنبيه عظيم على أن صلتها بمكان منه سبحانه ومقرب إليه، وقطعها خطر عظيم عنده ومبعد عنه سبحانه.

أخرج الطبراني عن الأعمش قال: كان ابن مسعود - رضي الله عنه -جالساً بعد الصبح في حلقة فقال: «**أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجّة دون قاطع رحم**» [أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٢٤).]

فمن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة، وليعفُ وليصفح، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.

وروي كذلك في الآثار «**أن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وأن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم**» [رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن أبي أوفي، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٤٦٣.] .

قال الحافظ في الفتح: قال الطيبي يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر وأنه يحبسه عن الناس عموما بشؤم التقاطع.

إنّ المرأةَ قد تَكون من أسبابِ القطيعة؛ بِنَقلِها الكلامَ وبثِّها المساوِئ ودفنِها المحاسن وتحريشها للرجال، وقد تَرى لحماقَتِها أنَّ لها في ذلكَ مَصلَحةً، وقد

تدفع أولادَها في الإساءةِ لذوي القربى، فعليها يكونُ الوزرُ، والله لها بالمرصاد.

وقد تكونُ المرأةُ مِن أسبابِ التواصل بين الأرحام وتَوطيدِ المودّة بَينَهم؛ بصبرها وتحمُّلها ونصيحَتِها لزوجها وأولادها وحثِّها على الخير وتربية أولادها، والله ﷻ سيثيبها، ويصلِح حالها وحالَ أولادها، ويحسِن عاقبَتَها.

فيا أيّتها المسلِمات: اتقِين الله تعالى وأصلِحنَ بَين ذوي القربى، ولا تكُنِ القطيعةُ مِن قِبَلِكنّ، فإنّ الله لا يخفَى عليه خافِيَة، قال الله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]

و من حقوق الأقارب:

١ – من حقوق الأقارب الزيارة، والزيارة نوع من التقدير تذهب ما في النفس وتقوي التواصل ولا تكلف الشخص مالاً ولا جهداً.

٢ – من حقوق الأقارب الدعاء لهم بظهر الغيب. فهل رفعت يديك يوماً من الأيام تدعو لأقاربك، عندما دعوت لنفسك؟ .

٣– الأقارب من كان منهم فقيراً فيوصل بالمال، والله جل شأنه بدأ الأقارب قبل المساكين والفقراء﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فالفقير قبل اليتيم والمسكين. أما إن كان القريب غنياً فلا تنس الهدية فإنها تشعر بالاحترام والتقدير، وتنمي الود، وتبقى الهدية تذكر بصاحبها أبداً.

٤ – الأقارب لهم حق الإكرام إذا قدموا من سفر، والتهنئة إذا نالوا خيراً، ولهم الحق في الدعوة في المناسبات، وكلها تفيد في التواصل بين الأقارب.

٥- الأقارب لهم حق خاص في التغاضي عن أخطائهم، ويتحمل منهم ما لا يتحمل من غيرهم. فلو حاسبت الناس وأقاربك وغض الطرف وتحمل من أقاربك ما لا تحتمله من الناس، وإياك أن تحاسب أقاربك وتقاطعهم لخلاف وقع.

٦- من حقوق الأقارب النصيحة لهم ودعوتهم، نافعاً لهم، كافاً شرّك عنهم.

قال أحد السلف جامعاً لحقوق الأرحام: «**واعلم أن المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غناه وفقرهم وقوته وضعفهم ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة الضيافة قبل غيرهم وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهداية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبه ومحبته**».

قال -ﷺ-: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»[رواه أحمد وغيره].

والكاشح: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها. وكشحه باطنه، أو الذي يطوي عنك كشحه ولا يألفك وفي الحديث يقول -ﷺ-: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة**» [رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن، والنسائي وابن ماجة الحاكم والمستدرك عن سلمان بن عامر وصححه الألباني - صحيح الجامع رقم ٣٥٧٢].

قال السفاريني: واعلم أن هذا كله ليس بواجب أكثره مندوب كما يعلم.

وينبغي على العاقل أن يبادر إلى صلة ذي الرحم الكاشح، وأن يدفع ما عنده من الضغن والبغضاء بالإحسان والإغضاء، كما قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت: ٣٤].

فيصبح كالحميم الذي هو القريب.

فصل رحمك رَحمك مولاك، وخالف بذلك نفسك وهواك، واصبر على أذاهم فإن بذلك نبيك أوصاك، وبالغ في الإحسان إلى من أساء إليك منهم تحمد بذلك عقباك، وحسن أخلاقك معهم ترضي خلاقك، وتنل راحتك ويطيب مثواك.

والله المسؤول أن يوفقني وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات لما فيه السعادة، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة، وصلى الله وسلم على النبي الأواب من جاء بالسنة والكتاب، وعلى آله وصحبه ما دجت الأحلاك ودارت الأفلاك.

الحمد لله، حكم بالفناء على هذه الدار، وأخبر أن الآخرة هي دار القرار، وهدم بالموت مشيد الأعمار، أحمده على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، حذر من الركون إلى هذه الدار، وأمر بالاستعداد لدار القرار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلم تسليمًا كثيرًا ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد. .

يقوم الإسلام على الرحمة والتكافل بين أفراده ولذلك يهتم ببر الوالدين والإحسان إليهما والعناية بهما، وهو بذلك يسبق النظم المستحدثة في الغرب مثل "عيد الأم" و"رعاية الأمومة والمسنين". وقد جاء الإسلام بأوامر صريحة تلزم المؤمن ببر والديه وطاعتهما ما لم يأمرا بمعصية قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقرن برهما بالأمر بعبادته في كثير من

الآيات. برهان ذلك قوله تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال **أمك**. قال ثم من؟ قال **أمك**. قال ثم من؟ قال **أمك**. قال ثم من؟ قال **أبوك**» [رواه الشيخان]. وما ذكر الله الإحسان إلى الوالدين بعد توحيده إلا لأن حقهما عظيم وبرهما واجب.

فضل بر الوالدين:

وفي فضل بر الوالدين وكونه مقدماً على الجهاد ومكفراً للذنوب ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه**» قيل من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**» [رواه مسلم والترمذي]. وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ «**قال الصلاة على وقتها. قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين. قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله**» [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال أقبل رجل إلى النبي ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. فقال: «**هل**

من والديك أحد حي»؟ قال نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم. قال: فارجع فأحسن صحبتهما». [متفق عليه]. وهذا لفظ مسلم وفي رواية لهما جاء رجل فاستأذنه في الجهاد. فقال: «أحي والداك »قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد». وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد» [رواه الترمذي].

وفي البر منجاة من مصائب الدنيا كما ورد في حديث أصحاب الغار وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده. وعكس البر هو العقوق ونتيجته الحرمان من الجنة لحديث أبي محمد جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع».

قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم [رواه البخاري ومسلم] والعقوق هو العق والقطع وهو من الكبائر [بل كما وصفه الرسول ﷺ] من أكبر الكبائر - وفي الحديث المتفق عليه وجدت أن العقوق يأتي مباشرة بعد الإشراك بالله.

والعق لغة هو المخالفة وضابطه عند العلماء أن يفعل مع والديه ما يتأذيان منه تأذيا ليس بالهين وتوسيعاً لدائرة البر اعتبر رسول الله ﷺ الخالة بمنزلة الأم لما ورد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه -عن النبي ﷺ قال: «الخالة بمنزلة الأم» [رواه الترمذي] وقال حديث صحيح.

وهذا في طلب إرضائها وصلتها وليس في تقسيم الميراث وفي الترمذي بإسناد صحيح حديث الرجل الذي أصاب ذنباً عظيماً وجاء يسأل هل له من توبة؟ وجواب النبي ﷺ هل لك من أم؟ قال لا ثم قال: **هل لك من خالة؟** قال نعم قال: **فبرها.**

البر بعد الموت:

وبر الوالدين لا يقتصر على فترة حياتهما بل يمتد إلى ما بعد مماتهما ويتسع ليشمل ذوي الأرحام وأصدقاء الوالدين. فقد روى أبو داود والبيهقي «جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**».

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه كان يسير في طريق مكة راكباً على حمار يتروح عليه إذا مل الركوب على الراحلة فمر به أعرابي فقال أنت فلان بن فلان قال بلى فأعطاه الحمار وقال اركب هذا وأعطاه عمامة كانت عليه وقال اشدد بها رأسك فقالوا لابن عمر غفر الله لك أعطيته حماراً كنت تروح عليه وعمامة تشد بها رأسك فقال ابن عمر إن هذا كان صديقاً لعمر وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه.

وأنواع البر كثيرة منها:

١- أن لا يتضجر منهما ولو بكلمة أف بل يجب الخضوع لأمرهما وخفض الجناح لهما ومعاملتهما باللطف.

٢- شكرهما الذي جاء مقروناً بشكر الله والدعاء لهما لقوله تعالى: **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾**.

٣- اختصاص الأم بمزيد البر لحاجتها وعظم شأنها وتعبها في الولادة والحل والرضاعة. والبر يكون بمعنى حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة والصلة لقوله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾** [لقمان: ١٤].

٤- الإحسان إليهما في القول والعمل والأخذ والعطاء وتفضيلهما على النفس والزوجة وتقديم أمرهما وطلبهما ومجاهدة النفس برضاهما حتى وإن كانا غير مسلمين لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

٥- رعايتهما ولاسيما عند الكبر وملاطفتهما وإدخال السرور عليهما.

٦- الإنفاق عليهما عند الحاجة قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

٧- استئذانهما قبل السفر وأخذ موافقتهما إلا في حج فرض.

٨- الدعاء لهما بعد الموت وبر صديقهما وإنفاذ وصيتهما.

هذا بيان منزلة البر وعظيم مرتبته أما آثاره فهي الثواب الجزيل في الآخرة والجزاء بمثله في الدنيا فإن من بر بوالديه بر به أولاده. وتفريج الكربات، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانطبقت عليهم صخرة فسدته عليهم فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم أن يفرج عنهم فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت قليلاً وتوسل صاحباه بصالح من أعمالهما فانفجرت كلها وخرجوا يمشون.

وإن في بر الوالدين سعة الرزق وطول العمر وحسن الخاتمة فعن على

بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه». [إسناده جيد] وبر الوالدين أعلى صلة الرحم لأنهما أقرب الناس إليك رحماً.

إنه لا يليق بعاقل مؤمن أن يعلم فضل بر الوالدين وآثاره الحميدة في الدنيا والآخرة ثم يعرض عنه ولا يقوم به أو يقوم بالعقوق والقطيعة قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣ - ٢٤]. ففي حال بلوغ الوالدين الكبر يكون الضعف البدني والعقلي منهما وربما وصلا إلى أرذل العمر الذي هو سبب للضجر والملل منهما وفي حال كهذه نهى الله الولد يتضجر أقل تضجر من والديه وأمره أن يقول لهما قولاً كريماً وأن يخفض لهما جناح الذل من الرحمة فيخاطبهما مخاطبة من يستصغر نفسه أمامهما ويعاملهما معاملة الخادم الذي ذل أمام سيده رحمة بهما وإحساناً إليهما ويدعو الله لهما بالرحمة كما رحماه في صغره ووقت حاجته فربياه صغيراً.

إن على المؤمن أن يقوم ببر والديه وأن لا ينسى إحسانهما إليه حين كان صغيراً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وأمه تسهر الليالي من أجل نومه وترهق بدنها من أجل راحته وأبوه يجوب الفيافي ويتعب فكره وعقله وجسمه من أجل حصوله على معاشه والإنفاق عليه ولكل منهما بر بجزاء عمله.

أيها الأحباب:

لا ينكر أحد فضل الولدين على أولادهما فالوالدان سبب وجود الولد ولهما عليه حق كبير فقد ربياه صغيراً وتعباً من أجل راحته وسهرا من أجل

منامه. تحملك أمك في بطنها وتعيش على حساب غذائها وصحتها لمدة تسعة شهور غالباً، كما أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾.

ثم بعد ذلك حضانة ورضاع لمدة سنتين مع التعب والعناء والصعوبة. . والأب كذلك يسعى لعيشك وقوتك من حين الصغر حتى تبلغ أن تقوم بنفسك ويسعى بتربيتك وتوجيهك وأنت لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، ولذلك أمر الله الولد بالإحسان بوالديه إحساناً وشكراً.

إن حق الوالدين عليك أن تبرهما وذلك بالإحسان إليهما قولاً وفعلاً بالمال والبدن، وتمتثل أمرهما في غير معصية الله وفي غير ما فيه ضرر عليك، تلين لهما القول وتبسط لهما الوجه وتقوم بخدمتهما على الوجه اللائق بهما ولا تتضجر منهما عند الكبر والمرض والضعف ولا تستثقل ذلك منهما فإنك سوف تكون بمنزلتهما، سوف تكون أباً كما كانا أبوين، وسوف تبلغ الكبر عند أولادك إن قدر لك البقاء كما بلغاه عندك وسوف تحتاج إلى بر أولادك كما احتاجا إلى برك، فإن كنت قد قمت ببرهما فأبشر بالأجر الجزيل والمجازاة بالمثل فمن بر والديه بره أولاده، ومن عق والديه عقه أولاده والجزاء من جنس العمل فكما تدين تدان. ولقد جعل الله مرتبة حق الوالدين مرتبة كبيرة عالية حيث جعل حقهما بعد حقه المتضمن لحقه وحق رسوله.

فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤]. .

وقدم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال قلت يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال:

الصلاة على وقتها، قلت ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. [رواه البخاري ومسلم]. وهذا يدل على أهمية حق الوالدين الذي أضاعه كثير من الناس وصاروا إلى العقوق والقطيعة فترى الواحد منهم لا يرى لأبيه ولا لأمه حقاً وربما احتقرهما وازدراهما وترفع عليهما وسيلقى مثل هذا جزاءه العاجل أو الآجل[حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة ص١١-١٤]

أيها المسلم الكريم إذا أردت النجاح في الدنيا والآخرة فاعمل بالوصايا الآتية:

- خاطب والديك بأدب﴿**ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**﴾[الإسراء:٢٣].
- أطع والديك دائماً في غير معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- تلطف بوالديك ولا تعبس في وجوههما ولا تحدق النظر إليهما غاضباً.
- حافظ على سمعة والديك وشرفهما ومالهما ولا تأخذ شيئاً بدون إذنهما.
- اعمل ما يسرهما ولو في غير أمرهما كالخدمة وشراء اللوازم والاجتهاد.
- شاورهما في أعمالك كلها واعتذر لهما إذا اضطررت للمخالفة.
- أجب نداءهما مسرعاً بوجه مبتسم قائلاً لبيك يا أبي لبيك يا أمي.
- أكرم صديقهما وأقرباءهما ولا تصادق عدوهما في حياتهما وبعد موتهما.
- لا تجادلهما ولا تخطئهما وحاول بأدب أن تبين لهما الصواب.
- لا تعاندهما ولا ترفع صوتك عليهما وأنصت لحديثهما وتأدب معهما ولا تزعج أحد اخوتك إكراماً لوالديك.
- ساعد أمك في البيت ولا تتأخر عن مساعدة أبيك في عمله.
- لا تسافر إذا لم يأذن لك ولو لأمر هام فإن اضطررت فاعتذر لهما ولا تقطع

رسائلك عنهما.

- ❖ لا تدخل عليهما بدون إذنهما ولاسيما وقت نومهما وراحتهما.
- ❖ إذا كان عندهما ضيف فقم بالخدمة وراقب نظرهما لعلهما يريدان شيئاً.
- ❖ لا تتناول طعاماً قبلهما وإكرمهما في الطعام والشراب واللباس.
- ❖ لا تكذب عليهما ولا تلمهما إذا عملا عملاً لا يعجبك.
- ❖ لا تفضل زوجتك وأولادك عليهما واطلب رضاهما قبل كل شيء - فرضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين.
- ❖ لا تجلس في مكان أعلى منهما ولا تمش أمامهما.
- ❖ لا تتكبر من الانتساب إلى أبيك ولو كنت موظفاً كبيراً واحذر أن تنكر معروفهما أو تؤذيهما ولو بكلمة واحدة.
- ❖ لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك فهذا عار عليك وسترى ذلك من أولادك فكما تدين تدان والجزاء من جنس العمل.
- ❖ أكثر من زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك واعتبر بأولادك وما تقاسيه معهم.
- ❖ أحق الناس بالإكرام أمك ثم أبوك واعلم أن الجنة تحت أقدام الأمهات.
- ❖ احذر عقوق الوالدين وغضبهما فتشقى في الدنيا والآخرة. وسيعاملك أولادك بمثل ما تعامل به والديك.
- ❖ إذا طلبت شيئاً من والديك فتلطف بهما واشكرهما أن أعطياك وأعذرهما أن منعاك ولا تكثر طلباتك لئلا تزعجهما.
- ❖ إذا أصبحت قادراً على كسب الرزق فاعمل وساعد والديك فأنت ومالك لأبيك.

- إن لوالديك عليك حقاً ولزوجتك عليك حقاً ولأولادك عليك حقاً ولإخوتك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه وحاول التوفيق بين هذه الحقوق إن اختلفت وقدم لهما الهدايا سراً وجهراً وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء.
- إذا اختصم أبواك مع زوجتك فكن حكيماً وأفهم زوجتك أنك معها إن كان الحق لها وأنك مضطر لترضي والديك.
- إذا اختلفت مع والديك في الزواج والطلاق فاحتكموا إلى الشرع فهو خير عون لكم.
- دعاء الوالدين مستجاب فاحرص على أن يدعوا لك بالخير واحذر دعاءهما عليك بالشر.
- تأدب مع الناس فمن سب الناس سبوه قال ﷺ «من الكبائر شتم الرجل والديه يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه» [متفق عليه].
- زر والديك في حياتهما وبعد موتهما وتصدق عنهما وأكثر من الدعاء لهما قائلاً: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ - ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[تذكير شباب الإسلام ببر الوالدين وصلة الأرحام، عبد الله بن جار الله الجارالله].

أسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين؟ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. وأشهد أن محمدا رسول الله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

وبعد:

سأبدأ هذا اللقاء بسؤال أوجهه للآباء: ما هو أغلى ما تملكون في هذه الدنيا بعد دينكم؟ وما هو أحب شيء لكم في حياتكم؟ ومن الذين تفرحون بفرحهم وتحزنون بحزنهم وتغضبون لغضبهم؟ من هم الذين تسعون طيلة نهاركم لتحصِّلون لهم معايشهم وتسعدوهم في حياتهم؟ من هم يا ترى؟ إنهم أبناؤنا. نعم، إنهم أولادنا ثمرات قلوبنا وفلذات أكبادنا وهدية الله إلينا وزينة حياتنا والأثر الصالح الذي نُذكر به إذا كانوا صالحين وهم من كسبنا ودعاؤهم من العمل الذي لا ينقطع بموتنا ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوَاةِ الدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٤٦]. «**إذا مات ابن آدم، انقطع عمله، إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[رواه مسلم وغيره واللفظ له].

اللهم أصلحنا وأصلح ذرياتنا يارب العالمين.

الذرية إنها هبةٌ إلهية، ونعمةٌ ربانية؛ امتن الله بها على عباده في غير ما آية من القران الكريم، فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. وقال ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٥٠]

الذرية الصالحة الطيبة كانت أمنية الأنبياء وقرة عيون الأولياء، كما أخبرنا الله تعالى بذلك في كتابه؛ فقال سبحانه عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾. وقال عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾. وقال عن عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

إنها نعمةٌ عظيمة جليلة عظيمة تحتاج منا شكر ووعد الله الشاكرين بالمزيد، أسالوا من حُرم الذرية كم يتمنى لو دفع كل ما يملك من أجل الحصول على الذرية.

أيها الأحبة في الله:

تصوروا أن رجلاً يملك بستاناً له، بستاناً فيه رياحين وأزهار وأشجار وثمار، وهو يتعهّد ذلك البستان، يتعهّده بالرعاية والسقي والعناية التامّة، يرعى ذلك البستان ويحميه ويصونه، يصونه طبعا من عبث العابثين وإفساد

المفسدين، فماذا يحدث؟ ! وماذا تكون النتيجة؟ ! لا شك أنه سينمو ويعطي أحسنَ الثمار وأروع الأزهار، ما نظر فيه أحد وما فيه من خيرات إلا وقال: تبارك الله ما شاء الله.

ولكن لو جعل هذا البستان نسيًا منسيّا، لا يتعاهده، ولا يرعاه، ولا يسقي أشجاره، ولا يحفظه، ويتركه عرضة للعبث والفساد، فماذا سيكون مصير هذا البستان؟ ! هل تكون فيه ثمار؟ ! هل تكون فيه أزهار؟ ! هل تكون فيه رياحين؟ ! هل تكون فيه أشجار؟ ! الأكيد أنه لا يبقى من ذلك البستان شيء، بل أنّ اسمه كبستان سيندثر وينمحي.

هذا مثال أسوقه إليكم ورسالة أرسلها إليكم في العناية بأبنائنا، فهم بساتين وثمار وأزهار وأشجار سنقطف ثمارها في الدنيا وفي قبورنا ويوم القيامة إن كانوا صالحين وجمعك الله بهم في جنته ودار كرامته ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد:٢٣]

كما أن للوالدين حقًّا على الأولاد، فكذلك للأولاد حق على الوالدين، وكما أن الله ﷻ أمرنا ببر الوالدين فكذلك أمرنا بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم أداء للأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٢٧]. فإن من الخيانة لهذه الأمانة العظمى ـ أمانة تربية الأولاد ـ إضاعتهم وإهمالهم، وترك حبلهم على غاربهم، يخرجون في أي وقت يشاؤون، ويصاحبون من يريدون، ويسهرون الليل وينامون النهار، يضيعون الصلوات ويرتكبون المحرمات ولا ناهي لهم ولا زاجر ، فهذا كله تضييع للأمانة.

رُوِيَ أن قاضيًا حَكَمَ على سارق بقطْعِ يدِهِ، فما أنْ لَفَظَ القاضي بالحُكْمِ حتى اهتَزَّتْ جَنَبَاتُ المَحْكَمَةِ بِصَوْتٍ يُجَلْجِلُ: اقْطَعُوا لِسانَ أُمِّي قَبْلَ أَنْ تقْطَعوا يَدِي، فلقد سَرَقْتُ في طفولتي بيضةً من جيراننا، فلم تؤنبني، وإنما هشّتْ لي وبشَّتْ، مستحسنةً ما فعلتُ، إنني لولا لسانُ أمِّي الذي هَلَّلَ للجريمة في صغري لما كنتُ اليوم سارقًا تقطعُ يدُهُ.

وعاتبَ بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت، إنك عققتني صغيرًا فعققتك كبيرًا، وأضعتني وليدًا فأضعتُكَ شيخًا. لقد أهملنا رعايةَ أولادِنا في أول الطريق فساءت أخلاقُهُم في نهايته.

إخوة الإسلام:

من لم يتعب في تربية أبنائه وهم صغار سوف يتعب معهم إذا كبروا وانحرفوا، ومن زرع في البداية خيرا سوف يحصد خيرا في النهاية.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يشكو إليه عقوق ولده، فأمر عمر بإحضار الولد، وأنّبَ عمر الولد لعقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ ! قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب ـ أي: القرآن ـ، قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحدا، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته من قبل أن يعقَّك، وأسأت إليه من قبل أن يسيء إليك.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦]

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي -ﷺ- قال: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهل بيته راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته »، وفي قول النبي -ﷺ- المتفق على صحته: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

أيها الأحبة:

في زمن تكالب فيه أعداء الإسلام على أهله، وفي زمنٍ كشّر الشر عن أنيابه، وفي زمنٍ انتشرت فيه وسائل الفساد وعمت وطمّت كان لزامًا علينا نحن الآباء والمربون وأولياء الأمور أن نهتمّ بشأن تربية الأولاد، وأن نبحث عن كل ما مِن شأنه أن يعيننا على القيام بهذه المسؤولية.

من مظاهر التقصير في تربية الأولاد الانشغال عنهم بمشاغل الدنيا فلا يكاد يجلس معهم إلا لأكل أو نوم أما سائر أوقاته فمشغول بعمله أو بأصحابه، ومنهم من ينشغل عنهم بغربة طالت فأكلت شبابه وضيعت متعة حياته مع أهله واحبابه وسلبت منه أغلى ما في حياته .

صلاحُ الأبناء والبنات أمنيّةٌ للآباء والأمهات، صلاح الأولاد ذكورهم وإناثِهم نعمةٌ عظيمة، ومِنَّة جليلة من رب العالمين. ما أسعدَ المسلمَ وهو ينظر إلى أولاده قد هداهم الله الطريقَ المستقيم، ورزقهم الاستقامة على الدين والهدى، يحبهم ويحبونه، يودّهم ويودّونه، إنْ أمَرَهم أطاعوه، فهم يبرّونه، ويطيعونه، وينفّذون أوامره في طاعة الله، قرّت بهم عينُه، وانشرح بهم صدرُه، وطابت بهم حياته، تلك نعمة عظيمة من الله. أولادٌ رُبُّوا تربية صالحةً، هُذِّبت أخلاقهم، حسُن سلوكهم، طابَتْ ألْفاظُهم، حسُنت معاملتُهم لرَبّهم قبل كُلّ شيء، ثم للأبوين، ثم للإِخوانِ والجيران والأرحام والمسلمين عمومًا. رُبُّوا على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، فصاروا عونًا للأبوين على كلّ ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم.

إن مهمة الآباء مهمة عظيمة يجب على الآباء أن يحسبوا لها حسابها، ويعدوا العدة لمواجهتها خصوصاً في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين، وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب، أو انتهشتها السباع.

فكيف يا ترى نحصل على الذرية الصالحة المؤمنة البارّة؟

أولاً: العناية باختيار الزوجة الصالحة:

فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، فعلى المسلم أن يختار لأبنائه الأم الصالحة التي تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق أبنائها، وتعرف رسالتها ووظيفتها في هذه الحياة. ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك**». فالزوجة هي أم الأولاد، وسينشئون على أخلاقها وطباعها، ثم إن لها تأثيرًا على الزوج نفسه؛ لذلك قيل: 'المرء على دين زوجته'

وعلى المسلمة أن تختار الزوج المناسب، ليكون أباً يشعر بمسئوليته وأمانته، ويقوم بواجبه تجاه زوجته وأولاده. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض**». [أخرجه الترمذي في سننه] . وقال أبو الأسود الدؤلي

لبنيه: « **قد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا، قالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات مَنْ لا تُسَبُّون بها**».

كما أنه يشرع للزوج عند اتصاله بزوجته أن يدعو فيقول: «**بسم الله، اللهم جنّبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»، فإذا رُزق مولودًا استُحبّ له أن يؤذِّن في أُذُنِه اليمنى ويُقيم في أُذُنِه اليسرى، كما وردت بذلك الأحاديث عن النبي -ﷺ-. ليكون أول ما يسمع المولود كلمات الأذان، كلمات التوحيد، ولتكون دعوة المولود إلى دين الإسلام سابقة على دعوة الشيطان.

ومن حقوق الأبناء بعد الولادة: ذبح العقيقة لهم وتسميتهم بأحسن الأسماء؛ فقد حث على ذلك نبينا ﷺ، فقال: «**كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى**». [أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، عن سمرة بن جندب ﷺ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح].

وعلى الأبوين أن يختارا لطفلهما اسما جميلا حسنا اسماً ذا معنى محمود، أو صفة طيبة يرتاح لها القلب وتطمئن لها النفس.

ومن حقوق الأبناء بعد الولادة: الرضاعة الطبيعية؛ ، فهي الأنسب لتركيب جسمه خلال المرحلة الأولى من عمره، وذلك بإجماع الأطباء والبحوث العلمية. وقد أمر بذلك رب العالمين، فقال سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. ولا يُفطمُ الطفلُ عن الرضاعة إلا بالتشاور والرضا بين الزوجين، مراعاة لحق الطفل في الرضاعة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

وإذا تعذر على الأم أن ترضع ولدها لمرض أو قلة لبن أو انعدامه، فعلى الوالد أن يستأجر لطفله مَن ترضعُه، يبحث له عن مرضعة ويعطيها أجرَة مقابل ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وإذا كانت الأم مطلقة ولها رضيع فإنها ترضعه مقابل أجرة يدفعها الأب، ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾. كل ذلك من أجل إعطاء الطفل هذا الحق من حقوقه.

لكن كثيرا من الأمهات اليوم أصبحن يبخلن على أبنائهن بهذا الحق، ويعوضن ذلك بالحليب الاصطناعي الذي لا يمكن أن يقوم مقام حليب الأم في فوائده ومناعته، حتى اضطر العالم إلى تخصيص أسبوع في السنة للتشجيع على الرضاعة الطبيعية.

ومن حقوق الأبناء على الآباء العدل بينهم؛ فالعدل بين الأبناءِ مَطلبٌ ضروريٌّ يتحقَّقُ به الصلاح والبرّ، فهو أساس المحبة والألفة، أما الظلم والتمييز بينهم فأساس البغض والحسد والحقد...

ولذلك حصل بين يوسف وإخوته ما حصل لِمَا رأوا من اهتمام يعقوب بيوسف وميله إليه: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. فكانت النتيجة: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾. لكن يعقوب عليه السلام معذور في فعله وحبه ليوسف، فهو يعلم أنه سيكون نبيا مرسلا، والنبي أفضل

من غيره بلا شك ولا ريب، أما غيره ممن يفضل بين أبنائه فغير معذور بذلك، بل فعله ذلك جور وظلم، نهى عنه النبي -ﷺ- وحذر منه، ، ففي الصحيحين عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ: إِنِّي اعطيت ابني فلانا كذا ، فقال رسول الله -ﷺ-: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم». وفي رواية أخرى: فقال رسول الله -ﷺ-: «فلا تشهدني إذا، فإني لا أشهد على جور». فكما أنَّ الوالدين يريدان من الأولاد أن يبروا بهما، فلا بدَّ من العدل بينهم؛ حتى يكون البر من الجميع.

أخلاق الحبيب:

ومن حقوق الأبناء الدعاء لهم بالصَّلاح والهداية والخير؛ اقتداء وتأسيا بأنبياء الله ورسله في دعائهم، فهذا الخليل ، يدعو فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، ويقول أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾. ويقول أيضًا: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾

وهذا زكريا عليه السلام لا يطلب الذرية فقط؛ بل يطلبها ويسأل أن تكون ذرية طيِّبة صالحة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

فدعاء الوالدين مستجاب كما قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**». [رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي حديث حسن]. لذا حذر النبي

ﷺ من الدعاء على الأولاد مهما فعلوا، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكُم، لا تُوافقُوا من اللهِ تعالى ساعة فيستجيب لكم**». رواه أبو داود بإسناد صحيح. فإياك أيها الوالد الكريم.. أن تكن سببا في إفساد ولدك بالدعاء عليه، وإن عقك يوما ولم يستجب لندائك، فكن سمحا صابرا رحيما متجاوزا، فهذا سيدنا يعقوب عليه السلام يقول لأبنائه رغم ما صدر منهم من هفوات وزلات: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أيها المسلم :اشرك اولادك في دعائك وادع الله أن يصلحَهم ويكفيهم شر الاشرار وأن يعيذهم من مكائد شياطين الإنس والجن.

حديثنا عن الاولاد وحقوقهم وتربيتهم لم ينته بعد ولنا لقاء اخر ان شاء الله.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين.

أسأل الله أن يصلح ذرياتنا، ويجعلهم قرة أعين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

الحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفق من شاء من عباده لمكارم الأخلاق، وهداهم لما فيه صلاحهم وسعادتهم في الدنيا ويوم التلاق.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق على الإطلاق، أدّبه ربه فأحسن تأديبه، وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد:

ما زلنا مع تربية الأولاد، مع حقوق الأبناء.

وهذا هذا هو اللقاء الثاني .

أول حق للأبناء قبل الولادة حسن اختيار أمهاتهم فالأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق، الأم هي المربية للأجيال، والحاضنة للأطفال ، والأمينة على الذرية، فإنها كما سترضع الطفل اللبن سترضعه العقيدة والأخلاق والقيم والمثل.

أيها القارئ الكريم : لقد خلد التاريخ الإسلامي أمهاتا خالدات كنّ رموزًا من رموز الإسلام، كنّ أمهات يعرفن مقام الأمومة ودور الأم في التضحية

والتربية و تكوين البيت المسلم، فوراء كل عظيم في هذه الامة أُما عظيمة، أُمّاً صالحة.

ها هي أم الإمام أحمد صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني، وقد ولد الإمام أحمد وعاش في بيت فقير.. مات أبوه وهو طفل فتكفلت أمه بتربيته.. يقول عنها :"حفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات".

هذه الأم المباركة كانت رحمها الله توقظه وتجهز له الماء قبل صلاة الفجر وهو ابن عشر سنوات، ثم كانت تتخمر وتتغطى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد لأنه بعيد، قال: فلما بلغت السادسة عشرة من عمري قالت لي أمي اذهب في طلب الحديث؛ فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد. وأعطتني متاع السفر عشرة أرغفة شعير ووضعت معها صرة ملح، وقالت يا بني إن الله إذا استودع شيئًا لا يضيعه أبدًا فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

و الإمام البخاري كذلك مات أبوه وهو صغير فكفلته أمه وأحسنت تربيته، ذهبت عيناه في صغره فرأت والدته الخليل إبراهيم عليه السلام في المنام فقال لها، يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك فأصبح وقد رد الله عليه بصره، فتبدل حزنها فرحًا.

وها هي أم سفيان الثوري كانت تقول لسفيان : "يا بني، اطلب العلم وأنا أكفيك من مغزلي. يا بني، إذا كتبت عشرة أحاديث -وفي رواية: عشرة أحرف- فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خلقك وحلمك ووقارك؟ فإن لم تَرَ ذلك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك"

الحق الثاني من حقوق الابناء الاذان والإقامة في أذنيه ليكون أول شيء يسمعه في هذا الوجود هو توحيد الله تعالى الذي خلقه ، وأوجده

الحق الثالث : حسن اختيار الاسم:

حسنوا اسماءكم وأسماء ابنائكم فإن بها تدعون يوم القيامة.

الحق الرابع : تكريم الطفل بالعقيقة لإعلان السعادة والفرح والبشر بمقدمه، وتكون العقيقة بذبح شاة أو أكثر عن المولود يوم أسبوعه ، وهي سنة فعلها النبي ﷺ.

الحق الخامس حقه في الرضاعة: قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[البقرة:٢٣٣]

ومن الحقوق سادسا رعاية الطفل من الصغر: وذلك في مأكله ومشربه ، وجسده ، وثيابه ، ليكون صحيح العقل ، سوي الجسم ، سليم الحواس.

أيها الاحباب :اعلموا أنه من أُسس ومبادئ وطرق الحصول على الجيل النافع الصالح المبارك المال الحلال، فلا يطعم الأولاد إلا من حلال ، ولا تتغذى الحامل والمرضع والأم الحاضنة إلا من حلال ، لأن اللبن أو الغذاء الحاصل من حرام لا بركة فيه. وكل لحم نبت من السحت فالنار أولى به .

ومن الحقوق سابعا العدل والتسوية بين الأولاد في الرعاية والمحبة والاهتمام حتى في القبلات لما روي أن رسول الله – ﷺ – قال : «**اعدلوا بين أولادكم في العطايا كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر** "[رواه الطبراني عن النعمان ابن بشير (فيض القدير ١/ ٥٥٧)].فإذا عدلت بين أبنائك وبناتك حللت منابر من نور في الجنة كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي –ﷺ– أنه قال: «**إن**

المقسطين على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا»، إننا ننشد العدل من الحكام ولن يتأتى حتى نعدل بين أبنائنا، فإياك أن تفضل بعض أبنائك بالعطية، إياك أن تكتب أرضاً، أو تعطي مالاً أو عقاراً إلى ابن أو بنت وتحرم الآخرين، بل اتق الله فيهم واعدل بينهم.

أيها الاخوة: لا يزال بين المسلمين اليوم من يتشاءم اذا ولد له انثى لا يزال بيننا من ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩]. ونسي هؤلاء ان البنات بركة في الدنيا والاخرة

أُحِبُّ البناتِ وحُبُّ البناتِ فرضٌ على كل نفسٍ كريمة
فإن شعيبًا مِنْ أجل ابنتيه أخدمه اللهُ موسى كليمَه

وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال قال –صلى الله عليه وسلم–: «**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جِدته –يعني ماله – كن له حجاباً من النار**» [صحيح الجامع ٥/ ٣٤].

وعن جابر – رضي الله عنه –قال قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: «**من كان له ثلاث بنات يُؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة البتة، فقال رجل بعض القوم: وثنتين يا رسول الله، قال: وثنتين**» [أحمد والبخاري في الأدب المفرد].

إن مهمة الآباء مهمة عظيمة خصوصاً في هذا الزمان الذي تلاطمت فيه أمواج الفتن واشتدت غربة الدين، وكثرت فيه دواعي الفساد حتى صار الأب مع أولاده بمثابة راعي الغنم في أرض السباع الضارية إن غفل عنها أكلتها الذئاب، أو انتهشتها السباع.

وأغرب من ذلك أن ترى بعض الآباء هداهم الله لا يأمر أبناءه بمعروف ولا ينهاهم عن منكر، بل يتركهم وأنفسهم مع الشيطان، فلا يأمرهم بصلاة ولا ينهاهم عن غي وفساد، ولو ناصحته لقال لك: الله الهادي، وهذه فترة شباب وتزول.

وما أدراك أنها ستزول، ولو فرضنا أنها قد تزول هل تضمن أن يعيش ولدك إلى تلك الساعة ويتوب، والله إنها أمانة سنُسأل عنها، وحق لابد أن نؤديه.

ومن حقوق الأبناء على الآباء ثامنا الدعاءُ لهم بالصَّلاح والهداية والخير؛ اقتداء وتأسيا بأنبياء الله ورسله في دعائهم، فهذا الخليل إبراهيم عليه السلام يدعو فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، ويقول أيضًا: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾. ويقول أيضًا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾. وهذا زكريا عليه السلام لا يطلب الذرية فقط؛ بل يطلبها ويسأل أن تكون ذرية طيِّبة صالحة: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

فدعاء الوالدين مستجاب كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**». [رواه أحمد والترمذي وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي حديث حسن]. لذا حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من الدعاء على الأولاد مهما فعلوا، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكُم، لا تُوافقُوا من اللهِ تعالى ساعة فيستجيب**

لكم». [رواه أبو داود بإسناد صحيح]. فإياك أيها الوالد الكريم. أن تكون سببا في إفساد ولدك بالدعاء عليه، وإن عقك يوما ولم يستجب لندائك، فكن سمحا صابرا رحيما متجاوزا، فهذا سيدنا يعقوب عليه السلام يقول لأبنائه رغم ما صدر منهم من هفوات وزلات: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

أيها المسلم، .اشرك أولادك في دعائك وادع الله أن يصلحَهم ويكفيهم شر الاشرار وكيد الفجار.

إن من أعظم ما يُربى عليه الولد ويؤدّب:

أولاً: معرفة الله والإيمان به، فالتربية الإيمانية هي أساس كل خير، ومجتمعنا الآن لا يعاني من قلة الأقوياء وإنما من قلة الأمناء، مجتمعنا مفتقر إلى الأمناء الذين يخشون الله تعالى ويطيعونه في السر والعلن.

ونعني بالتربية الإيمانية تربية الإنسان على معرفة الله ورسوله وطاعتهما، التربية على الإيمان بأن الله واحد لا شريك له، وبأن الله هو الذي يعطي، وأنه هو الذي يمنع، وأنه هو الذي ينفع، وأنه هو الذي يضر، وأنه ﷻ مطلع على خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وأنه سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، لتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

علّم أولادك رقابة الله وخشية الله الذي يعلم السر وأخفى.

علّم ولدك أن يقول صباح مساء: الله معي الله يراني الله مطلع علي الله سوف يحاسبني.

وهذا رسولنا الكريم يربي ابن عمه على الصلة بالله ﷻ، حيث يقول لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، إذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف**».

ثانياً: إن تربيةَ الأولاد وصلاحَهم واستقامتهم، بعد إرادة الله، متوقفٌ على حركاتِ وسكنات الأبوين، على أقوالهم وأفعالهم، فالأبناء والبنات من الصِّغر يرقُبون أخلاقَ الأبوين، ويرقبون كلامَهم وتصرّفاتهم كلَّها، يرقبون أحوال الأبوين، فالأبناء والبنات إنْ تَرَبَّوْا في أحضانِ أبٍ يَخافُ اللَّه، وأمٍّ تَخْشى الله؛ نَشَؤُوا على ذلك الخلق الكريم. بل الأبلغ من ذلك بيان النبي أن الوالدين محدِّدان لمسار ولدهما، عن أبي هُرَيرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «**كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة، فأبواهُ يُهوِّدانِهِ أَوْ يُنصِّرانِهِ أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ !** »[أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٥٨)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)].

وصدق من قال:

مَشَى الطاووسُ يومًا باعْوجاجٍ فقلّدَ شكلَ مشيتِهِ بنوهُ
فقالَ: علامَ تختالونَ؟ فقالوا: بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ فإنا إن عدلْتَ مُعَدِّلُوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدّبوه؟
وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا على ما كان عوَّدَه أبوه

أيها الأب الكريم:

إنَّ أولادك مرآةٌ يعكسون أخلاقك وأعمالك، إنْ رأوك تعظِّم الله وتخافه؛ عظَّموا الله جل وعلا، إن رأوْكَ تَخشى الله وتتَّقيه؛ خَشَوُا الله واتقَوْه في أعمالهم بتوفيق من الله، إن رأوْكَ ذا محافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، تأسَّوا بك فحافظوا عليها، إن رأوك معظِّمًا لأبيك وأمك؛ فإنهم سيعاملونك كذلك، إن رأوك تجالس ذوي التقى والصلاح بعيدًا عن أهل الإجرام والإفساد؛ نفروا من تلك الشلل الفاسدة والمجتمعات الآسنة، إن سمعوا منك كلمات طيبةً وألفاظًا حسنة؛ كانت ألفاظهم كذلك، وإن سمعوا منك السِّباب واللعان والقبح والفحش في الأقوال؛ سمعتَ منهم مثل ذلك وأشدّ.

القدوة الصالحة نبراس للذريات، ودليل يهدي قلوب الأبناء والبنات.

ثالثًا: صلاح الأبناء والبنات يحتاج منك إلى كلمات نافعات وتوجيهات ومواعظ مؤثرات.

كثير من الآباء يظن التربية لا تكون إلا بالقسوة والشدة والغلظة والضرب، أين الرحمة أين اللطف والعطف واللين؟ يقول النبي -ﷺ-: « **ليس منا من لم يوقر صغيرنا ويرحم صغيرنا** »[أخرجه أحمد والترمذي، وقال الترمذي:

"حديث حسن صحيح"]، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قبّل رسول الله الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله -ﷺ- ثم قال: «**من لا يرحم لا يرحم، أوَ أملك لك أن كان الله نزع من قلبك الرحمة؟ !** »[متفق عليه]. وفي الصحيحين كذلك عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «جاء أعرابي إلى رسول الله -ﷺ- فقال: إنكم تقبلون الصبيان، وما نقبلهم، فقال رسول الله: **أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك** » ومتى نُزعت- إخوة الإيمان- الرحمة من قلب المرء أباً أو أماً أو قريباً فهل تنفع التربية مع الولد؟ أو التلميذ؟ هل يتقبل منه موعظةً أو نصحا؟

لقد كان -ﷺ- مثلا مجسداً للرحمة بالأبناء، روى الترمذي وغيره عن عبدا لله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: «**رأيت رسول الله وهو يخطب فجاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما -، وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل النبي، فحملهما ووضعها بين يديه ثم قال إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**».

وروى النسائي والحاكم: « بينما كان رسول الله -ﷺ- يصلي بالناس، إذ جاءه الحسين، فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه حدث أمر، فقال: **إن ابني قد ارتحلني - أي صعد على ظهري، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته** »، وجاء في الإصابة أنه كان يداعب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من

الجانبين فيمشي بهما، ويقول: « نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما »

وفي الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي - أي أختصر - مما أعلم من وَجْد أمِه من بكائه»، وكان -صلى الله عليه وسلم- كما ورد في الصحيحين إذا مر على الصبيان يسلم عليهم ويحادثهم.

اتقوا الله، واعلموا أن الرحمة الحقّة قد تأخذ طابع القسوة أحيانًا، وهي ليست كذلك، فالأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرهًا ويُحفَّظون الدروس زجرًا، ولو تركوا وأهواءَهم لقتلهم اللهو واللعب، وعندما يؤدبون على الخطيئة أو ينهوا من قبل آبائهم وأمهاتهم عما تميل إليه نفوسهم وفيه ضرر عليهم إنما هو رحمة من الوالدين، وكذلك الطبيب عندما يجري جراحة بالجسم فيمزق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظام أو بترها، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض، فليست الرحمة حنانًا لا عقل فيه، أو شفقة تتنكّر للعدل والنظام، وإنما هي عاطفة ترعى الحقوق جميعها، فمنظر الإنسان وهو يقتصّ منه قد يستدرّ العطف، ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة وأطلق سراح القاتل لامتلأت الأرض فوضى وفسادًا، ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حياة يا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٩]، والمسلم يسرّ ويفرح عند سماعه إقامة الحدود.

أيها الأب الكريم:

لا بدّ من عظةٍ للأبناء ونصيحة لهم بالحسنى، ورسم الطريق الصالح ليسلكوه، اسمع اللَّه يُحَدّثنا عن لقمان الحكيم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

رابعا: صلاح الأبناء والبنات يتوقف على أمرهم بالصلوات، الصلاة عماد الدين ومرضاة لله رب العالمين، فمروهم بها تصلح أحوالهم، وتصلح شؤونهم ؟. . . ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: ٤٥].

علِم الخليل عليه الصلاة والسلام ، عظيم شأن الصلاة فرفع كفه إلى الله داعياً سائلاً ضارعاً ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي. . . ﴾ [إبراهيم: ٤٠]أي رب اجعل ذريتي تُقيم الصلاة.

مُر أولادك بالصلاة لسبع سنين و اضربهم عليها لعشر، فالله سائلك يوم القيامة هل أمرت أبناءك بالصلاة، وليتعلقن الابن بأبيه بين يدي الله في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، يقول: يا رب ما أمرني بالصلاة يا رب تركني نائماً، يا رب ما أمرني بطاعتك.

ما الفائدة من ولد لا يصلي ولو كان أذكى الناس وأغنى الناس، بيت فيه قاطع الصلاة يمحق الله فيه البركة.

والعجيب أن البيوت أيام الاختبارات حالة طوارئ هل ذاكرت؟ هل درست؟ هل راجعت؟ انتبه تأخر عن الاختبار وما حاسبوه على الصلوات ولا على قراءة القران.

خامساً: مما يُربى عليه الأولاد والبنات تنشئتهم على الآداب الإسلامية وتدريبهم عليها؛ ومن ذلك آداب الأكل والشرب، رأى النبي -ﷺ- عمر بن أبي سلمة تطيشُ يدُهُ في الصحفة، فقال لهُ النبي -ﷺ- مبادرًا لنُصحه وتوجيههِ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[رواه البخاري]. علموهم آداب النوم وآداب الضيافة وآداب المجلس وآداب السلام وآداب

قضاء الحاجة وآداب الجار وتشميت العاطس وغير ذلك، فمتى اعتادها في الصغر نشأ عليها في الكبر، وسهل عليه القيام بها، وسرّ الأب بها وثناء الآخرين على حسن تربيته.

سادساً: الحرص على استعمال العبارات المقبولة الطيبة مع الأولاد، والبعد عن العبارات المرذولة السيئة: فإذا أعجَب الوالدين شيءٌ من عمل الأولاد على سبيل المثال قالا: ما شاء الله، وإذا رأيا ما يثير الاهتمام قالا: سبحان الله، الله أكبر، وإذا أحسن الأولاد قالا لهم: بارك الله فيكم، أحسنتم، جزاكم الله خيرًا، وإذا أخطئوا قالا: لا يا بني، ما هكذا، إلى غير ذلك من العبارات المقبولة الحسنة؛ حتى يألف الأولاد ذلك، فتعفّ ألسنتهم عن السباب والتفحّش.

لا تستغربوا عندما تسمعوا أولاد صغار في سن الزهور يسبون بكل اللغات أين تعلموا هذا السب وممن من؟

سابعاً: الحرص على تحفيظهم كتاب الله ﷻ: فالاشتغال بحفظه والعمل به اشتغال بأعلى المطالب وأشرف المواهب، ثم إن فيه حفظًا لأوقاتهم وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفجر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

والله أسأل أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويهديهم سبل السلام، وأن يجنبهم الفتن والآثام، وأن ينصرهم على أنفسهم وأعدائهم والشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على محمد خير الأنام.

الحمد لله المحمود بكل لغة ولسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحيم الرحمن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد. .

لقاءنا يتجدد معكم مع تربية الأولاد.

مع وسائل إصلاح الأولاد.

مع حقوق الأبناء على الآباء.

ومن حقوق الأبناء على الآباء تاسعا تربيتهم وتأديبهم؛ فالوالدان مسئولان عن تنشئة أبنائِهم وتربيتهم تربيةً حَسَنة، تنشئة على الفضائل، والاخلاق

الحسنة من صدق الحديث وحفظ الأمانة، وإفشاء السلام وإطعام الطعام وخصال الكرام، وتنبيههم من الوقوع في الرَّذائل والاخلاق السيئة من كذب وزور وخيانة وبهتان ،تنشئة تُعرّفهم الحلال والحرامَ، تحفظ عليهم دينَهم وفطرتهم، فيسلكوا مسالك الصَّالحينَ، ويُقبلوا على اللهِ تعالى إقبال المخلصين المتقين.

فالمولود يولد على الفِطرة، ومن واجب الآباء أن يحافظوا على هذه الفطرة، ويصونوها من الدنس والانحراف.. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:«**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**». : ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾

فالصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، فالتعليم في الصغر، كالنقش في الحجر، فإن عُوِّدَ الخيرَ وعُلّمَ الخير نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكلّ معلمٍ له ومؤدبٍ، وإنْ عُوّد الشرّ وأهمِل إهمالَ البهائم شقِي وهلك وكان الوزرُ في رقبة مربيه والقيّم عليه". كما قال أهل العلم.

ومن واجب الآباء أن يحصنوا أبناءهم من قبائح الرذائل والمنكرات، وويلات المسكرات والمخدرات، والحذر من شرور الانترنت والقنوات والجوالات.

الجوال وما أدراكم ما الجوال؟ ! أصبح وسيلة للفساد والافساد فهل اطلعت يوما على جوال ابنك وابنتك لترى ما فيه.

يا الله احفظ ذرياتنا من كل سوء، ومكروه.

صلاح الأبناء والبنات يتوقف:

على أمرهم بالأخلاق الفاضلة والآداب الكريمة. كثيرٌ من الناس يظن الناس أن الحسنات ليست إلا في العبادات بينما يقول النبي-ﷺ- « :مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزانِ المؤمِنِ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ ». [أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء].

فلان من الناس بصيامه وقيامه وفلان من الناس بحسن خلقه كلاهما يوم القيامة في درجة واحدة، لذلك ويقول -ﷺ-: « إِنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ ». [أخرجه أبو داود عن عائشة أم المؤمنين].

ومن أعظم الأخلاق التي يجب أن يتعلمها الأطفال منذ الصغر الصدق، وأعظم وسيلة لتحقيق ذلك القدوة الصادقة. يأتي طارق يسأل عن الأب في البيت، فيقول الأب لابنه: اذهب وقل له: إن أبي ليس في البيت! فيفتح الابن الباب فيقول للطارق: إن أبي يقول لك: إنه غير موجود في البيت! فيعمل الأب بهذا الفعل على غرس بذور الكذب في شخصية ابنه، فإذا نمت تلك البذرة الخبيثة كان أول ضحاياها هذا الأب التعس، فإذا سأل ابنه: أين كان؟ قال: كنت في المدرسة، بينما الحقيقة أنه كان في الشارع. روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - قال: «دعتني أمي يوما ورسول الله قاعد في بيتنا فقالت: يا عبد الله تعال حتى أعطيك، فقال لها رسول الله: «ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا، فقال: «أما أنكِ لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة »، وعنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وغيره: «من قال لصبي تعال هاك - أي خذ- ثم لم يعطه، فهي كذبة».

تربية الأطفال على الصدق وعدم الكذب منذ صغره يعودهم على الخير والصلاح، ويقودهم إلى مناهج الفلاح، أيها الأخوة الأكارم علموهم صدق الحديث وحفظ الأمانة، وإفشاء السلام وإطعام الطعام وخصال الكرام، عودوهم على هدي أهل الإسلام يكن لكم في ذلك خيري الدنيا والآخرة.

و من وسائل صلاح الأبناء والبنات، أمْرهم بصلة الأرحام، وزيارة الأخوال والخالات، والعمات والأعمام، علموهم الرحمة بالضعفاء، وأدبوهم على احترام الكبير وتوقير أهل الفضل والدين.

كم من الآباء يغرس في قلوب أبناءه الحقد والكراهية لأهل زوجته، وكم من الأمهات تغرس بذور الحقد والكراهية في قلوب أبناءها لأهل زوجها.

ومما يُربَى عليه الأولاد والبنات تنشئتهم على الآداب الإسلامية وتدريبهم عليها؛ ومن ذلك آداب الأكل والشرب، رأى النبي -ﷺ- غلاما تطيشُ يدُهُ في الصحفة، فقال لهُ النبي -ﷺ- مبادرًا لنُصحه وتوجيههِ: «**يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[رواه البخاري].

علموهم آداب النوم وآداب الضيافة وآداب المجلس وآداب السلام وآداب قضاء الحاجة وآداب الجوار وتشميت العاطس وغير ذلك، فمتى اعتادها في الصغر نشأ عليها في الكبر، وسهل عليه القيام بها.

ومن حقوق الابناء عاشرا ان يكون الوالدان قدوة حسنة: فالولد يَفتح عينيه على أبويه، ومنهما يأخذ طريقتَه في الحياة، وأسلوبه في العيش، وعلى خطاهما يَسير.

إن تربيةَ الأولاد وصلاحَهم واستقامتهم، بعد إرادة الله، متوقفٌ على حركاتِ وسكنات واقوال وافعال الأبوين، فالأبناء والبنات إنْ تَربَّوْا في

أحضانِ أبٍ يَخافُ اللَّه، وأمٍّ تَخْشى الله؛ نَشَؤُوا على ذلك الخلق الكريم.

وصدق من قال:

مَشَى الطاووسُ يومًا باختيال فقلّدَ شكلَ مشيتِهِ بنوهُ
فقالَ: علامَ تختالونَ؟ فقالوا: بدأْتَ به ونحنُ مقلِدوهُ
فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ فإنا إن عدلْتَ مُعَدِّلُوه
أمَا تدري أبانا كلُّ فرعٍ يجاري بالخُطى من أدّبوه؟
وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا على ما كان عوَّدَه أبوه

أخي الكريم: لا تدخن أمامه السجائر وترجوا ألا يكون مدخنًا في المستقبل، لا تسب أمامه أمه مثلًا، وترجوا منه أن يعامل زوجته باحترام، والأيام دول وأول شخص سيجرب فيه أبنك ما تعلمه هو أنت، فحاول أن تكون نموذجًا في كل شيء، تحديدًا أمام ابنك.

أيها الأب الكريم:

إنَّ أولادك مرآةٌ يعكسون أخلاقك وأعمالك، إن رأوْكَ تحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها، تأسَّوا بك فحافظوا عليها، إن رأوك معظِّمًا لأبيك وأمك؛ فإنهم سيعاملونك كذلك، كما تدين تدان.

أولادك إن سمعوا منك كلمات طيبةً وألفاظًا حسنة؛ كانت ألفاظهم كذلك، وإن سمعوا منك السِّباب واللعان والفحش ؛ سمعتَ منهم مثل ذلك وأشدّ.

لا تستغربوا عندما تسمعوا أولاد صغار في سن الزهور يسبون بكل اللغات أين تعلموا هذا السب وممن انهم يسمعونه ويتشربونه ؟

ومن حقوق الأبناء على الآباء حادي عشر أن يعلموهم العلم النافع؛ الذي ينتفعون به في حياتهم وبعد مماتهم، يعلمونهم الفرائض ليمتثلوها، والمحرمات ليجتنبوها، وإذا كان الأب يَخشى على أولاده من برد الشتاء وحرِّ الصيف، فلا بدَّ أن يَخشى عليهم من نار جهنَّم، فيحيطهم بالرِّعاية والتربية والتعليم. استجابة لأمر الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾. واستجابة لقول النبي -ﷺ-: « **كفى بالمرء اثما أن يُضيّع من يعول**

أيها الاب الكريم: ليكن لك مع اولادك جلسات ووقفات تقص عليهم من قصص الصحابة وسيرة النبي المصطفى واخلاق الصالحين، فإن لم تستطع فحثهم على حضور مجالس العلم وصحبة الصالحين.

ومن حقوق الابناء ثاني عشر الرحمة والرأفة بهم :فصلاح الأبناء والبنات يحتاج منك إلى كلمات طيبات وتوجيهات نافعات ومواعظ مؤثرات معطرة باللين والرفق والدعوات.

اقتد بلقمان الحكيم وهو يتطلف مع ابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[لقمان:١٣]

بعض الآباء يظن التربية لا تكون إلا بالقسوة والشدة والغلظة والضرب، وهذا مخالف لهدي النبي المصطفى القائل؟ -ﷺ-: « **ليس منا من لم يوقر صغيرنا ويرحم صغيرنا** »[أخرجه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"]، لقد كان -ﷺ- مثلا مجسداً للرحمة بالأبناء، روى الترمذي وغيره عن عبدا لله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنه - قال: «**رأيت رسول الله وهو يخطب فجاء**

الحسن والحسين - رضي الله عنهما -، وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل النبي، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

وروى النسائي والحاكم: « بينما كان رسول الله -ﷺ- يصلي بالناس، إذ جاءه الحسين، فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا: **قد أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه حدث أمر، فقال: إن ابني قد ارتحلني - أي صعد على ظهري، فكرهت أن أعاجله حتى يقضي حاجته** »، ، وكان -ﷺ- كما ورد في الصحيحين إذا مر على الصبيان يسلم عليهم ويحادثهم.

أيها الكرام: اعلموا أن الرحمة قد تأخذ طابع القسوة أحيانًا، ومن كان راحما فليقس احيانا على من يرحم ، فالأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرهًا ويُحفَّظون الدروس زجرًا، ولو تركوا وأهواءَهم لضاعوا بين اللهو واللعب، وعندما يؤدبون على الخطيئة أو ينهوا من قبل آبائهم وأمهاتهم عما تميل إليه نفوسهم وفيه ضرر عليهم إنما هو رحمة من الوالدين، كما الطبيب عندما يجري جراحة بالجسم فيمزق اللحم، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمريض، فليست الرحمة حنانًا لا عقل فيه، أو شفقة بلا عدل ونظام، وإنما هي عاطفة ترعى الحقوق جميعها.

لا نريد رحمة تصل إلى حد الدلال، وترك الحبل على الغارب؛ فالدلال ضياع.

إن من أعظم ما يُربى عليه الولد ويؤدّب: معرفة الله والإيمان به، فالتربية الإيمانية هي أساس كل خير، ومجتمعنا الآن لا يعاني من قلة الأقوياء وإنما من قلة الأمناء، مجتمعنا مفتقر إلى الأمناء الذين يخشون الله تعالى ويهربون من الحرام .

التربية على الإيمان بأن الله واحد لا شريك له، وبأنه هو الذي يعطي و يمنع، و هو الذي ينفع، و يضر، وأنه سبحانه مطلع على خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، وأنه سبحانه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، لتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أخي الكريم: عوّد طفلك ان يلجأ الى الله ويطلب منه العون، وردد أمامه الاستغفار والحوقلة والحسبلة والحمدلة.

علّم أولادك رقابة الله وخشية الله الذي يعلم السر وأخفى.

علّم ولدك أن يقول صباح مساء: الله معي الله يراني الله مطلع علي الله سوف يحاسبني.

وهذا رسولنا الكريم يربي ابن عمه على الصلة بالله ﷻ، والثقة به حيث يقول لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، إذا استعنت فاستعن بالله....** ».

صلاح الأبناء والبنات يتوقف على أمرهم بالصلوات، فبركة حياتهم بالصلاة، فمروهم بها رغبوهم فيها حببوها الى قلوبهم تصلح أحوالهم، وتصلح شؤونهم ؟. . ها هو لقمان يوصي ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان:١٧]

و علِم الخليل عليه الصلاة والسلام ، عظيم شأن الصلاة فرفع كفه إلى الله داعياً سائلاً ضارعاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾. . .

وليتعلقن الابن بأبيه بين يدي الله في يوم يفر المرء من امه وابيه، يقول: يا رب ما أمرني بالصلاة يا رب تركني نائماً، يا رب ما أمرني بطاعتك.

ما الفائدة من ولد لا يصلي ولو كان أذكى الناس وأغنى الناس، بيت فيه قاطع الصلاة ممحوق البركة.

ومن حقوق الابناء، الحرص على تحفيظهم كتاب الله ﷻ: ففي ذلك حفظًا لأوقاتهم وحماية لهم من الضياع والانحراف، فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم، وفجر ينابيع الحكمة في قلوبهم.

جاء في الصحيح: أن حافظ القرآن يوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها فيقولان: يارب أنى لنا هذا ؟فيقال بتعليم ولدكما القرآن.

ومن مظاهر التقصير في تربية الابناء، احتقارهم وقلّة تشجيعهم، ومن مظاهر هذا الاحتقار إسكاتهم إذا تكلّموا، والسخرية بهم وبحديثهم؛ مما يجعل الولد عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

أيها الأب الكريم: شجع ابناءك ، ارفع معنوياتهم، اثن عليهم.

ها هو أحد أئمة الحرم يقول عن نفسه: كانت أمي وانا صغير اثناء تحفيظي القرآن : أنت ان شاء الله امام الحرم . قالت ذلك تفاؤلا وتشجيعا فكان كذلك.

كانت أم السلطان محمد الفاتح تأخذه وهو صغير وقت الفجر؛ ليشاهد أسوار القسطنطينية وتقول له: أنت يا محمد تفتح هذه الأسوار.. اسمك محمد

كما قال رسول الله ﷺ .ومحمد الصغير يقول: كيف يا أمي أفتح هذه المدينة الكبيرة؟! فترد قائلة: بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس.

ومن مظاهر التقصير، من الاباء، قلة التعاون مع المدارس ، بل ربما لا يعلم في أي صف ومرحلة يدرسون، كم مرة زرت المدرسة لتسأل عن حاله ومستوى ابنك .

واختم هذه السلسة في تربية الأولاد وحقوقهم برسالة تحوي كلمات يبثّها صدرٌ مفعَم بالحب والمودّة لك أنت أيها الأب المبارك على لسان ابنك، فافتح قلبك لها، وارع لها سمعك.

يا أبتي، استمع إلى شكواي أبثّها إليك، ومشكلتي أضعها بين يديك، فمشكلتي ـ يا أبتي ـ أنك مشكلتي، فأين أنت يا أبتاه؟ ! بيتك الذي بنيته ينادي‌ك، عشك الذي رعيته يناجيك، ابنك الذي نسيته يبحث عنك ليدنو منك، أعمالك، شركاؤك، عقاراتك، رفاقك، إنهم جميعًا أعدائي؛ لأنهم أخذوك مني وأبعدوك عني بالرغم من علمي أنك لا تعمل بها إلا من أجلي ولإخوتي.

يا أبتي، دعني أُقدم لك الشكر كله على ما بذلته من أجلي وفي سبيل راحتي وسعادتي، فقد بذلت لي أسباب الراحة والرفاهية من مأكل ومشرب ومسكن على قدر جهدك وطاقتك، ولكنك ـ يا أبتي ـ قد قصرت في أهمّ الجوانب وأعظم المطالب، إنها مطالب الروح والقلب والإيمان، فمتى أهديتني كتابًا دينيًا يأخذ بيدي وينير لي دربي في هذا الزمان الذي كثرت ظلماته؟ ! ومتى حفظتني القرآن؟ ! ومتى علمتني السنة؟ ! ومتى فقهتني في الدين؟ ! لقد هيأت لي ـ يا أبتي ـ جوّ المعصية، وأحطتني بسياج الخطيئة، فتنفست رائحة الشهوة، والتقطت كل ما يفتن، ألقيتني في بحر الشهوات ولم

تلبسني طوق النجاة، ثم تريدني بعد ذلك أن أكون ملكًا معصومًا! يا أبتي، إني أمانة في عنقك، فأشغلني بطاعة الله حتى لا أشغل نفسي بمعصية، استعملني في مرضاة الله حتى لا أقع فيما يغضبه، سخرني في قربات الله كي لا أجترح ما يسخطه.

أبتاه، اسمح لي أن أقسو في العبارة قليلاً، إنك ربيتني لأكون عبدًا للدنيا، فعليها أعيش، ومن أجلها ألهث، ولم تربني لأكون عبدًا لله كما يحب الله. فهل تذكر ـ أيها الحبيب ـ عندما تأخرت عن المدرسة يومًا من دون عذر ولم أُصلّ لله ركعة واحدة في ذلك اليوم وأنت على عِلم بهذا واطلاع عليه، أُسائلك بالله: علام وقع لومك وعتابك؟ ! وعلام كان عقابك؟ ! إنك ـ يا أبتي ـ عاقبتني على تأخّري عن المدرسة ولكنك لم تعاقبني ولم تلمني مجرّد لوم على عدم صلاتي ووقوفي موقف العزّ بين يدي خالقي ومولاي. فهل تريدني أن أهتم بالدنيا أكثر من الدين؟ ! وهل ترغب أن أخاف منك أكثر من خوفي من الله؟ !

أيها الأب الكريم، ها هو ابنك يبثّ إليك ما دار في خلده وما احتبس في أعماقه وما احتوته جوانحه.

أيها المسلم، هؤلاء الأولاد متى أحسنتَ تربيتهم نِلتَ بهم السعادة في الدنيا والآخرة، واسمع نبيَّك إذ يقول: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفَع به، أو ولد صالح يدعو له**»[أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -].

فأنت في ظلمات اللحود تصل إليك دعواتُ أولئك الأبرار الأخيار، يسألون الله لك ويدعون الله لك، وأنت في لَحْدك قد انقضى عملك،

وأصبحت فريدًا في لحدك وحيدًا، تتمنَّى مثقال ذرة من خير، وإذا الدعوات الصادقة الصادرةُ من الأبناء والبنات الذين طالما غرستَ الفضائل في نفوسهم، وحبَّبت الإيمان إلى قلوبهم، فدعواتهم تصعد إلى الله لك بالمغفرة والرضوان والتجاوُز، فما أَنْعَمَهَا من حالٍ! وما أَطْيَبَهُ من فضل! هكذا التربية الصالحة ونتائجها الحميدة، وثمارها المباركة.

يجمع الله الآباء المؤمنين بأبنائهم الصالحين في دار كرامته ومستقر رحمته في جنات النعيم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بسند صحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله يرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب من أين لي هذا فيقول: باستغفار ولدك لك**».

اللهم أصلح ذرياتنا، اللهم أصلح شباب المسلمين من البنين والبنات وخذ بنواصيهم إلى البر والتقوى وألهمهم السداد والهدى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

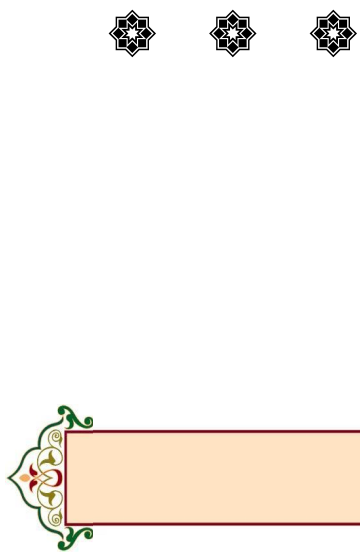

حقوق المسنين (١)

الحمد لله الذي قدّر الأمور وقضاها، وعلى ما سبق علمه بها أمضاها، وكما قدّر مبدأها قدّر منتهاها، أحمده حمداً يدوم ولا يتناهى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أظهر الأدلة على وحدانيته وجلاها، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى جميع الناس أدناها وأقصاها، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الذين آتى الله نفوسهم تقواها.

وبعد:

ما زلنا نتحدث مع سلسلة الحقوق في الإسلام.

اليوم حديثنا اليوم عن حقوق الكبار والمسنين في الإسلام . هل للمسنين حقوق في الإسلام نعم.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤]. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ صغيراً ضعيفاً، ليس له قَدَم تسعى، ولا يَدٌ تبطش، ولا سِنٌّ تقطع

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾ضعف النطفة ضعف العلقة ضعف المضغة ضعف الولادة ضعف الطفولة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾، قوة الشباب قوة العضلات قوة العقل قوة التحمل التي يعيش بها أجمل الأيام والذكريات مع الأصحاب والأحباب، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ثم تمر السنون والأعوام، وتتلاحق الأيام تلو

الأيام، حتى يصير إلى المشيب والكبر، ويقف عند آخر هذه الحياة، فينظر إليها فكأنها نسج من الخيال أو ضرب من الأحلام، يقف في آخر هذه الحياة وقد ضعف بدنه وانتابته الأسقام والآلام، ثم بعد ذلك يفجع بفراق الأحبة والصحب الكرام، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

نعيش مع حقوق الكبار والمسنين في الإسلام

إنه الكبير إنه المسن الذي رق عظمه وكبر سنه، وخارت قواه وشاب رأسه، إنه الكبير الذي نظر الله إلى ضعفه وقلة حيلته فرحمه وعفا عنه، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً *فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء: ٩٩].

اسألوا كبار السن عن حالهم وطبيعتهم وتغير أحوالهم وضعف أبصارهم وتزايد عللهم وصدق الله القائل: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٨] سُئل احد الشيوخ عن حاله، فقال: « أجدني قد ابيضّ مني ما كنت أحب أن يسودّ، واسودّ مني ما كنت أحب أن يبيضّ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتدّ، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين، و أجدني يسبقني من بين يديّ، ويدركني من خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملأ، وأسهر في الخلاء، وإذا قمتُ قربت الأرض مني، وإذا قعدتُ بعدت عني ».

تقارب الخطو وضعف البصر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وكثرة النسيان ما بي مُدّكر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر

أوله نـــــومٌ وثلثاه ســـهـر
وســعلة تعتادنـــي مع السحر
وتركي الحسناء في حين الطُهر
وحــذراً أزداده إلى حـــذر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

وصدق من قال:

ابــن عشــرٍ مــن الســنين غُــلام رُفعــت عــن نظيــره الأقــلام
وابــن عشــرين للصــبا والتصــابي لــيس يثنيــه عــن هــواه مــلام
والثلاثـــون قـــوةٌ وشـــباب وهيـــام ولوعـــة وغـــرام
فــإذا زيــد بعــدذلك عشــرا فكمـــالٌ وقـــوةٌ وتمـــام
وابــن خمســين مــر عنــه صــباه فيـــراه كأنـــه أحـــلام
وابـــن ســتين صــيّرته الليــالي هــدفاً للمنــون وهــي ســهام
وابــن ســبعين عــاش مــا قــد كفــاه واعترتـــه وســاوس وســقام
فــإذا زيــد بعــد ذلــك عشــرا بلــغ الغايــة التــي لا تــرام
وابــن تســعين لا تســلني عنــه فــابن تســعين مــا عليــه كــلام
فــإذا زيــد بعــد ذلــك عشــرا فهــو حــيٌ كميــت والســلام

سأل الحجاج رجلاً من بني ليث، قد بلغ سناً كبيرة، قال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. . قال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا أردت الأرض تباعدت منّي، وإذا أردت القيام لزمتني. قال: كيف مشيتك؟ قال:

تعقلني الشعرة وأعثر بالبعرة. لا اله إلا الله.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغرّ بطيب العيش إنسان

قال تعالى: ﴿واللهُ خَلَقَكُم ثمَّ يَتَوَفَّاكُم ومِنكُم مَّن يُرَدُّ إلى أَرذَلِ العُمُرِ لكيلا يَعلَمَ بَعدَ عِلمٍ شَيئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[النحل: ٧٠]. وأرذل العمر كما ذكر المفسرون هو: أخسّه وأدونه وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ والخرف، وخصّه الله بالرذيلة لأنه حالة لا رجاء بعدها لإصلاح ما فسد.

هل هناك دواء يعيد الشيخ شاباً؟ لو كان موجوداً لبُذل له الغالي والرخيص وكان أول من يشتريه الحكام لأنهم يريدون أن يستمروا شباباً يحكمون إلى ما شاء الله، وسيشتريه الأغنياء ليبقون عند أموالهم وتجاراتهم لكن شاء الله أن كل شيء إلى زوال. . ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٧]

إلا أن من المفسرين من ذكر أن بعض المؤمنين يُستثنون من حالة الردّ إلى أرذل العمر. قال القرطبي - رحمه الله -: « إن هذا لا يكون للمؤمن ـ يعني الخرف والرد إلى أرذل العمر ـ، لأن المؤمن لا يُنزع عنه علمه » ، وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: « **ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلاً ومعرفة** »، كما نُقل عن عكرمة قوله: « **من قرأ القرآن لم يُرَد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً** » وقال طاووس: « إن العالم لا يخرف »، وذكر السيوطي عن عبد الملك بن عمير أنه قال: « كان يقال: إن أبقى الناس عقولاً قُرّاء القرآن »· كما ذكر ابن أبي الدنيا عن الشعبي

أنه قال: « من قرأ القرآن لم يخرف ».

نعرف أُناسا بلغوا الثمانين وربما أكثر وما زالوا بعقولهم وصلاتهم وحياءهم وصبرهم.

وهناك من بلغ الخمسين أو تزيد وقد بدا في الخرف والسب واللعن يؤذي أهله بصياحه ويشغلهم بإلحاحه.

اللهم أحسن ختامنا ولا تردنا إلى أرذل العمر يارب العالمين.

الكبار الذي تعلمنا منهم وعلمونا.

ماذا تعلّمنا من المسنين

كبار السنّ عالم آخر وروح عجيبة وقصص وحكايات وأخبار.

الكبار والشيوخ لهم ميزات وصفات تعلمناها منهم وشاهدناهم عليها وننصحهم بالاستمرار والثبات علبيها من هذه الصفات:

أولاً: كثرة ذكرهم لله تعالى قائمين قاعدين وعلى جنوبهم ، حتى إننا لا نشعر بدخولهم في أيّ مكان إلا من خلال سماعنا لما تعطّرت به أفواههم من ذكر الله تعالى من مثل: (لا إله إلا الله – لا حول ولا قوة إلا بالله – يا الله سترك – يا الله حُسن الخاتمة – يا الله عونك – سبحان الله – اللهم رحمتك. . .) ومن طريف ما سمعته عن أحد الأطفال الصغار قوله: جاء جدّي من المسجد ، قالت أمّه: وكيف عرفت ذلك حبيبي؟ قال الصبي: أسمع صوته الآن يقول (لا إله إلا الله) وهو لم يره ، وهنا لفتة جميلة في التربية وهي تعويد الأطفال الذكر ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

ثانياً: صبرهم على المرض ـ وفي ذلك عبرة وعظة – مع ضعف أجسامهم.

ثالثا: حرصهم على صلة الرحم ، وقد سمعت شيخاً كبيراً يقول لأحد أحفاده: يا بني متى نذهب لزيارة عمّك وعمّتك نسلّم عليهم ونعود؟

رابعاً: قوة عزيمتهم في العبادة، فمن الطبيعي أن تجد الكبير المسنّ يصلي من الليل – ويطيل الصلاة- واقفاً أو مستنداً على عصا ، وشاهد ذلك في قيام رمضان ، يقول لي احدهم والله ما قمت في ساعة من ساعات الليل إلا وارى أمي قائمة بيد يدي ربها إما قائمة أو راكعة أو ساجدة لله عزو جل.

وهذا رجل تركي بلغ الستين يصلي في الحرم المكي صلاة القيام وبعد الصلاة الشباب يستريحون من طول القيام وهو قام يصلي والأعجب من ذلك أننا لمن نكن نعرف انه يصلي برجل واحدة لا يتحرك واقف كأن له رجلين نعم إنها الصلاة يوم يجد العبد لها لذة وحلاوة.

وكذلك قوة عزيمتهم في صيام النافلة. . فمن كبار السن من يصوم الشهر والشهرين والثلاثة لا يفتر فأين الشباب ومن يتدفقون حيوية؟

ومن صفات كبار السن من أهل الإيمان:

خامسا: الخبرة الواسعة والتجارب والحكمة والمعرفة بالأحوال والأمور لهم منها نصيب الأسد فأين المستشير المستنير؟ . ولا أنسى ذلك الشيخ الكبير الذي ركبت مع في سيارة فسألته عن عمره فقال ثمانين عاما فقلت ماشا الله كيف مرّت عليك هذه السنين؟ كأنها عام قال: لا اقل. قلت كأنها شهور. قال: والله اقل. قلت كيف مرّت قال مثل أن تفتح عينيك ثم تغمضها فقلت سبحان ما أسرع مرور الأيام.

فقلت نصيحة وموعظة تعلمتها من هذه الأيام؟ فقال: يا بني عليك بحرف الصاد. قلت وما حرف الصاد قال عليك بالصلاة فلا خير في الإسلام لمن ضيع الصلاة.

عليك بالصدقة فالصدقة تطفئ غضب الرب وتشفي المريض وترفعك درجات.

عليك بالصبر فأحسن حياة وأجمل حياة واسعد حياة تنالها بالصبر وبشر الصابرين.

عليك بالصوم فهو جنة ووقاية من العذاب.

عليك بصلة الرحم فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله.

قلت سبحان الله إنها نصيحة مباركة.

صبراً أيها المسنين

نعيش مع كبير السن نعيش مع حقوقه التي طالما ضُيِّعت، ومشاعره وأحاسيسه التي طالما جُرحت، ومع آلامه وهمومه وغمومه وأحزانه التي كثرت وعظمت.

أصبح كبير السن اليوم أحيانا غريبًا حتى بين أهلِه وأولاده، ثقيلاً حتى على أقربائه وأحفاده، من هذا الذي يجالسه؟ ! ومن هذا الذي يؤانسه؟ ! بل من هذا الذي يدخل السرور عليه ويباسطه؟ !

إذا تكلم الكبير قاطعه الصبيان وإذا أبدى رأيه ومشورته سفهه الصغار، فأصبحت حكمته وخبرته في الحياة إلى ضياع وخسران. أما إذا خرج من بيته فقد كان يخرج بالأمس القريب إلى الأصحاب والأحباب وإلى الإخوان والخلان، يزورهم ويزورونه، يقضي حوائجهم ويقضون حوائجه، أما اليوم

فإن خرج فإنه يخرج إلى الأشجان والأحزان، يخرج اليوم إلى أحبابه وأصحابه من أقرانه وممن كان يجالسهم، يخرج اليوم يُشيّع موتاهم ويعود مرضاهم، فالله أعلم كيف يعود إلى بيته، يعود بالقلب المجروح المنكسر، وبالعين الدامعة، وبالدمع الغزير المنهمر؛ لأنه ينتظر دوره. يرجع إلى بيته ويرى أن معظم أقرانه وجُلسائه قد فارقوا الحياة، فصار وحيدًا غريبًا ينتظر أمر الله ﷻ.

أيها الآباء الكبار، الله وحده يرحم ضعفكم الله يجبر كسركم، في الله عوض عن الفائتين، وفي الله أنس للمستوحشين. إنا لنعلم أنه قد تجعّد جلدك، وثقل سمعك، وضعف بصرك، وبطِئت حركتك، وترهلت عضلاتك، وتغيّر لون شعرك، ومع ذلك ـ فيا معاشر الكبار ـ أنتم كبار في قلوبنا، وكبار في نفوسنا، وكبار في عيوننا، كبار بعظيم حسناتكم وفضلكم بعد الله علينا، أنتم الذين عَلّمتم وربيتم وبنيتم وقدمتم وضحيتم، لئن نسي الكثير فضلكم فإن الله لا ينسى، ولئن طال العهد على ما قدمتموه من خيرات وتضحيات فإن الخير يدوم ويبقى، ثم إلى ربك المنتهى، وعنده الجزاء الأوفى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[الكهف: ٣٠].

ولئن جحد الكثير معروفكم فإن المعروف لا يَبْلى، وما أكثر من يجحد المعروف وينسى الإحسان هذه الأيام.

أحدهم يدخل إلى البيت ومعه زملاؤه فيدخل عليهم أبوه الشايب رث الثياب. فقالوا من هذا فاستحى أن يقول أبي فقال هذا يعمل عندنا. سمعها أبوه كالصاعقة يستحي من ذكري لهم.

وهذا آخر يأخذ أبوه معه في السيارة ليضعه في طريق عام ويتركه هناك ومعه ورقة ووعده بالوعود مرت الساعة الأولى والثانية والثالثة حتى بدأت الشمس تغرب فجاءه رجل قائلاً يا حاج هل تنتظر احد؟ قال نعم ابني وعدني أن يعود ذهب يشتري لي حاجات. وهل تعرف رقم جواله قال لا لكنه ترك معي ورقة. نظر إليها الرجل وإذا فيها من وجد صاحب الورقة فليفعل فيه خير وليدخله دار المسنين.

يا معاشر الآباء الكبار، أمّا الآلام والأسقام والأمراض التي تجدونها بسبب كبر السن فالملائكة كتبت حسناتَها، والله عظّم أجورها، وستجدونها بين يدي الله، فالله أعلم كم كان لهذه الأسقام والآلام من حسنات ودرجات، اليوم تُزعجكم وتقلقكم وتُبكيكم وتقض مضاجعكم، ولكنها غدًا بين يدي الله تفرحكُم وتضحككُم، فاصبروا على البلاء، واحتسبوا عند الله جزيل الأجر والثناء، فإن الله لا يمنع عبده المؤمن حسن العطاء، قال -ﷺ-: «**عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خيرٌ؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له**». عظّم الله أجوركم، وأجزل في الآخرة ثوابكم، فأحسنوا الظن بما تجدونه عند ربكم.

ثم **يا معاشر الأبناء الشباب**، توقير الكبير وتقديره أدب من آداب الإسلام وسنة من سنن سيد الأنام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

يا **معاشر الأبناء الشباب**، إجلال الكبير وتوقيره وقضاء حوائجه سنة من سنن الأنبياء وشيمة من شيم الصالحين الأوفياء، ﴿**قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ *فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٣].

يا معاشر الشباب، ارحموا كبار السن وقدروهم ووقروهم وأجلُّوهم؛ فإن الله يحب ذلك ويثني عليه خيرًا كثيرًا، قال النبي -ﷺ-: «**إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم**»، وقال: « **ما شاب رجل في الإسلام شيبة إلا رفعه الله بها درجة، ومحيت عنه بها سيئة وكتبت له بها حسنة** » وقد تقدم حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -أن رسول الله -ﷺ- قال كما في المسند: « **ما من مُعمَّر يعمَّر في الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلايا، الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة ليَّن الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يُحب، فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمي أسير الله في أرضه، وشفَّع لأهل بيته** »، وقال -ﷺ-: «**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**». إذا رأيت الكبير فارحم ضعفه، وأكبر شيبَهُ، وقدِّر منزلته وارفع درجته، وفرج كربته، يَعظُم لك الثواب، ويُجزِل الله لك به الحسنى في المرجع والمآب، ، فإنَّ الله سيجعل لك في كبَرك من يعامِلكَ بتلك المعاملةِ الحسنَة، لا يَغرَّنَّك الشبابُ والقوّةُ والمال والجاه، ، هذه القوّة التي خدَعَك بها الشباب وغرَّك بها شبابك، فإنّ الأيامَ آتيةٌ، وستعود ضعيفًا بعد قوّتِك وعاجِزًا بعد قدرتِك ووهنًا بعد تحرُّكِك.

يا معاشر الشباب، أحسنوا لكبار السن، لا سيما الوالدين من الآباء والأمهات، ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾، لا سيما إن كان الكبار من الأعمام والعمات

والأخوال والخالات. كم تجلسون مع الأصحاب والأحباب من ساعات وساعات، كم تجالسونهم وتباسطونهم وتدخلون السرور عليهم، فإذا جلستم مع الأقرباء الكبار مللتم وضقتم وسئمتم، فالله الله في ضعفهم، الله الله فيما هم فيه من ضيق نفوسهم.

يا معاشر الشباب، ما كان للكبار من الحسنات فانشروها واقبلوها واذكروها، وما كان من السيئات والهنات فاغفروها واستروها، فإنه ليس من البر إظهار زلة من أحسن إليك دهرا، وليس من الشيمة إعلان هفوة مَن مَا بِكَ مِن خير فبسببه.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق المسنين (٢)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولي الصالحين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

ما زلنا وإياكم مع حقوق الكبار والمسنين في الإسلام.

سُئل بعض السلف فقيل له: من أسعد الناس؟ قال: أسعد الناس من ختم الله له بالخير. أسعد الناس من حسُنت خاتمته، وجاءت على الخير قيامتُه، قال -ﷺ-: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله**»[رواه أحمد (٥/ ٤٠) والترمذي في كتاب الزهد].

يا ابن آدم، إذا رق عظمك وشاب شعرك فقد أتاك النذير، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾[فاطر:٣٧]؛ تذكرة من الله ﷻ، وتنبيه من الله ﷻ رحمةً بعباده. كان السلف الصالح رحمهم الله إذا بلغ الرجل منهم أربعين سنة لزم المساجد وسأل الله العفو عما سلف، و الإحسان فيما بقي من الأزمان، . أما اليوم فعض أبناء ستين وسبعين في الحياة يلهثون، غافلون لاهون، من طلوع الصباح إلى غروب الشمس يلهثون في هذه الدنيا، بل من الغريب أن بعض من بلغ الخمسين والستين تراهم مقصرين في صلاة

الفجر والبعض يسل لسانه في الناس بالغيبة والنميمة وما هذا إلا سوء توفيق، فيا أيها الأب الكبير اتق الله فالموت اقرب إليك من غيرك.

يا معاشر الآباء الكبار، أنتم قدوة لأبنائكم وبناتكم وأهليكم، قدوة في مجتمعاتكم، فإن كنت محافظًا على الخير والطاعات أحبوك وهابوك وأجلّوك وأكرموك، وإن وجدوك مقصرا في الطاعات تسب الناس وتشتمهم وتنتقصهم وتعيبهم وتغتابهم أهانوك وأذلوك ثم وعابوك، وهكذا يُجزى المحسن بالإحسان، والمسيئون بالخيبة والخسران.

معاشر الآباء الكبار، إنكم قدوة في مجتمعاتكم، أردتم أم لم تريدوا، من هم دونكم في السن ينظرون إليكم نظرة إجلال واقتداء، فالحذر الحذر من المخالفة والعصيان، إن المجتمع لا يقبل أن يُرى كبير السن سيئًا في خلقه وتعامله، لا يرضى المجتمع أن يُرى كبير السن يدخن مثلاً، فكيف بما هو أعظم من التدخين؟ ! أو يلاحظ عليه ما يشين. نعم يا معاشر الكبار، إن من حقكم علينا الاحترام والتقدير والمواساة، ومن حقنا عليكم القدوة وأن تكونوا نماذج يُحتذى بكم ويستفاد من خبرتكم وتجاربكم.

وفي صحيح مسلم وسنن النسائي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال –صلى الله عليه وسلم–: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولا يكلمهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم**» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– ثلاثة لا ينظر إليهم الله ولا يزكيهم ولا يكلمهم يوم القيامة يا ترى من هم خابوا وخسروا ورب الكعبة؟ ! قال: الأول: شيخ زانٍ،

قَلَّت عنده الشهوة وضعفت عنده الرغبة وبالرغم من ذلك ذهب ليتمرغ في أوحال الفاحشة العفنة، ويرتع في مستنقع الرذيلة القذر! ! .

يا معاشر الآباء الكبار، إنابة إلى الله الواحد القهار، وتوبة من الحليم الغفار، إذا تقربت إلى الله شبرًا تقرب منك ذراعًا، وإن تقربت منه ذراعًا تقرب منك باعًا، وإذا أتيته تمشي أتاك هرولة، إذا نظر الله إلى قلبك أنك تحب التوبة وتحب الإنابة إليه فتح لك أبواب رحمته ويسر لك السبيل إلى مغفرته وجنته.

قال بعض كبار السن: اللهم أحسن لي الخاتمة، فمات بين الركن والمقام. وقال ثان: اللهم أحسن الختام، فمات وهو ساجد بين يدي الله ﷻ. وقال ثالث: اللهم إني أسألك حسن الخاتمة، فمات يوم الخميس صائمًا لله ﷻ. أحسنوا الختام، وأقبلوا على الله ﷻ بسلام، وودعوا هذه الدنيا بأحسن الأعمال وشيم الكرام، فإن الأعمال بالخواتيم. اللهم احسن ختامنا يارب العالمين.

يا معاشر الآباء الكبار، إن مما يحفظ عليكم صحتكم وقوتكم حتى مع كبر سنكم طاعة الله جل وتعالى، وأن لا تُستخدم هذه الجوارح في معصيته، ولذا يقول النبي -ﷺ-: «**احفظ الله يحفظك**»، أي: من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله.

رُوي عن أبي الطيب الطبري - رحمه الله -أنه جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فركب مرة سفينة، فلما خرج منها قفز قفزةً قوية لا يستطيعها الشباب،

فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب؟ ! فقال: ولِمَ وما عصيت الله بواحدة منها قط؟ ! هذه جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله لنا وقت الكبر.

إنها جوارح متى ما حُفِظت حَفَظَت، «**احفظ الله يحفظك**».

معاشر الآباء الكبار، لقد دلّنا رسول الله -ﷺ- إلى بعض الأعمال التي بسببها يطول عمر الإنسان، وعُدّ إطالة العمر جزاءً لهذه الأعمال الفاضلة، ومن ذلك بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الخلق وحسن الجوار وتقوى الله ﷻ.

فنسأل الله جل وتعالى طول عمر مع حسن عمل، كما نسأله سبحانه صحة في قلوبنا وصحة في أبداننا، وأن لا يحوجنا إلى غيره سبحانه.

إن مرحلة الشيخوخة من العمر مرحلة عصيبة، ولا عجب فلقد تعوذ منها رسول الله -ﷺ- فيما رواه عنه أنس - رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم**»[رواه البخاري]، وفي رواية أخرى أنه عليه الصلاة والسلام كان يتعوذ من أن يرد إلى أرذل العمر. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال: «**بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا مُنسيا أو غنى مطغيا أو مرضًا مفسدا أو هرمًا مفندا أو موتًا مجهزا؟ ! ».**

رعاية المسنين

ولئن اعتنت الدول بهذه المرحلة من عمر الإنسان فظهر ما يسمى بنظام التقاعد والتأمينات الاجتماعية، فإن الإسلام قد نظّم وأكد هذا الأمر قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا. إن المسنّين يدخلون ضمن الرعية التي يعَدّ إمام المسلمين

راعيًا لهم ومسؤولاً عنهم، «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته**»[رواه البخاري من حديث ابن عمر].

ورعاية المسنين تلزم ولي أمر المسلمين، وهي مسؤولية شاملة لجوانب الرعاية، من اقتصادية واجتماعية وطبية ونفسية وغيرها. عن معقل بن يسار - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحِطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**»[رواه البخاري].

أَتَى الصّدِّيق - رضي الله عنه - عامَ الفتح بأبيه أبي قُحَافةَ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- لكَي يبايع النّبيَّ ويعلنَ إسلامَه، فقالَ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- للصدِّيق: «**ألا تركتَ الشيخَ في بيتِه فنأتيهِ نحن**» [أخرجه أحمد (٦/ ٣٤٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٨٨) عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -]، فصلوات الله وسلامُه عليه أبدًا دائمًا إلى يومِ الدين. «**ألا تركتَ الشيخ في بيتِه حتى نأتي**»، هكذا يعامل رسول الله المسِنِّين، وهَكذا يرحَمهم ويُشفِق عليهم، وهكذا يعلِّم أَصحابَه كيفَ التعاملُ معَ الكِبار. كان إذا تحدَّث الصغير قال: «**كبِّر كبِّر**» [رواه البخاري في الجزية (٣١٧٣)، ومسلم في القسامة (١٦٦٩) من حديث سهل بن أبي حثمة - رضي الله عنه -]، فيُقدِّم الكِبارَ ليَتحدّثوا تأدِيبًا للصّغار؛ ليعلَموا حقَّ الكبارِ وفضلَ الكِبار. مرَّ رَجلٌ بابن عمَر وهو يطوف بالبَيت حاملاً أمَّه علَى كتِفِه يطوف بها، قال: يا عَبدَ الله بن عمر، أَتَراني قمتُ بحقِّ أمّي؟ قال: يَا هذا، لاَ والله، ولا طَلقة من طلقاتِ الوِلادةِ، ولكنَّك محسِن والله يثيبك. [أخرجه أحمد، وأبو داود في الأدب، والترمذي في البر ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٥).].

أيّها الأبُ الكريم، أبناؤُك على اختلاف مراحِلِ أعمارهم أدِّبهم، وقل للصّغير: لا تجلِس قبلَ الكبير، وقل للصّغير: لا تتقدَّم علَى الكبير، وقل

للصّغير: لا تأخُذ أشياء قبلَ الكبير، فلنبدأ بأنفسِنا في بيوتِنا وأبنائِنا ثم أقارِبِنا ثم المسلِمين.

أحكام المسنين

لقد جاءت هذه الشريعة رحمة للبشرية، ومن صور هذه الرحمة أن الله ﷻ خص كبار السن ببعض الأحكام؛ رحمةً بهم وإشفاقًا عليهم، مراعاةً لحالتهم الصحية والبدنية، من ذلك:

أنه أمر الأئمة في المساجد بتخفيف الصلاة مراعاة لكبار السن والمرضى، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله -ﷺ- قال: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**».

ومن الأحكام أن الأكبر سنا مقدّم في الإمامة في الصلاة إذا تساووا في قراءة القرآن.

وأيضا من الأحكام أن كبير السن الذي لا يستوي على الراحلة يحج عنه ويعتمر ولو كان حيا، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاءت امرأةٌ من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: «**نعم**»[رواه البخاري].

ومن الأحكام الرخصة لكبير السن بالإفطار في رمضان حين عجزه، والإطعام عن كل يوم مسكينا أخذا بقول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[البقرة: ١٨٤].

ومن الأحكام أنه أمر الصغير أن يسلم على الكبير، وأن يبدأه إجلالا له وتقديرا لسنه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير**»[رواه البخاري].

ومن أحكام كبار السن أنه -ﷺ- أمر أن يُبدأ بتقديم الشرب للأكابر، ففي الحديث أن رسول الله -ﷺ- كان إذا سُقي قال: «**ابدؤوا بالكبراء**»، أو قال: «**بالأكابر**». ومرةً جاءه عيينة بن حصن وعنده أبو بكر وعمر وهم جلوس على الأرض، فدعا لعيينة بوسادة وأجلسه عليها، وقال: «**إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه**».

ومن أحكام المسنين أن الشريعة نهت عن قتل كبير السن من العدو الكافر حال الجهاد، فقد كان رسول الله -ﷺ- يوصي أصحابه عند بعث السرايا والجيوش في الغزوات: «**أن لا يقتلوا صغيرًا ولا امرأةً ولا شيخًا كبيرًا**»، روى الطبراني عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله -ﷺ- إذا بعث جيشًا أو سريةً دعا صاحبهم فأمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا كبيرًا**».

فتأمل ـ يا رعاك الله ـ إلى شريعة الإسلام حتى مع العدو حال القتال، لا يقتل كبير السن، ولا تقتل المرأة، فضلاً عن الأطفال، وقارن ـ يا أخي الحبيب ـ بين هذا وبين ما يمارسه الكفار اليوم بجميع مللهم ونحلهم، ابتداءً من اليهود ومرورًا بالنصارى وانتهاءً بالصرب والشيوعيين، وكيف أنهم لم يرحموا طفلاً رضيعًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأةً مسكينة، بل بهم يبدؤون، وعليهم ترسل

الصواريخ والقذائف، بل وتدمر البيوت والمساكن فوق رؤوسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنها شريعة الغاب التي يدين بها الغرب.

وإن تعجب فأعجب من موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع ذلك الرجل الكبير المسنّ الضرير اليهودي، وقد ذكره أبو يوسف في كتاب الخراج أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرَّ بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، فقال: من أيّ أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ، قال: فأخذ عمر - رضي الله عنه - بيده فذهب به إلى منزله فأعطاه من المنزل شيئًا، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[التوبة: ٦٠]، فالفقراء هم المسلمون والمساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه.

ألا فلتسمع الدنيا مثل هذه المعاملة، ولتسمع بخالد بن الوليد - رضي الله عنه - عندما صالح أهل الحيرة وجاء في صلحه معهم أنه قال: (وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين).

المسنين في الغرب

أين منظمات حقوق الإنسان اليوم عن مثل هذه الأحكام وهذه التشريعات؟ ! إن الغرب ـ أيها الأحبة ـ الذي يدّعي حقوق الإنسان اليوم زعموا، إليك بعض أخباره مع كبار السن عندهم:

تطالعنا الأخبار بين حين وآخر عما يحدث لبعض المسنِّين هناك، فهذا مسنٌّ يبقى متوفياً داخل شقته لأكثر من سنة ولم تكتشف جثته إلا صُدفة. أترى لو كان أبناء أصدقائه يزورونه ويصلونه هل سيصل إلى هذه الحالة؟ ! ! وهذا تقرير يصدر عن وزارة الأسرة والشبيبة والكهولة في ألمانيا جاء فيه: أن هناك (٤٤٠) ألف مسنّ تعرضوا لإيذاء جسدي ومعاملة سيئة مرة واحدة على الأقل عام ١٩٩٣م ، والغريب في الأمر أن ذلك الإيذاء صادر من أفراد الأسرة، فهل ينتظر من أفراد الأسرة تلك صلة صديق والدها؟

وهذه عجوز تموت جوعاً في شقتها بسبب ابنها الذي قطع عنها الماء والكهرباء والغاز، وأصبحت رهينة شقتها عاجزة عن الحركة حتى اكتشف الجيران أمرها، ولكن بعد فوات الأوان! ويضيف الخبر أن أقرباء المسنَّة لم يبدوا أيَّ اهتمام تجاه الأمر ! !

ولا يقتصر الأمر على العالم الغربي فحسب! بل حتى العالم الشرقي عمّه هذا البلاء، فقد ذكرت مجلة (فوكوس) اليابانية أنه عُثر على جثّة مسن بعد مضي سنة ونصف من وفاته في شقته بأحد الأحياء الراقية جداً في مدينة طوكيو، وهذه مسنة عثر عليها في شقتها بمدينة طوكيو وقد ماتت جوعاً، وأشدها غرابة ذلك العجوز الذي توفي وقد تجاوز عمره التسعين عاماً، إلا أن أحداً لم يدر بموته إلا بعد خمسة أيام، ومبعث الاستغراب أنه مات في دار خاصة بالمسنِّين في مدينة (سابور) باليابان ولم يشعر العاملون بموته رغم وجوده في دار خاصة برعايته والعناية به! ! ! ، وقد علم بوفاته بعض أفراد عائلته عندما جاؤوا لزيارته إذا فالحل لمشاكل الأمة والعالم اجمع في الإسلام وشريعة الإسلام ورحمة الإسلام.

إذاً فالمسنُّ في المجتمع المسلم يعيش في كنف أفراده، ويجد له معاملة خاصة تتميز عن الآخرين، ولم تقتصر هذه الرعاية والعناية على المسن المسلم، بل امتدت يد الرعاية لتشمل غير المسلم طالما أنه يعيش بين ظهراني المسلمين.

إنه لا خلاص للبشرية من الممارسات الوحشية اليوم في العالم كله إلا بالإسلام، ويوم يرجع الإسلام لحكمه في الأرض فستنعم البشرية في ظله، وهو يوم آت لا نشك في ذلك، ولتعلمُنّ نبأه بعد حين.

اللهم ارحمنا رحمة اهد بها قلوبنا، اللهم اختم لنا بخير، اللهم اختم لنا بخير، اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم اجعل أسعد اللحظات وأعزها لحظة الوقوف بين يديك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارحم كبارنا، ووفق للخير صغارنا، وخذ بنواصينا لما يرضيك عنا. . .

حقوق الأم (١)

الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام والإيمان، وتفضل علينا ببيان الشرائع والأحكام، وأحل الحلال وحرم الحرام، أحمده على نعمه الكاملة في كل آن، وأشكره على آلائه الشاملة لكل إنس وجان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار.

وبعد:

سنعيش مع من؟ مع القلب الرحيم والصدر الحنون، مع القلب المجبولُ على الشفقة، مع القلب الذي خلِق يوم خُلِق فركّبت فيه الرحمة مع القلب الذي، يحِبَّ وإن لم يُحَبّ، ويحنو وإن أغلِظ عليه.

هل عرفتموه إنه قلب الأم.

يا الله ما أحلى الحديث عن الأم وحنانها وعطفها؛ كيف ولا ودخول الجنة مُعلّق بطاعتها.

نتكلم عن الأم يوم جعل غير المسلمين لها يوماً واحداً وسموه: (عيد الأم) وهذا ليس من الإسلام في شيء، فالإسلام أمر ببرها في كل العام.

نتكلم عن الأم في زمن نرى فيه الزوجات تُفضّل على الأمهات إلا من رحم الله.

نتكلم عن الأم ونحن في زمن قلوب كثير من الأمهات تئن من العقوق و عيونهن لا تزال تدمع ألماً وقهراً من جُرم أبنائهم، عقوق وقطيعة يندى الجبين لها، وتقشعر الأبدان عند سماعها، بل إن العقل ليكاد ينكرها لبشاعتها.

إنها الأم المخلوق الذي قدّم وضحّى ولم يزل.

أمك يا عبد الله:

كم حزنت لتفرح، وجاعت لتشبع، وبكت لتضحك، وسهرت لتنام، وتحمّلت الصعاب في سبيل راحتك، إذا فرحْت فرحَت، وإن حزنْتَ حزنَت، إذا دَاهمك الهمّ فحياتها في غمّ، أملها أن تحيا سعيدًا رضيًّا راضياً مرضيًا.

الأم المخلوق الضعيف الذي يُعطي ولا يطلب أجرًا، ويبذل ولا يأمل شكرًا، هل سمعتَ عن مخلوق يحبّك أكثر من ماله؟ لا، بل أكثر من دنياه، لا، بل أكثر من نفسه التي بين جنبيه، نعم يحبّك أكثر من نفسه، إنها الأم، الأم وكفى، رمز الحنان.

تأمّل ـ أخي الحبيب:

حالَ صغرك، تذكّر ضعف طفولتك، فقد حملتك أمك في بطنها تسعةَ أشهر وهنًا على وهن، حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا، تزيدها بنموّك ضعفًا، وتحملها فوق طاقتها عناءً، وهي ضعيفة الجسم واهنة القوى، وعند الوضع رأت الموتَ بعينها، زفرات وأنين، غصص وآلام، ولكنها تتصبّر، تتصبّر، تتصبّر، وعندما أبصرتك بجانبها وضمتك إلى صدرها واستنشقت ريحك وتحسست أنفاسك تتردّد نسيت آلامها وتناست أوجاعها، رأتك فعلّقت فيك آمالها ورأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم انصرفت إلى خدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها، وتنميك بهزالها، وتقوّيك بضعفها، فطعامك درّها

وبيتك حجرها، ومركبك يداها، تحيطك وترعاك، تجوع لتشبع، وتسهر لتنام، فهي بك رحيمة، وعليك شفيقة، إن غابت عنك دعوتَها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثتَ بها، تحسب الخير كلَّه عندها، وتظنّ الشرّ لا يصل إليك إذا ضمّتك إلى صدرها أو لاحظتك بعينها، فلما تم فصالك في عامين وبدأت بالمشي، أخذت تحيطك بعنايتها وتتبعك نظراتها وتسعى وراءك خوفًا عليك، ثم كبرت وأخذت منك السنين، فأخذ منها الشوق والحنين، صورتك أبهى عندها من البدر إذا استتمّ، صوتك أبدى على مسمعها من تغريد البلابل وغناء الأطيار، ريحك أروع عندها من الأطياب والأزهار، سعادتك أغلى من الدنيا لو سيقت إليها بحذافيرها، يرخص عندها كلّ شيء في سبيل راحتك، حتى ترخص عندها نفسها التي بين جنبيها، فتؤثر الموت لتعيش أنت سالمًا معافى.

أمك يا عبد الله

اسمع يا عبد الله وأعلم أن المحروم الضائع الخائب في الدنيا والأخرى من ضيّع حقوق الوالدين وخاصة الأم.

روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن معاوية السلمي - رضي الله عنه -، قال: أتيت رسول الله -ﷺ- فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي وجه الله والدار الآخرة، قال: «**ويحك، أحية أمك؟**» قلت: نعم، قال: «**ارجع فبرها**»، ثم قال: «**ويحك، الزم رجلَها فثمّ الجنة**».

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أتى رجل رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله، إني جئت أُريد الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار الآخرة، ولقد أتيت

وإن والدي ليبكيان، قال: «فارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني].

عن أنس بن نضر الأشجعي قال: استقت أم ابن مسعود - رضي الله عنها - ماءً في بعض الليالي، فجاءها بالماء فوجدها قد ذهب بها النوم، فثبت عند رأسها حتى أصبح، ولما قدم أبو موسى الأشعري وأبو عامر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبايعاه وأسلما، قال لهم عليه الصلاة والسلام: «ما فعلت امرأة منكم تدعى كذا وكذا؟» قالوا: تركناها في أهلها، قال: «فإنه قد غفِر لها» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «ببرها والدتها» قال: «كانت لها أم عجوز كبيرة، فجاءهم النذير: إن العدوّ يريد أن يغير عليكم، فجعلت تحمل أمها على ظهرها، فإذا تعبت وضعتها، ثم ألزقت بطنها ببعض أمها وجعلت رجليها تحت رجلي أمها من حر الأرض حتى نجت» [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه].

إنها الأم، يا من تريد النجاة، الزم رجليها، فثمّ الجنة، قال ابن عمر - رضي الله عنهما - لرجل: (أتخاف النار أن تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها؟) قال: نعم، قال: (برّ أمك، فو الله لئن ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات)، يعني: الموبقات. وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ: وذكر منهم صاحب جُرَيج، وكان جُرَيج رجلاً عابدًا فاتخذ صومعةً، فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جُريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي وصلاتي، فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رب أمّي

وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر وجوه المومسات ـ أي: الزواني ـ، فتذاكر بنو إسرائيل جُريجًا وعبادتَه، وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننّه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صَومَعَتِه، فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلما ولدت، قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صَومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ ! قالوا: زنيت بهذه البَغِيِّ فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلَّى، فلما انصرف أتى الصبيّ فطعن في بطنه وقال: من أبوك؟ قال فلانٌ الراعي، قال: فأقْبَلوا على جريج يُقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا» الحديث.

ثلاث مراتٍ تناديه وهو لا يُلقي لها بالاً، وكان الواجب عليه أن ينصرف من صلاته ويجيب أمه؛ لأن ذلك أولى من صلاة النافلة.

وروى الطبراني بسندٍ ضعيف عن عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - قال: { كنا عند النبي -ﷺ- فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه قيل له قل لا إله إلا الله فلم يستطع ، فقال كان يصلي؟ فقال نعم ، فنهض رسول الله -ﷺ- ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له قل لا إله إلا الله ، فقال لا أستطيع ، فقال لم؟ قال كان يعق والدته ، فقال النبي -ﷺ- أحية والدته؟ قالوا نعم ، قال ادعوها ، فدعوها فجاءت ، فقال هذا ابنك؟ فقالت نعم. فقال لها أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل لك إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له؟ قالت يا رسول الله إذن أشفع ، قال فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ، قالت اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت

عن ابني ، فقال له رسول الله -ﷺ- يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فقالها ، فقال رسول الله -ﷺ-: «**الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**» ورواه الإمام أحمد مختصرا.

ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أن امرأة جاءت إليها ومعها بنتان لها، قالت: فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فَدَخَلَت عَلَيَّ النبيّ -ﷺ- فحدثتهُ حديثها، فقال: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» [رواه البخاري ومسلم]، وفي لفظ: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار**».

ما أعجب حنان الأم؟ ما هذه الرحمة التي في قلبها؟ ترى ابنها يعقها ويقطعها ولا تريد أن تدعو عليه، إن الرحمة التي في قلبها تنسيها مرارة العقوق وآلام القطيعة، إنها أمه لا تزال تحبه وترجو له الهداية، وتطمع في ذلك ولا تيأس.

أخي الحبيب: هل تحرك قلبك لامك هل ندمت على ما فعلت وقصرت في حق أمك.

أعرف رجلاً قطع أمه ما يقارب الثلاثين عاماً، ثلاثون عاماً لم يسافر إليها لزيارتها مع قدرته، ما منعه إلا الكبر، ومع ذلك لما جاءت ساعة وفاتها، أرسلت إليه تريد أن تراه، وتستأنس بلقياه قبل أن تفارق الدنيا، رحماك يا الله بها، وبجميع الأمهات الأحياء منهن والأموات.

يدخل الزوج وهو يعيش مع والديه أو أن والديه يعيشان عنده، يدخل البيت معبس الوجه مكفهرّ الجبين، فإذا دخل غرفة نومه سمعت الأمّ

الضحكات تتعالى من وراء باب الحجرة، أو يدخل ومعه هدية لزوجه فيعطي زوجته، ويدع أمه، ويل هؤلاء من رب العالمين، ويلهم من الله، لماذا يعيش هؤلاء؟ أي خيرٍ يريدونه وأي رحمةً يرجونها؟ ! وأي بركة في حياتهم ينتظرونها؟ ! ! ليس لهم إلا السخط والغضب من رب العالمين، ألم يقل الرسول -ﷺ-: «**إن سخط الرب في سخط الوالد وإن رضا الرب في رضا الوالد**» إنهم لو صدقوا في طلب مرضاة الله ورحمته لوجدوها في بر الوالدين.

جاء في الأثر انه: « **إذا ماتت أم العبد نودي ماتت من كنا نكرمك من أجلها** ».

إن البر دأب الصالحين وسيرة العارفين، أراد ابن الحسن التميمي قتلَ عقرب فدخلت في جحر، فأدخلها أصابعه خلفها فلدغته، فقيل له في ذلك، قال: «**خفت أن تخرج فتجيء إلى أمي وتلدغها**».

قال محمد بن سيرين: "بلغت النخلة على عهد عثمان - رضي الله عنه - ألف درهم، فعمد أسامة بن زيد - رضي الله عنه - إلى نخلة فاشتراها، فنقرها وأخرج جمّارها، فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ ! قال: **إن أمي سألتني ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها**».

عبد الله بن عون نادته أمه فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين، وزين العابدين كان أبر الناس بأمه، وكان لا يأكل معها في صحفة واحدة، فقيل له: إنك أبرّ الناس ولسنا نراك تأكل معها في صحفة واحدة؟ ! فقال: «**أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها، ولقد مضى بين أيدينا أقوام لا يعلو أحدهم بيته وأمه أسفله**».

إنها الجنة، يا طالب الجنة، الزم قدميها فثمّ الجنة.

روى الترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه -، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**».

وفي صحيح الترمذي عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**رضا الرب من رضا الوالد، وسخطه الرب من سخط الوالد**».

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «**ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسبًا إلا فتح الله بابين ـ يعني من الجنة ـ وإن كان واحدًا فواحد، وإن أغضب أحدهما لم يرضى الله عنه حتى يرضى عنه)، قيل: وإن ظلما؟ قال: (وإن ظلما)**.

لأُمك حق لو علمتَ كبير ... كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي ... لها من جواها آنّة وزفير
وفي الوضع لا تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسّلت عنك الأذى بيمينها ... وما حجرها إلا لديك سرير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها ... حنوا وإشفاقًا وأنت صغير
فضيعتها لما أسئت جهالة ... وطال عليك الأمر وهو قصير
فآهاً لذي عقل ويتبع الهوى ... وآهًا لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير

اللهم أعنا على بر أمهاتنا، والإحسان إليهن أحياءً وميتن.

حقوق الأم (٢)

الحمد لله المستحق للحمد والخشية، المتفردِ بالجبروت والعزة والعظمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل من الحكمة والبيان ما تخشع له القلوب وتقشعر الأبدان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بالهدى والحق والفرقان، أكملُ وأجلُّ من خَشِي الواحدَ الديّان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

ما زال الحديث عن حقوق الأم.

هذا شاب تخلّص من أمه المعاقة برميها عند باب أحد المستشفيات، وآخرُ يطرد أمه طاعة لزوجته، وأم تقول لي ابن ثلاث سنوات والله ما سلم عليّ، وآخر يُسمِعُها كلماتِ السب والشتائم، إذا تكلمت في زوجته وعصيت أمرها.

الله أكبر يا عبدَ الله، هل هذا جزاء من حملتك في أحشائها تسعة أشهر وهنًا على وهنٍ، حملتك كرهًا ووضعتك كرهًا.

رأى ابن عمر – رضي الله عنهما – رجلاً يمانيًا يطوف بالبيت حمل أمه وراءه على ظهره، يقول: إني لها بعيرها المدلَّل، إن أذعِرت ركابها لم أذعر، الله ربي ذو الجلال الأكبر، حملتها أكثر مما حملتني، فهل ترى جازيتها يا ابن عمر؟ ! قال ابن عمر: (لا، ولا بزفرة واحدة).

إلى الذين يفضلون أزواجهم على أمهاتهم

إلى الذين يعطون أزواجهم ويمنعون أمهاتهم.

فلا تُطع زوجةً في قطع والدة عليك يا ابن أخي قد أفنت العمرا
فكيف تنكر أمًا ثُقلَك احتملت وقد تمرّغت في أحشائها عُسرا
وعالجت بك أوجاع النفاس وكم سُرّت لما ولدت مولودها ذكرا
وأرضعتك إلى الحولين مكملة في حجرها تستقي من ثديه الدررا
ومنك ينجسها ما أنت راضعه منها ولا تشتكي نتناً ولا قذرا
و"قل هو الله" بالآلاف تقرؤها خوفًا عليك وترخي دونك السُتُرا
وعاملتك بإحسانٍ وتربية حتى استويت وحتى صرت كيف ترى
فلا تفضل عليها زوجة أبدًا ولا تدع قلبها بالقهر منكسرًا

يأتي رجل وزوجته، وأمه تحمل ولده؛ ليشتروا ذهباً من بائع ذهب في هذه المنطقة، وبائع الذهب هو الذي يروي هذه الحادثة، تدخل زوجة هذا الرجل وتأخذ ذهباً بما يساوي عشرين ألف ريال، وتقف الأم واجمة هناك تحمل ولده ثم تتقدم لتأخذ خاتماً يساوي ثمانين ريالاً، فيقوم الابن بتسديد قيمة ذهب زوجته فيقول البائع: بقي ثمانون ريالاً، قال: لماذا؟ قال: قيمة الذهب الذي أخذته أمك، فانفجر غاضباً وقال: كبار السن لا يحتاجون للذهب، أخذت الأم الخاتم وأعادته للبائع ولسان حالها يقول: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾[يوسف:٨٦]خرجت تحمل ولده تريد السيارة وكأن زوجته أنبته على هذا الفعل وقالت: من يمسك لنا ابننا، أعطيها الخاتم.

فأعطاها إياه فرمته وانفجرت تبكي قائلة: والله لا ألبس ذهباً في حياتي أبداً، حسبي الله ونعم الوكيل!

لا إله إلا الله آباء يئنون وأمهات يشتكين! ولا إله إلا الله يحز في النفس ويدمي القلب وينادي الجبين يوم نسمع بل نرى بعض الأبناء يعق والديه! يؤذيهما ويجاهرهما بالسوء وفاحش القول! يقهرهما وينهرهما! يرفع صوته عليهما، يتأفف منهما! يقول بعضهم: أراحنا الله منك وعجل بزوالك يا شيبة النحس ويا عجوز الشؤم، لا إله إلا الله قول يستحي إبليس أن يقوله وبعض شبابنا يردده ناسياً أو متناسياً قول الله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[النساء:٣٦] لا إله إلا الله!

يا عبد الله! كم وكم من الرجال من يأخذ زوجته في سفر، وفي رحلة، وفي نزهة، ولا يكلف نفسه أن يقول لأمه: أتريدين الذهاب معنا؟ هلا سافرت معنا! فتجده لا يريدها.

يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -: «**إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة**» يقول: ما في الدنيا عمل أكثر قربة إلى الله من بر الوالدة: (**الزم قدميها فثم الجنة**).

واسمع إلى هذه القصة، التي لولا أنها ذكرت في جريدة وتواترت على ألْسنة بعض الناس -والله- ما ذكرتها ولا قصصتها ولا كنت أظن أن من الناس من يفعل هذا، وسوف أتصرف في ذكرها فاسمعها -يا عبد الله- لتعلم أن هذا الشر مستطير، وأن هذا الفعل يوشك أن يؤذن لهذه المجتمعات بالعقوبة، وأن ينزل الله ﷻ عليها عذابه، بسبب ما يفعله كثير من الناس.

يقول الراوي: إنه خرج مع أسرته إلى شاطئ البحر، فلما وصل -هو وعائلته- يقول: رأينا عجوزاً على بساط على الشاطئ لوحدها، يقول: فجلسنا على الشاطئ، فتعشينا في الليل، يقول: ثم بعد العشاء تسامرنا، وأخذنا نلهو ونتحدث حتى حلَّ منتصف الليل، يقول: وأردنا الرجوع، فلما أردنا الرجوع قلت في نفسي: سبحان الله! ما بال هذه العجوز جالسة لوحدها؟ ! لم يأتها أحد، ولم يقربها أحد، يقول: فلما قفلنا جئتها، فقلت لها -اسمع إلى هذا الخبر، واسمع إلى هذا العقوق- فقلت لها: يا أماه! خيراً إن شاء الله، أنت لوحدك وليس معك أنيس ولا جليس، فقالت هذه العجوز: إن ابني أتى بي إلى هنا، وقال لي: أن عنده عملاً سوف يذهب إليه ثم يرجع.

فقال لها: يا أماه! الوقت متأخر فهلا رجعت معنا؟ قالت: لا. سوف أنتظر ابني ولو تأخر، فقد أخبرني أنه: سوف يتأخر وسوف يرجع.

قال: يا أماه! لكن الوقت متأخر جداً ولا أحد في هذا المكان. قالت: لن أرجع حتى يرجع ابني، وعدني أنه سوف يرجع، وأعطاني هذه الورقة. قال: وما هذه الورقة؟ فقالت: اقرأها تعرف ما فيها.

فقرأتها فإذا في هذه الورقة: يرجى ممن يقرأ هذه الورقة أن يأخذ العجوز إلى دار الرعاية.

لعن الله من لعن والديه، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من لعن والديه، فهذه في الكلمات فكيف إذا كانت في الأفعال؟ ! يرميها على شاطئ البحر ويقول: يرجى ممن عثر على هذه العجوز أن يأخذها إلى دار الرعاية.

اسمع هذه الأم، والشاعر يتكلم بلسانها، وكأنها تقول:

لا تسبوا ولدي ما كنت ... رغم الغدر خصمه
إن لي في قلبه حباً ... وليس الحب تهمه
هو طفلي وأنا ... أضمه مذ كان لحمه
هو في الليل سميري ... وأنيسي في الملمه
فإذا خاف سكبت الأمن ... كي أذهب همه
وإذا عاد تداعيت له ... صوتاً ونغمه
فأناغيه بلحنٍ ... وأناجيه بكلمه
ولدي ما عقني بل ... فعله بر ورحمه
جاء بي للبحر كي ... أنعم في رمل ونسمه
فدعوه ولا تسيئوا ... الظن فيه بالمذمه
واذهبوا للدار بي ... ما الدار للأبناء وصمه
غاب عني لم يغب ... إلا لأمر قد أهمه
هو مشغول ... وللمشغول أعذار وحرمه
وسيأتي ولدي للدار ... إن أنهى المهمة
ولدي أعرفه ... من ذا الذي ينكر أمه

﴿وَقَضَى رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً *وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[الإسراء: ٢٣].

إخواني: كم ساعات قضى فيها المسلم للوالدين حاجات، غفر الله ﷻ بها الذنوب والزلات، وخرج بها الهموم والكربات، كم ولد بار أو فتاة بارة

قاما من عند والديهما بعد سلام أو طيب كلام أو هدية متواضعة وقد فُتحت أبواب السماء بدعوات مستجابات لهما من والديهما الضعيفين الكبيرين.

فاتقوا الله في الوالدين، سيّما إذا بلغا من الكبر والسنّ ما بلغا، ووهن العظم منهما واشتعل الرأس شيبًا، إذا بلغت بهما الحال ما بلغت وأصبحا ينظران إليك نظر الذي ينتظر لقمة هنية أو أعطية جزية.

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾[الإسراء:٢٣].

حَدّث أحد الضباط العاملين في جهاز الدفاع المدني فقال: إنهم وصلوا إلى بيت قد اشتعلت فيه النيران وفي البيت أم وأطفال لها ثلاثة، بدأ الحريق في إحدى الغرف، فحاولت الأم الخروج من الأبواب فإذا هي مقفلة، صعدت سريعا مع أطفالها الثلاثة إلى سطح المنزل لتخرج من بابه فألقته مغلقًا كذلك، حاولت فما استطاعت، كررت فأعياها التكرار، تعالى الدخان في المنزل، وبدأ النفس يصعب، احتضنت صغارها، ضمتهم إلى صدرها، وهم على الأرض حتى لا يصل الدخان الخانق إليهم، والأم الرؤوف تستنشقه هي، لما وصلت فرق الإنقاذ إلى سطح المنزل وجدوها ملقاة على بطنها، رفعوها فإذا بأبنائها الثلاثة تحتها أموات، كأنها طير يحنو على أفراخه يجنبهم الخطر، تدافع عنهم من عدوّ كاسر، وجدوا أطراف أصابع يدها مهشّمة وأظافرها مقطوعة إذ كانت تحاول فتح الباب مرّة، ثم نرجع إلى أولادها لتحميهم من لهيب النار وخنق الدخان مرة أخرى، حتى قضت وقضوا.

في صورة تجسّد روعة التضحية، في لوحة مصونة بألوان الحنان منقوشة بريشة العطف والرحمة.

ومع كلّ هذه التضحية والتفاني في الحفظ والرعاية التي تقدمها الأم لوليدها وفلذة كبدها، حتى قال النبي -ﷺ- في بيان عظم حقها مع الوالد: «**لا جزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فتشتريه فيعتقه**»[رواه مسلم].

مع هذا الحب الفياض والعطف الرؤوف والحنان المتدفق نسمع ونرى من صور العقوق ونكران الجميل والقسوة العجيبة والغلظة الرهيبة وإساءة العمل وسوء التعامل ما لا يتحمله عقل ولا قلب.

ها هي رسالة تكتبها أم بدموعها.

رسالة تبعَثها أم مكلومة إلى وليدها وريحانة فؤادها، قالت الأم المسكينة:

"يا بني، منذ خمسة وعشرين عامًا كان يومًا مشرقًا في حياتي عندما أخبرتني الطبيبة أني حامل، والأمهات ـ يا بني ـ يعرفن معنى هذه الكلمة جدًّا، فهي مزيج من الفرح والسرور وبداية معاناة مع التغيرات النفسية والجسدية، وبعد هذه البشرى حملتك ـ يا بني ـ تسعة أشهر في بطني فرحة جذلة، أقوم متثاقلة، وأنام بصعوبة، وآكلُ مرغمة، وأتنفّس بألم، ولكن كل ذلك لم ينقص من محبتي لك وفرحي بك، بل نمت محبتك مع الأيام وترعرع الشوق إليك. حملتك ـ يا بني ـ وهنًا على وهن وألمًا على ألم، بيد أني كنت أفرح وأفرح كلما شعرت بحركتك داخل جوفي، وأسرّ بزيادة وزنك، مع أنه حمل ثقيل علي، إنها معاناة طويلة، أتى بعدها فجر تلك الليلة التي لم أنم فيها ولم يغمض لي فيها جفن، ونالني من الألم والشدة والرهبة والخوف ما لا يصفه القلم ولا يتحدّث عنه اللسان، ورأيت بأمي عيني ـ والله يا بني ـ الموت مرات عدّة حتى خرجت إلى الدنيا، فامتزجت دموع صراخك بدموع فرحي، وأزالت كل آلامي وجراحي. يا بني، مرّت سنوات من عمري وأنا أحملك في قلبي وأغسلك

بيدي، جعلت حجري لك فراشًا، وصدري لك غذاء، أسهرت ليلي لتنام، وأتعبت نهاري لتسعد، أمنيتي أن أرى ابتسامتك، وسروري كلّ لحظة أن تطلب مني شيئًا أصنعُه لك، فتلك منتهى سعادتي. ومرت الأيام والليالي وأنا على تلك الحال، خادمة لم نقصّر، ومرضعة لم تتوقف، وعاملة لم تفتر، حتى اشتدّ عودك واستقام شبابك، وبدأت تظهر عليك معالم الرجولة، فإذا بي أجري يمينا ويسارًا لأبحث لك عن المرأة التي طلبت، وأتى موعد زفافك فتقطع قلبي وجرت مدامعي فرحة بحياتك السعيدة الجديدة وحزنا على فراقك، ومرّت الساعات ثقيلة فإذا بك لست ابني الذي عرفت، لقد أنكرتني وتناسيت حقي، تمرّ الأيام لا أراك، ولا أسمع صوتك، وتجاهلت من قامت لك خير قيام، يا بني، لا أطلب إلا القليل اجعلني من أطرف أصدقائك عندك وأبعدهم خطوة لديك.

اجعلني ـ يا بني ـ إحدى محطات حياتك الشهرية لأراك فيها ولو لدقائق.

يا بني، أحدودب ظهري وارتعشت أطرافي وأنهكتني الأمراض وزارتني الأسقام، لا أقوم إلا بصعوبة، ولا أجلس إلا بمشقة، ولا يزال قلبي ينبض بمحبتك، لو أكرمك شخص يومًا لأثنيت على حسن صنعه وجميله، وأمك ـ يا رعاك ربي ـ أحسنت إليك إحسانًا لا تراه ومعروفًا لا تجازيه، لقد خدمتك وقامت بأمرك سنوات وسنوات، فأين الجزاء والوفاء؟ ! إلى هذا الحد بلغت بك القسوة وأخذتك الأيام؟ !

يا بني، كلما علمت أنك سعيد في حياتك زاد فرحي وسروري، ولكني أتعجب وأنت صنيع يدي، وأتساءل: أي ذنب جنيته حتى أصبحت عدوة لك لا تطيق رؤيتي وتتثاقل عني؟ ! لن أرفع شكواك، ولن أبثّ الحزن لأنها إن

ارتفعت فوق الغمام واعتلت إلى باب السماء أصاب شؤم العقوق ونزلت بك العقوبة، وحلت بدارك المصيبة، لا، لن أفعل، لا تزال ـ يا بني ـ فلذة كبدي وريحانة حياتي وبهجة دنياي.

أفق يا بني، بدأ الشيب يعلو مفرقك، وتمر سنوات ثم تصبح أبا شيخًا، والجزاء من جنس العمل وستكتب رسائل لابنك بدموع مثل ما كتبت لك، وعند الله تجتمع الخصوم. يا بني.

اتق الله في أمك، كفكِف دمعها، وخفف حزنها، وإن شئت بعد ذلك فمزّق رسالتها، واعلم أنه من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها. »

سُئل الحسن البصري: ما دعاء الوالدين للولد؟ قال: نجاة، قال: فقلت: فعليه؟ قال: استئصاله، يعني الهلاك.

لا إله إلا الله ما أعظم بر الوالدين! ما أحوجنا إلى الدعاء منهم، ما أحوجنا إلى رضاهم، ما أحوجنا إلى برهم وصلتهم، علَّ الله أن يكتب لنا بذلك الرضوان، لكننا مع عظيم الأسف نرى البعض كأنه ليس بحاجة لدعائهم.

أخي الحبيب:

إن حق الأم على الولد عظيم، وشانها كبير، فلا يدعُها باسمها، بل نادها بما تحبّ من اسم أو كنية، لا تجلس قبلها، ولا تمشي أمامها، قابلها بوجه طلق، قبل رأسها، والثم يدها، إذا نصحتها فبالمعروف من دون إساءة، أجب دعوتها إذا دعتك من دون ضجر أو كراهية، تكلم معها باللين، أطعمها إذا جاعت، أو اشتهت صنفًا وإن تأنيت في ذلك، أهدها قبل أن تسأل شيئًا، تحسَّس ما تحبّ فاجلبه لها، كان خادمًا مطيعًا لها، أطعها في غير معصية، لا

تسبقها بأكل أو شرب، أبهجها بالدعاء لها آناء الليل وأطراف النهار بالرحمة والمغفرة، غضّ الطرف عن أخطائها وزلاتها، لا تتأسّف أو تحدّث أحدًا عن سبيل الشكاية أو النكاية، وقرها واحترمها، لا تتكبّر عليها فقد كنت في أحشائها وبين يديها، أدخل السرور عليها، صاحبها بالمعروف، اطلب الدعاء منها فله تفتح أبواب السماء.

أخي الحبيب:

اعلم رحمك الله ـ أن بر الوالدين لا ينتهي بموتهما، فعن أبي أسيد الساعدي قال: فيما نحن عند رسول إذ جاءه رجل من بني سلِمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبويّ شيء أبرّهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وانفاذُ عهدهما من بعدهما وصلة الرحِم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما**».

وبر الوالدين يستمرّ في ذرية الإنسان وعقبِه من بعده، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعِفّوا تعِف نساؤكم**». كذلك بر الوالدين يزيد في العمر، عن سهل بن معاذ – رضي الله عنه –أن رسول –صلى الله عليه وسلم– قال: «**من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره**».

أسأل الله أن يعينني وإياكم على بر الوالدين وطاعتهم والإحسان إليهم أحياء وأموات وأن لا يميتنا وإياكم إلا وهو راضٍ عنا وصلى اللهم وبارك.

ختاماً

انتهى الجزء الأول من كتاب **بستان الحقوق** في الإسلام **(الجزء الأول)** ونلتقي بإذن الله قريبا في الجزء الثاني، وآمل ممن ينتفع بهذه الحقوق ومن يقرؤها ومن يسمعها ومن يخطب أو يحاضر بها أن يذكرني في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات:١٠]، وفي الحديث النبوي الشريف «المسلم أخو المسلم. . ». والله تعالى أسأل أن يوفقني دائماً إلى خدمة دينه وبيان معاني شريعته وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني عليه يوم ﴿ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[الشعراء:٨٨] وأن يوفق المسلمين لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لا تدخلني النار.

تم بحمد الله الجزء الأول من بستان الحقوق في الإسلام ونلتقي في الجزء الثاني بإذن الله – ﷻ –. وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه. . .

أمير بن محمد المدري

اليمن – المهرة

١٤٤١ هـ

Almadari_1@hotmail. com

وتس/٧١١٤٢٣٢٣٩
٧٧٠٣٤٣٤٧٠